قصة يوسف وزليخا

في الأدب الفارسي ومصادرها في التوراة والقرآن الكريم

دراسة تحليلية

دكتور رمضان رمضان متولي

راجع الكتاب ووثق مصادره الفارسية والعربية

الأستاذ الدكتور السباعي محمد السباعي

أستاذ اللغات الشرقية بآداب القاهرة



قصة يوسف وزليخا

في الأدب الفارسي ومصادرها في التوراة والقرآن الكريم

متولي، رمضان رمضان.
يوسف وزليخا فى الأدب الفارسى ومصادرها فى التوراة والقرآن الكريم: دراسة تحليلية/ رمضان رمضان متولي: راجع الكتاب ووثق نصوصه ومصادره الفارسية والعربية السباعى محمد السباعى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
٢٧٢ ص : ٢٤ سم ٠ ـ
تدمك ٣ ٥١٩ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص الدينية .
٢ ـ الأدب المقارن.
(أ) السباعى، السباعى محمد (مراجع)
(ب) العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ١٧١٢٨/ ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 519 - 3

ديوى ٨٠٨,٣٨٧٢٩

قصة يوسف وزليخا

فى الأدب الفارسى ومصادرها فى التوراة والقرآن الكريم

دراسة تحليلية

تأليف

الدكتور رمضان رمضان متولى

راجع الكتاب ووثق مصادره الفارسية والعربية

الأستاذ الدكتور السباعى محمد السباعى

أستاذ اللغات الشرقية بآداب القاهرة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

الإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

تصميم الغلاف: الحبيبة حسين

إهــــــداء

إلى أولادى.. قرة عينى

محمد والسباعى وشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر خاص

إلى السيدة الفاضلة الأستاذة ميرفت عبد العزيز وكيل اول وزارة الثقافة تقديراً واعزازاً واعترافًا بفضلها فى صدور هذا الكتاب فجزاها اللّه عنى وعن أسرتى وعن طلبة العلم فى كل زمان ومكان خير الجزاء وأثابها وأهلها من فضله وعفوه وعافيته.

إنه نعم المولى ونعم المجيب

المؤلف

د/ رمضان رمضان متولى

مقدمة

تتبوأ قصة يوسف عليه السلام منزلة مهمة وطابعا خاصا فى القرآن الكريم وفى سائر كتب التنزيل. فبينما يرد القصص القرآنى فى حلقات تناسب كل حلقة فيها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهاتها، نرى سورة يوسف محتوية على القصة كاملة، وحتى القصص الذى ورد كاملا فى سورة واحدة ـ كقصص هود وصالح وشعيب ورد مختصرا مجملا ـ أما قصة يوسف فقد وردت بتمامها وبطولها فى سورة واحدة، وصيغت فى بناء فنى محكم يؤلف بين الغرض الدينى والغرض الفنى فيما يعرضه من الصور والمشاهد كما يجعل الجمال الفنى فيها أداة مقصودة للتأثير الوجدانى فيما يخاطب حاسة الوجدان الفنية بلغة الجمال..

كما كان لقصة يوسف وضعا متميزًا فى كتاب التوراه حيث انفردت بسفر كامل فى مقدمة أسفار التوراه وهو سفر التكوين..

ومنذ بدأ الاشتغال بتفسير القرآن الكريم نرى القصة تستحوذ ـ على جانب كبير من اهتمام كافة علماء التفسير وعدد كبير من العلماء المشتغلين بدراسة الأديان والذين أفردوا لها فصولا غزيرة من كتبهم ودراساتهم وأبحاثهم..

ثم كانت ـ وما تزال ـ موضع اهتمام وعناية من الأدباء والكتاب فى مشارق الأرض ومغاربها كمادة درامية صاغوها فى قوالب أدبية وفنية اصطبغت بلون شعبى قريب من قلوب الخاصة والعامة على السواء..

أما فى مجال الشعر فقد حظيت القصة بقدر كبير من عناية الشعراء واهتمامهم حتى صارت من أحب الموضوعات إلى شعراء إيران .. فقد كان من أثر

تغلغل الإسلام فى نفوس الإيرانيين طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة واضطراب الأوضاع وعدم الاستقرار فى أمور البلاد أن سادتها روح إسلامية صوفية أخذت معها معالم الأدب الفارسى تتضح رويدا رويدا، وبدأ شعراء الفرس يتحررون من رق التقليد فاصطنعوا نوعا من الشعر عرف بالمثنوى .. يتفق ذلك مع ما ذهب إليه مؤرخو الأدب الفارسى - قديمه وحديثه[1] - أن الأدب الفارسى الحديث - إلا أقله - أدب قصصى حكمى وأخلاقى وأن شعراء الفرس ومتصوفتهم وحكمائهم ومؤلفى كتب النصيحة والأخلاق. بل وكتّاب الأدب والسياسة والتاريخ كذلك استعانوا على ابراز معانيهم وتوضيح مراميهم وتقوية قضاياهم بالحكايات، وأن جمهرة شعراء الفرس العظام كالفردوسى والدقيقى والعطار والجامى كانوا شعراء قصة.

كل ذلك يؤكد فى وضوح - دور القصة فى هذا الأدب وأنها غدت أوسع جوانب هذا الأدب - قديمه ووسيطه وحديثه، وأكثرها إشراقا وأرسخها أركانا وأقواها تعبيرا عن الحياة الفارسية، وأنها تشغل الحيز الأكبر من هذا الأدب فى مختلف أدواره[2]..

يضاف إلى ما سبق ما ذكره المؤرخون من أن الفرس مولعون بالإطناب فى شعرهم كلفون بالقصص والإسهاب فيه، لذلك رأيناهم يتجهون إلى قصص القرآن الكريم ينهلون من منابعه الفياضة وما يحتويه من معان وحكم وعظات بليغة.

وكان لقصة يوسف تأثير عظيم فى نفوسهم فراح الواحد تلو الآخر يتخذ منها مادة وموضوعا وإطارا لمنظومات طويلة إشتهرت على مر الأزمان وتعاقب العصور ووضعت أسماءهم فى سجل الخالدين..

هذا.. وقد بلغ عدد الآثار المنظومة لهذه القصة ثمانية وعشرين أثرا، اندثر معظمها مع الزمن وبقى منها ثمانية منظومات هى منظومات: الفردوسى

---

(١) أمين بدوى ؛ القصة فى الأدب الفارسى ص ٧٢ الى ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٥.

والجامى وناظم هروى وآذر بيكدلى وشعله كَلبايكَانى وجوهر تبريزى وشهاب ترشيزى وخاورى .

وهذه المنظومات الثمانية هى مجال دراستنا فى هذا الكتاب الذى شرفت منذ ما يزيد على ربع قرن بتقديمه كرسالة حصلت بها على درجة الدكتوراه فى آداب اللغات الشرقية بمرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب جامعة القاهرة..

هذا .. وقد بذلت قصارى جهدى لأصل بهذه الدراسة حد الكمال، ولكن الكمال لله وحده. فإن كنت قد وفقت فبها ونعمت، وإن كانت الأخرى فحسبى اننى إجتهدت ـ ما وسعنى الجهد ـ ولمن اجتهد وأصاب أجران. أجر اجتهاده . وأجر إصابته..

والله أسأل التوفيق والسداد

وعلى الله قصد السبيل

الباب الأول

الفصل الأول

«مصادر يوسف وزليخا فى التوراة والقرآن الكريم»

أولا: مصادرها فى التوراة[1]

تـرد قصـة يوسف فى سفـر التـكوين وهـو أول أسـفـار العـهـد القـديم التسـعة والثلاثين وتبدأ القصة مع بداية الاصحاح الثلاثين[2] بمولد يوسف عليه السلام آية من آيات الحسن والجمال والبهاء وروح مشرقة تضفى عليه من أنوارها ما يزيده روعة وجمالا وتكسبه جاذبية روحية قوية التأثير فكان لذلك أثيرا عند أبيه يخصه بقسط كبير من عنايته لأنه توسم فيه أن سيكون له شأن عظيم وخطر كبير، فكان يحدب عليه ويمنحه من ذات نفسه مالم يمنحه لاخوته ويؤثره بالرعاية عليهم جميعا. وكان الكبار من اخوته يلمسون من أبيهم ذلك العطف الذى آثره به دونهم ويعلمون أنه احتل جنبات قلبه وأستأثره بمشاعره ووجدانه.. وتأججت نار حقدهم عليه يوم أن علموا برؤياه الأحد عشر كوكبا مما حملهم على إلقائه فى هاوية جب بالصحراء، ولكن العناية الالهية أدركته فحملته إحدى القوافل وباعته عبدا إلى فوطيفار قائد جند فرعون، ولما اشتد عوده وازداد جماله راودته زوج فوطيفار عن نفسه فلما استعصم وأبى ـ خوفا من الله ـ كان مصيره السجن.. والتقى يوسف فى السجن بساقى الملك وخبازه وفسر لكل منهما رؤياه وبعد عامين رأى ملك مصر رؤيا فشل عرافوه فى تفسيرها، وحينئذ تذكر

(١) للتوراه: طبع جمعية الكتاب المقدس بالقاهرة.

(٢) عدد الأسفار: تسعة وثلاثين وجملة اصحاحاته تسعمائة وتسعة وعشرين.

الساقى يوسف فأبلغ الملك بما كان من أمره معه، فأمر فرعون باحضاره اليه، فلما مثل فى حضرته عبر له رؤياه بأنه ستمر بمصر سبع سنين عظيمة الخير، وستعقبها سبع أخرى مجد بة لاخير فيها ولانماء وكان لتفسير يوسف وما ألحقه به من تدبير محكم أثر طيب فى نفس فرعون فنصبه واليا على مصر.. ولما عَمَّتْ المجاعة أرض كنعان جاء إخوة يوسف إلى مصر طلبا للزاد، فعرفهم يوسف وهم له منكرون. فدبر لهم يوسف مكيدة حصل بموجبها على وعد منهم باحضار شقيقه بنيامين. ولما عاد الركب إلى كنعان وعرضوا الأمر على يعقوب إضطر تحت ضغط المجاعة إلى الموافقة على إرسال بنيامين إلى مصر. ومرة ثانية يدبر يوسف مكيدة لاستبقاء بنيامين لديه، فيأمر عماله فيضعون صواع الملك فى رحل بنيامين، وتنجح المكيدة، لكن أخاه يهوذا يتوسل إليه لاستبقائه بدلا من بنيامين وحينئذ يرق قلب يوسف لإخوته فيكشف لهم عن حقيقة شخصيته فيخر الجميع أمامه ساجدين.. ويعود الركب فرحا إلى أرض كنعان فيستقبلهم يعقوب حامدا وشاكرا لله، بعد أن أخبره بنوه بما صار إليه أمر يوسف من شأن عظيم. ويتوجه يعقوب وبنوه إلى مصر، ويستقبلهم يوسف فرحا... وفى مصر عاش يعقوب حتى أكمل مائة وسبعة وأربعين عاما.

واستمر يوسف فى الحكم حتى وافته المنية.. فحمله بنواسرائيل ودفنوه بجوار آبائه وأجداده فى أرض كنعان.

ثانيا: مصادرها فى القرآن الكريم:

تبدأ أحداث القصة فى القرآن الكريم ويوسف عليه السلام حدث يقص على أبيه رؤيا الأحد عشر كوكبا فينصحه أبوه بألا يقص رؤياه على إخوته تجنبا لكيدهم وحسدهم. وتمضى الأحداث بعد ذلك فنرى إخوة يوسف وقد أجمعوا أمرهم فيما بينهم على طرح يوسف فى مكان بعيد ليخل لهم وجه أبيهم ويستأثرون بحبه ورعايته، وحينما أتموا ما أجمعوا عليه أمرهم عادوا إلى أبيهم عشاء يبكون زاعمين أنهم ذهبوا للعب وتركوا يوسف عند متاعهم فأكله الذئب وهم عنه غافلون ... وتتطور الأحداث سريعا إلى حيث يوسف فى الجب، وإذا

بسيارة من المسافرين تأسره بضاعة ثم تحمله عبدا وتبيعه إلى عزيز مصر... ويوصى العزيز زوجته بأن تكرم مثواه عسى أن ينفعهم أو يتخذونه ولدا... وفى بيت العزيز وبعد أن بلغ يوسف مبلغ الرجال راودته التى هو فى بيتها عن نفسه وتهم به، ويهم بها لولا أن رأى برهان ربه... وحينما يبلغ الأمر مسمع العزيز اتهمت الزوجة يوسف، لكن شاهدا من أهلها شهد ببراءته وطهارة ذيله.. ويذيع أمر الحادثة وتشيع بين نسوة المدينة، وتعلم امرأة العزيز بمكرهن لها، فتهيء لهن مجلسا حافلا لاستمالتهن. لكن الأمر ينتهى بشهادتهن ليوسف بأنه ملك كريم. وتضيق السبل بيوسف فاستحب السجن ملاذا من محنة القصر وصاحبته.. وفى السجن ينطلق يوسف فى الدعوة إلى وحدانية الله.. ويصادق ساقى الملك وخبازه ويفسر لهما مارأياه فى منا مهما. فأما أحدهما فيسقى ربه خمرا، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه.. وتمر السنون ويحدث التحول العظيم فى حياة يوسف، وذلك حينما يلجأ اليه ساقى الملك الذى نجا من السجن ليفسر له رؤيا ملك مصر تلك التى حار الجميع فى تأويلها واعتبروها أضغاث أحلام.. ولا يكتفى يوسف بتأويلها بل إنه يقدم له التدبير المحكم الذى ينجى مصر من كارثة القحط.. وحينما علم الملك بذلك أرسل فى طلب يوسف، إلا أنه ابى أن يستجيب لدعوته قبل أن يحقق الملك فى حادث القصر، فيجمع الملك النسوة ويقف منهن على الحقيقة وتتجلى براءة يوسف، فيرسل الملك فى طلبه ويوليه خزائن مصر.

ولما حلت المجاعة بأطراف الأرض، كانت مصر بفضل تدبير يوسف قد أخذت لهذا الأمر أهبته، وأصبحت لذلك محط رحال الوافدين ممن حولها من الأمصار، وجاءها إخوة يوسف فيمن جاء من شتى البلاد.. ولما دخلوا على يوسف طلبا للزاد عرفهم يوسف وهم له منكرون، ولما فرغ من أمرهم طلب اليهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، كما أمر عماله فدسوا لهم بضاعتهم فى رحالهم.

ومرة ثانية يعود أبناء يعقوب إلى مصر، حاملين معهم بنيامين هذه المرة، بعد أن أخذ عليهم يعقوب عهدا وموثقا بأن يعودوا به ويلتقى يوسف بشقيقه، فيخلو به ويخبره عن حقيقة شخصيته.. ثم يدبر مكيدة لاستبقائه لديه فيأمر عماله بوضع قدح الملك فى رحل شقيقه... وعندما يهم ركب أبناء يعقوب بمغادرة مصر

يعلن عمال الملك عن سرقة صواعه، ثم يمضون فى تفتيش رحال الجميع إلى أن ينتهى الأمر باستخراجه من رحل بنيامين.. فيستبقيه يوسف رهينة عنده. وتذهب توسلات إخوته سدى لا طلاق سراحه فيرى كبيرهم أن يبقى بمصر على أن يعود الجميع إلى كنعان ليتدارسوا الأمر مع أبيهم.

ويغتم يعقوب فور سماعه الخبر ويكظم حزنه حتى أبيضت عيناه حزنا على فراق ولديه. ويعود أخوة يوسف إلى مصر للمرة الثالثة، بعد أن أخذت المجاعة بهم فجاءوا ببضاعة رديئة ودخلوا بها على يوسف يسترحمونه.. وهنا تحدث المفاجأة حينما يسألهم يوسف عما فعلوه به وبأخيه من قبل وينتهى الموقف بوقوف الإخوة العشر على حقيقة شخصيته مستشعرين الندم على ما كان منهم من قبل.. ويصفح عنهم يوسف، فيسعد الأب ويرتد إليه بصره... ويعود الجميع إلى مصر، فيستقبلهم يوسف ويرفع أبويه إلى العرش الذى يجلس عليه احتفاء وتكريما، فيسجد الجميع له سجود شكر وحمد.

وهكذا تحققت رؤيا يوسف

****

الفصل الثانى

المنهج القرآنى لقصة يوسف عليه السلام

نلتقى بسورة يوسف فى القرآن الكريم بعد سورة هود عليه السلام. ويأتى موقعها فى القرآن الكريم السورة الثانية عشرة فى ترتيب المصحف.. وتمثل قصة يوسف كما جاءت فى السورة النموذج الكامل للمنهج القرآنى فى الأداء الفنى الصادق.. ومع أن المنهج القرآنى يمثل وحدة موضوعية فى كل سوره، إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها النمط الفريد والمتخصص فى غرض هذا المنهج[1]، فالقصص القرآنى ـ غير قصة يوسف ـ يرد حلقات تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها، وحتى القصص الذى ورد كاملا فى سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب ورد مختصرا مجملا، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها فى سورة واحدة، وهو طابع متفرد فى السور القرآنية جميعا. وقصة يوسف قصة إنسانية تلعب فيها العواطف البشرية الدور الأول، فتؤثر فى سير الأشخاص وتوجههم نحو الخير أو الشر فى حياتهم[2] ثم هى قصة رحبة واسعة تتعدد فيها الشخصيات وتتلون الأحداث وتتوزع فيها العناصر التوزيع الذى يطلبه الفن القصصى فهى موزعة بمقدار وتظهر وتختفى حسب الظروف الطبيعية وحسب ما يحوط الشخصيات من أحداث. ويحرص المنهج القرآنى أن يكون تسلسل الأحداث فى القصة خاضعا للغرض الذى من أجله

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن: جـ ١٢ ص ١٩٤٩: بيروت ١٩٧٢م.

(٢) عبد الكريم الخطيب: الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٧٢م.

انزلت القصة.. فلقد نزلت هذه السورة بين عام الحزن بموت أبى طالب وخديجة سندى رسول الله وبين بيعة العقبة الأولى ثم الثانية[1].. ففى الوقت الذى كان الرسول يعانى من الوحشة والغربة والانقطاع فى جاهلية قريش ـ منذ عام الحزن ـ كان الله تعالى يقص على نبيه الكريم قصة أخ كريم هو يوسف بن يعقوب وهو يعانى صنوفا من المحن والابتلاءات.. وقد حرص المنهج القرآنى على ابراز كافة الابتلاءات التى تعرض لها يوسف عليه السلام.. محنة كيد الأخوة، ومحنة الجب والخوف والترويع فيه ومحنة الرق وهو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد على غير ارادة منه ومحنة كيد امرأة العزيز ومحنة السجن ثم محنة السلطان وهو يتحكم فى أقوات الناس، ومحنة المشاعر البشرية وهو يلقى بعد ذلك اخوته الذين ألقوه فى الجب وكانوا السبب الظاهر لهذه المحن والابتلاءات كلها.. هذه المحن والابتلاءات التى صبر عليها يوسف وزاول دعوته إلى الاسلام من خلالها يخرج منها كلها متجردا خالصا، آخر اهتماماته فى لحظة الانتصار على المحن جميعا وفى لحظة لقاء أبويه ولمّ شمله وفى لحظة تأويل رؤياه وتحققها كما رآها: «إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» آيه ٤ «آخر توجهاته هو التوجه المخلص المتجرد المنيب إلى ربه. منخلعا من هذا بكليته[2] يصوره القرآن الكريم: «فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر انشاء الله آمنين، ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطن بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين»[3]. وهكذا كان طلبه الأخير بعد ذلك كأنه وهو فى غمرة السلطان والرخاء ولمة الشمل أن يتوفاه ربه مسلما وأن يلحقه

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن: جـ ١٢ ص ١٩٥٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥١.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: جـ ١٢ ص ١٩٤٩؛ بيروت ١٩٧٢م.

بالصالحين وذلك بعد الابتلاء والمحنة، والصبر الطويل والانتصار... فلا عجب أن تكون سورة يوسف بما احتوته من قصة ذلك النبى الكريم ومن التعقيبات عليها بعد ذلك مما يتنزل على رسول الله وصحبه والجماعة المسلمة معه فى مكة فى هذه الفترة بالذات تسلية وتسرية وتطمينا كذلك[1] وتثبيتا لقلب النبى.....

ويحرص المنهج القرآنى على استخدام كل عناصر الفن القصصى ولهذا نراه وقد استفاد من عنصر الزمن. فإن الخيوط الزمنية تمسك بكل جزيئات القصة. ولهذا نراه يذكر «العشاء» لأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة. ولذلك تستر اخوة يوسف فى ظلامه وسواده، وجاءوا فيه إلى أبيهم يخبرونه هذا الخبر المشئوم المكذوب: «وَجَآؤُوٓاْ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ»[2]، فهذه الجزئية من جزئيات الزمن حرص القرآن الكريم على ذكرها لأن لها مكانها فى سير أحداث القصة[3] ذلك لأن ظلام الليل الذى أظل هذا الكذب الذى وصفه الله تعالى بقوله: «وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ».

هو نفسه الظلام الذى نم على الكذب ودل عليه وألقى فى خاطر الأب أن أبناءه لو كانوا صادقين فيما أخبروا لسارعوا إلى أبيهم بالحدث فى وقته. وقد يكون الزمن عدة سنين فيذكره الله جل وعلا ليبين فيها ناحية العبرة، وكما جاء فى قوله تعالى: «فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» ليبين على أنَّ نبيه الكريم كان ذو عزم متين وصبرعجيب.

ويحرص المنهج القرانى كذلك على ابراز عنصر المكان، فهو يحدد المكان الذى حُملَ اليه يوسف وأنه «مصر». وفى هذا يشير الى تلك الغربة النائية التى فصلت يوسف عن اهله. ويحرص المنهج القرانى كذلك على التعمق فى النفس البشرية وابراز ما يعتريها من لحظات ضعف وقوة بما يتناسب وما تحمله من قوة الايمان مستخدم ما فى ذلك عبارات شديدة الايجاز، غزيرة الإيحاء بما تحمله من معنى

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٥٣.

(٢) سورة يوسف آية ١٦.

(٣) السيد حافظ عبد ربه: بحوث فى قصص القرآن ص ٥٨، ٥٩ بيروت ١٩٧٢م ـ و: سيد قطب: فى ظلال القرآن: جـ ١٢ ص ٧١١.

ومضمون. ومثالا على ذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَّأى بُرْهَانَ رَبِّه» «آية٢٤» وهو نهاية موقف طويل من الإغراء بعدما أبى يوسف واستعصم، وهو تصوير واقعى لحالة النفس البشرية الصالحة فى المقاومة والضعف، ثم الاعتصام بالله فى النهاية والنجاة. لكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة لأن المنهج القرآنى لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة[1]، وفى النهاية يحرص المنهج القرآنى على أن يجرى الحوار فى القصة هينا لينا رقيقا. ومثالا على ذلك قوله تعالى: «هَـٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ»[2]. فلقد استدعوا أخاهم بأسلوب لبق حكيم: «ونمير» فلقد جعلوا أخذ أخيهم مطلبا ثانيا بعد المطلب الأول وهو «الميرة» وربطوه به بحيث لا تكون الميرة إلا أخذهم معه، ثم هم من جهة أخرى يقولون: «ونحفظ أخانا» ولا يقولون ونأخذ أخانا «كأن أخذه مفروغ منه لا مراجعة لأبيهم فيه فهم آخذوه وحافظوه»[3]. وهكذا ومن خلال هذا المنهج الواضح المتكامل تحققت الموعظة والعبرة التى أرادها الحق سبحانه وتعالى من هذه السورة .

(١) المرجع السابق..

(٢) عبد الكريم الخطيب: الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: جـ ١٢ ص ١٩٥٠.

الباب الثانى

قصة يوسف
بين القرآن الكريم والتوراة
والإسرائيليات والأدب الفارسى

الفصل الأول

مقارنة عامة للقصة بين التوراة والقرآن الكريم

كان من الطبيعى أن يكون مصدر قصة يوسف فى التوراة والقرآن الكريم واحدا استنادا إلى الاعتقاد الإسلامى فى وجود توراة أصلية منزلة من عند اللّٰه سبحانه وتعالى. ولكن علماء المسلمين اتفقوا على أن التوراة الحالية محرفة، والتحريف يعنى أولا اختلاف المصدر. فبينما مصدر القصة القرآنية الهى، أصبح مصدر القصة التوراتية إنسانيًا وهذا هو السبب الأول والحقيقى وراء الاختلافات الواضحة بين القصتين وهى اختلافات جوهرية تمس أمور العقيدة والدين والأخلاق فى كل من القصتين التوراتية والقرآنية.

ومن أول وجوه الاختلاف الواضحة اهتمام قصة يوسف فى التوراة بالتفاصيل التاريخية . وهو اختلاف أساسى بين التوراة والقرآن الكريم. فبينما تعتبر التوراة كتابا فى التاريخ، بل ويعتبرها كثير من المؤرخين مصدرا من مصادر التاريخ القديم، نجد أن القرآن الكريم يعطى فلسفة للتاريخ تتغاضى عن ذكر التفاصيل التاريخية وتهتم بالدروس التاريخية المستفادة من التاريخ . كما يركز القرآن الكريم على المبادئ والقيم الموجهة للتاريخ الإنسانى. كما يربط سيرة التاريخ الإنسانى بالدين والأخلاق.

بخلاف التوراة التى رغم اهتمامها بالتاريخ، إلا أنها وَجَّهتْهُ وجْهَةً عنصريةً تخدم التاريخ اليهودى فقط. ويأتى ذلك كله استجابة للطبيعة الإسرائيلية التى تحفل بأدق التفاصيل والجزئيات فى حياة الإنسان وتعدو وراءها فى كل صوب

على أمل ان تخرج منها بأثر أو فائدة هى فى طبيعتها أقرب ما تكون إلى الجانب المادى وأبعد ما تكون عن الجانب الروحى...

ومن أمثلة الاهتمام بالجزئيات التاريخية اهتمام القصة التوراتية بتحديد موقع وَسُكْنَىَ يعقوب فى أرض كنعان، وكذلك الاهتمام بتحديد مواليد يعقوب عليه السلام والاهتمام بتحديد عمر يوسف زمن وقوع القصة حيث تذكر التوراة أنه كان ابن سبع عشرة سنة. وكذلك الاهتمام بذكر الأماكن التى شهدت أحداث القصة مثل ذكر بلدة شكيم التى كان يرعى فيها اخوة يوسف وبلدة حبرون، وهو موقع آخر رعى فيه الأخوة . ودوثان وهو الموقع الذى ذهب إليه يوسف ووجد إخوته عنده.

ومن الجزئيات الأخرى الاهتمام بذكر الشخصيات المشتركة فى الأحداث وعدم اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه الأسماء، فبخلاف اسم يعقوب ويوسف - وهما الشخصيتان الرئيسيتان فى القصة - يرد ذكر روبين، وهو الأخ الذى حاول انقاذ يوسف من براثن إخوته، واقترح عدم قتله والقائه فى الجب كما يرد اسم يهودا الذى اقترح بيع يوسف للاسماعيليين أصحاب القافلة. وكذلك تذكر التوراة بعد ذلك اسم «فوطيفار» خصى فرعون ورئيس الشرطة الذى اشترى يوسف...

بالإضافة إلى هذا هناك التفاصيل السابقة على وقوع القصة، وهى الخاصة بذكر مواليد يعقوب وأسماء إخوة يوسف وأيضا تحديد المواقع الجغرافية لسكنى كل منهم. وهناك أيضا ذكر جماعات من الأشخاص لها دور ثانوى فى القصة . مثل ذكر بنى بلهة وبنى زلفة «امرأتى يعقوب» وكذلك ذكر الاسماعيليين أفراد القافلة التى كانت مقبلة من جلعاد نازلة مصر والتى اشترت يوسف من إخوته استنادا إلى اقتراح يهودا. كما يرد ذكر الميديانيين، وهم التجار الذين سحبوا يوسف من البئر وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة..

ومن جوانب الاهتمام بالتفاصيل التاريخية نجد التوراة تذكر لنا أن يوسف عليه السلام ذهب لإخوته حيث مرعاهم ليتفقد أحوالهم وسلامتهم بطلب من يعقوب، وعندما رآه اخوته وعلموا منه تفاصيل رؤياه تفاوضوا معا وتآمروا على

التخلص منه.. فقال اسرائيل ليوسف أليس اخوتك يرعون عند شكيم، تعال فارسلك إليهم . فقال له ها أنذا فقال له أذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لى خبرًا»[1].

كما أننا نلاحظ فى القصة التوراتية فى نطاق اهتمامها بجزئيات الأحداث أن يوسف عليه السلام لا يقص رؤياه على أبيه - كما جاء فى القصة القرآنية - بل إنه يتعدى ذلك إلى إخوته جميعا . إذ قالت التوراة " فقصه على أبيه وإخوته»[2].

ومن جوانب الاهتمام بالتفاصيل التاريخية نجد التوراة تهتم بذكر بعض الوظائف التى كانت موجودة فى مصر زمن وقوع القصة. مثل ذكر وظيفة رئيس الشرطة ورئيس السقاة ورئيس الخبازين وساقى الملك وكل هذه التفاصيل تحفل بها التوراة وهى تشير إلى الاهتمام بالحدث التاريخى من حيث مكوناته الاساسية. وهى تحديد الزمان والمكان والإنسان. كما يتمثل فى الشخصيات المتعددة التى ورد ذكرها فى القصة التوراتية . هذه العناصر تجعل من قصة يوسف فى التوراة قصة تاريخية زاخرة بالأحداث التى بدأت بسيطة ككل بداية تاريخية ثم تشابكت مع نمو الحدث وتعقدت من خلال هذه التفاصيل الدقيقة. وبمقارنة هذا بالقرآن الكريم نجد أنه على الرغم من كمال القصة القرآنية وطولها إلا أنها لم تحفل بذكر هذه التفاصيل التى اشتملت عليها القصة التوراتية. وركزت القصة القرآنية على الدرس التاريخى والموعظة الدينية والأخلاقية المستفادة من القصة . وهناك وجه آخر من وجوه الخلاف بين القصة التوراتية والقرآن الكريم وهو الخلاف الدينى فقصة التوراة خالية تماما من الأهداف الدينية فى حين أن قصة يوسف فى القرآن الكريم هدفها هو هدف كل القصص القرآنى وهو الدعوة إلى توحيد الله والتركيز على المبادئ والقيم الأخلاقية . فالقصة التوراتية لا تذكر شيئا عن أى جهد ليعقوب ويوسف فى الدعوة إلى توحيد الله.. ويتضح هذا من خلال عدم تركيز التوراة على الصفة النبوية لكل من يعقوب ويوسف. فهى تتعامل معهما على أنهما شخصيتان تاريخيتان يرتبطان بالتاريخ الإسرائيلى. ونادرا ما تشير إلى أى

---

(١) التوراة : تك ٧ ١٣ ، ١٤.

(٢) التوراة : تك ٣٧ ١٠.

وظيفة دينية مرتبطة بشخصيتيهما فى مقابل هذا نجد أن هدف قصة يوسف فى القرآن الكريم هو ابراز جهد يعقوب ويوسف كنبيين فى الدعوة إلى التوحيد بين المصريين حكاما ومحكومين «يَا صَاحِبَي السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ»[1].

وكذلك تبرز شخصية يوسف ويعقوب كنبيين يتحكم فيهما السلوك النبوى ويبرزان كقدوة دينية لغيرهما سواء من بنى إسرائيل أو من المصريين «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[2] وفى موضع آخر من القصة تبرز نبوة يعقوب حين ينصح بنيه قائلا: " وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ»[3].

والوجه الثالث من وجوه الاختلاف بين القصة التوراتية والقصة فى القرآن الكريم هو الجانب الأخلاقى فى القصة. وهو مرتبط بالجانب الدينى. فنحن نلاحظ أن القرآن الكريم يحتفظ ليعقوب ويوسف باعتبارهما نبيين بمبدأ العصمة الالهية من الخطأ. فسلوكهما فى القرآن الكريم سلوك نبوى وكذلك ردود أفعالهما تجاه الأحداث هى ردود أفعال نبوية منزهة عن الخطأ. وفى مقابل ذلك نجد أن التوراة شوهت الصور النبوية لكل من يعقوب ويوسف وسمحت لهما بالاتيان بأفعال لاتصدر عن أنبياء . ومن أمثلة ذلك ما جاء فيها من أن يعقوب أحب يوسف أكثر من سائر بنيه»[4] وكذلك ذِكْرِهَا اتيان يوسف بالنميمة بين الأب والإخوة» وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيهم»[5]. وكذلك انتهار يعقوب

(١) سورة يوسف، آية «٤٠».

(٢) سورة يوسف، آية «٢٣، ٢٤».

(٣) سورة يوسف : آية «٦٧».

(٤) التوراة : تكوين ٣٧ ٣.

(٥) التوراة : تك ٣٧ ٢.

ليوسف بعد أن قص عليه الحلم وسخر منه ومن حلمه: «فانتهره أبوه وقال له: «ما هذا الحلم الذى حلمته هل نأتى أنا وأمك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض»[1].

ونلاحظ كذلك فى هذا المجال أن التوراة تصف يعقوب وصفا منافيا لما هو معروف عن الأنبياء من الصبر وتحمل المكاره والاتكال على الله حيث تصف رد فعل يعقوب عندما علم بافتراس الوحش ليوسف بقولها : «فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة فقام جميع بنيه ليعزوه فأبى ان يتعزى وقال: «إنى أنزل إلى ابنى نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه[2]» بينما رد الفعل فى القرآن الكريم تجاه نفس الحدث هو «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»[3].

والوجه الرابع للخلاف بين الرواية التوراتية للقصة والقرآن الكريم هو ما يخص البنية الأدبية للقصة . ففى القرآن الكريم نلاحظ أن العناصر الفنية للقصة قد تكاملت أركانها، فهناك المدخل القرآنى للقصة وهو حكاية حلم يوسف وقصّه على أبويه وتسلسل أحداث القصة تدريجيا إلى أن تصل ذروتها ثم تبدأ فى الدخول إلى مرحلة الانفراج. وتنتهى القصة بنفس البداية . ويكتمل هذا البناء من خلال الهدف الدينى والأخلاقى للقصة والمتزامن مع وقوع الأحداث بحيث يتعرف القارئ للقصة القرآنية على الحدث والهدف الدينى والأخلاقى منه فى نفس اللحظة.. وبسبب هذا الهدف الدينى والأخلاقى وردت القصة القرآنية قوية فى أسلوبها موجزة فى عرضها . فالتركيز ليس على الأحداث، ولكن على القيمة الدينية والأخلاقية للأحداث، وهذا وجه خلاف واضح بين القصتين .

كما نلاحظ كذلك أن الرواية القرآنية تنغمس فى مسحة روحانية نشعر بها فى صفات الشخصيات وكلماتها التى يتحرك بها المشهد القرآنى فهناك قدر كبير من حرارة الروح فى كلمات يعقوب ومشاعره فى القرآن الكريم. وتتجلى تلك

(١) التوراة : تك ٣٧ ١١.

(٢) التوراة تك ٣٧ ١٢.

(٣) سورة يوسف، آية ١٨.

الصفة فى طريقته فى تصوير أمله حين يدفع بنيه إلى أن يتحسسوا يوسف وأخيه . وامرأة العزيز تتحدث فى رواية القرآن بلغة تليق بضمير انسانى وخزه الندم وأرغمته طهارة الضحية ونزاهتها على الاستسلام فإذا بالخاطئة تعترف فى النهاية بفعلتها وتقر بخطيئتها .. وفى مقابل ذلك نجد الرواية الكتابية تبالغ بعض الشيء فى وصف الشخصيات المصرية الوثنية بأوصاف عبرانية فالسجان يتحدث كموحد[1]. وأسلوب القصة القرآنية أسلوب يتسم بالقوة والإيجاز والسهولة فى التعبير والمباشرة فى توصيل الفكرة . بينما نلاحظ أن كثرة تفاصيل القصة التوراتية أدت إلى تخلخل وضعف بنيتها الأدبية وتعدد الأساليب الواردة فيها مع مرور الزمن وكثرة الإضافات وربما كثرة المحذوفات من القصة خلال فترة تدوينها .. وبالإضافة إلى ما سبق فإن حل عقدة القصة حمل طابع السرد فى الرواية الكتابية حيث يشتمل فى الفصول الأخيرة للقصة على تفاصيل مادية عن استقرار العبرانيين فى مصر. أما فى القرآن الكريم فإن هذا الحل يدور حول الطابع المميز للشخصية المحورية «يوسف»، وقد مَكَّن ذلك المنهج القرآنى من الوفاء بحق هذه الشخصية ومنحها الدور الذى تستحقه فى تحريك الأحداث وتطويرها ودفعها إلى الغاية المنشودة منها.

هذا الجانب المرتبط بالبنية الأدبية يشير إلى المصدر الالهى للقصة القرآنية فهى قصة ذات حبكة فنية عالية ليس فيها أى خلل أو نقصان من أى جانب.. ورغم خلوها من التفاصيل والجزئيات إلا أنها سريعة الوصول إلى ذهن القارئ ووجدانه.

****

(١) مالك بن نبى : الظاهرة القرآنية ت عبد الصبور شاهين، ص ٢٤٥، مصر ١٩٥٨ م.

الفصل الثانى

الإسرائيليات التى أدخلت على أحداث القصة

تحدثت فيما سبق عن قصة يوسف فى طابعها الدينى الذى وردت عليه فى كلٍ من كتابى العهد القديم والقرآن الكريم .. وعلى مر الأزمنة وتعاقب العصور تشكلت القصة فى قوالب وأشكال أدبية أخرى متعددة جاءت كلها من صنع الإنسان. وكان ذلك كله بفضل الرواة والمفسرين، وأضحى نتاج عملهم المنبع الخصب الذى اغترف منه الشعراء والأدباء فألهب خيالهم وغذى وجدانهم فأنتجت قرائحهم لونا جديدا من القصص هو ما يمكن أن نسميه «القصص الشعبى الدينى».

وكان الاعتماد الرئيسى لهذا القصص على ما جاء فى كتب التفسير المختلفة وما تزخر به من روايات وتفصيلات وتفريعات لسور القرآن الكريم وأسفار العهد القديم...

وقد وردت أغلب الروايات والتفاسير لقصة يوسف عليه السلام فى تفسير الطبرى[1]. كما تضمن الجزء الأول من تاريخه روايات مفصلة للقصة بنيت حول التفسيرات التى وضعت لآيات السورة[2]... ويرجع الكثير منها إلى أصول إسرائيلية. ولقد كانت هذه الأصول ذات طبيعة شعبية، فقد عاشت هذه القصة

---

(١) الطبرى، تفسير الطبرى : يبدأ تفسير سورة يوسف من ص ١٥٠ من الجزء الثانى عشر ويستمر إلى نهاية هذا الجزء وبداية الجزء الثالث عشر وتنتهى أحداثها عند ص ٨٩ من الجزء الثالث عشر من الطبعة الثانية الصادرة بمصر سنة (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م)

(٢) الطبرى : تاريخ الطبرى، تحتل قصة يوسف مساحة كبيرة من الجزء الأول من تاريخ الطبرى، وذلك من ص ٣٠٣ وتنتهى عند ص ٣٧١ من طبعة بريل ١٩٦٤ م .

بين الشعب اليهودى قرونا متعددة وأضاف إليها خيالهم الكثير من التفصيلات التى لم ترد فى كتابهم .. وهكذا أصبحت هذه التفصيلات القصصية أصلا لتلك المواقف الكثيرة التى صورها كثير من شعراء الفرس الذين نظموا القصة.. وقد نسّق الثعلبى فى كتابه: «عرائس النفائس» والكسائى فى كتابه «قصص الأنبياء» هذه الروايات فى صورة قصصية تتفق أغلبها فى مادتها وترتيبها مع المنظومة المنسوبة للفردوسى.

وسأنقل فيما يلى العناصر الرئيسية التى انطوت عليها هذه القصة، والتى كان لها أثرها فى خيال ناظم القصة المنسوبة للفردوسى وكذا منظومة الجامى ومن سار على دربهما من شعراء الفرس، كما كان لها أثرها فى امدادهم بالمواقف التى تتيح الإفاضة فى القول والانطلاق فى تفسير المواقف.

اولا: جمال يوسف[1]

وردت فى جمال يوسف أحاديث وأخبار متعددة أذكر جانبا منها فيما يلى: -

أ - عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسرى بى إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال هذا يوسف، قالوا كيف رأيته يارسول الله، قال: كالقمر ليلة البدر[2].

ب - خبر عن أبى اسحق عن عبد الله بن أبى فروه: «كان يوسف إذا سارفى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران، كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران.

جـ - عن وهب بن منبه: الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس».

د - قال وهب بن منبه : «كان النور يزهر بين عينيه ويظهر من بين جلده ولحمه كما يزهر المصباح فى الزجاجة البيضاء، واذا ابتسم بدت ثناياه كأنها در منظوم ووجهه كالبدر ليلية تمامه وكماله[3].

---

(١) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٣٦٨ : بيروت ١٩٧٢ م

(٢) الثعلبى : قصص الانبياء ص ١١٤، مصر، ١٩٨٠

(٣) الكسائى : قصص الأنبياء، ص ١٩٣، ليدن ١٩٢٣ م

ثانيا: الرؤيا[١]:

«إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين» (سورة يوسف آية ٤»)

ويفسر وهب بن منبه هذه الآية الكريمة على النحو التالى: كان يعقوب ينوم يوسف إلى جانبه، فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى إذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه إلى صدره، وقَبَّلَ بين عينيه، وقال ياحبيب أبيه ما الذى أصابك ؟ فقال: يا أبتى رأيت رؤيا افزعتنى، فقال يابنى خيرا رأيت ما الذى رأيت قال يوسف: كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبَّحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنى ألْبِسْتُ رداءً أشرقت الأرض من حسنة ونوره، ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لى ساجدين. فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف ولا تخبرى أولادى بذلك، فقالت: نعم. فلما اقفل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا، فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا وبالقمر غيرك[٢] ولا بالكواكب غيرنا، ثم قالوا : إن ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وانتم عبيدى فحسدوه على ذلك[٣].

---

(١) كفافى : فى الأدب المقارن ص ٣٦٤ .

(٢) الثعلبى : قصص الأنبياء: ص ١١٦، ص ١١٧.

(٣) ينقل الزمخشرى فى «الكشاف» عن وهب بن منبه «الرؤيا التى ذكرتها التوراة والتى وردت فيما بعد فى منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ومفادها. أن يوسف عليه السلام رأى فى منامه. وهو ابن سبع سنين - أن إحدى عشر عصا طوالا كانت مركوزة فى الأرض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها. فوصف يوسف ذلك لأبيه فقال له: إياك ان تذكر ذلك لاخوتك. ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه، فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل».
(ابو القاسم الزمخشرى الخوارزمى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجود التأويل» ج ٢، ص ٣٠٢، مصر ١٩٦٦م .

ثالثا: المؤامرة[1]:

وردت أحداث المؤامرة على قتل يوسف فى خمس آيات كريمة (من الآية ١١ - ١٥ من سورة يوسف). وقد وضع المفسرون حول هذه الآيات الكريمة تفصيلات كثيرة أختار منها ما يلى : أجمعوا أمرهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب: إن أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه، فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم، فأقبل عليهم وقال: ياأخوتاه انطلقوا إلى أبى واسألوه أن يرسلنى معكم «قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا يرتع ويلعب وإناله لحافظون فقال لهم يعقوب: إنه ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك[2] قال ابن عباس وغيره: وإنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه وإذا ذئب منها يحمى عنه، وكأن الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام، فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم: وأخاف أن يأكله الذئب[3].

أما عن القائه فى البئر فإن الكسائى[4] يحكى نقلا عن وهب ابن منبه رواية مفادها أن يهوذا قال لاخوته لما اخذوا يوسف لقتله «لا تقتلوه بل القوه فى غيابة الجب، فجروا يوسف إلى جب عميق على قارعة الطريق وكان ضيقا وماؤه ما لحا وكان قد حفره سلم بن نوح مكتوب عليه «هذا جب الأحزان» ثم نزعوا ما كان عليه من الثياب وشدوا وسطه بالحبل وأدلوه، ولما قرب من وسط البئر أطلقوا الحبل من أيديهم لكى يقع ويموت فجاءه جبريل وأخذه بجناحيه قبل أن يصل إلى قعر

---

(١) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٣٧٠.

(٢) الثعلبى : قصص الأنبياء : ص ١١٨

(٣) يروى القرطبى رواية أخرى مفادها أن الإخوة لما تفاوضوا وافترقوا على رأى المتكلم الثانى عادوا إلى يعقوب وقالوا هذا القول ومعنى ذلك أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى.

(القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ج ٩، ص ١٢٨، مصر ١٩٢٩ م)

(٤) الكسائى : قصص الأنبياء : ص ١٥٩.

الجب وقال له: لا تخف يا يوسف فإن الله معك . فبسط جبريل على وجه الماء صخرة عظيمة كانت فى قعر الجب وأجلس عليها يوسف وأتاه بطعام وشراب من الجنة»[1].

رابعًا : يوسف يُحْمَلُ عبدا إلى ارض مصر[2]:

تمضى القصة بعد ذلك فتصور عثور إحدى القوافل المسافرة على يوسف فى البئر، وهنا يظهر اخوة يوسف وَيَدَّعُونَ أنه عبدا أبق وأنهم مالكوه[3] ويحصلون من أحد أفراد القافلة وهو «مالك بن ذعر» على ثمنه ويحذرونه منه مدعين أنه كاذب سارق. وفى الطريق إلى مصر يختفى يوسف من صاحبه بعض الوقت، وذلك لأنه مر على قبر أمه فتوقف عنده يناجيها ويشكو لها ما أصابه ويعثر على يوسف فيضرب ويؤخذ إلى مصر فيشتريه عزيز مصر قطفير بن رحيب وكان الملك يؤمئذ الريان بن الوليد ويوصى به امرأته. وتعشق امرأة العزيز يوسف وتراوده عن نفسه بعد أن يتملك الحب قلبها. وتحاول القصة أن تختلق لها عذرا فى ذلك فتصف قطفير بأنه كان رجلا ناقص الرجولة»[4]. وهناك تفصيلات كثيرة حول مشاهد الاغراء والاغواء التى اصطنعتها امرأة العزيز للظفر بيوسف» وكانت حسناء ناعمة فى ملك ودنيا[5].

---

(١) يذكر الزمخشرى فى «الكشاف» رواية اخرى تتطابق فى تفاصيلها مع الصورة الشعرية التى رسمها مؤلف منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ومفادها " أن اخوة يوسف اتفقوا فيها بينهم على القائه فى جب يبعد ثلاثة فراسخ عن منزل يعقوب وفى الطريق إلى البئر أظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالاهانه والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء. فقال لهم يهوذا: أما أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه». فلما ارادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه، فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه . فقال لهم يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به. وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له «ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك، ودلوه فى البئر» (الزمخشرى : الكشاف : ج ٢، ص ٣٠٦، ص ٣٠٧)

(٢) كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٢٧٥.

(٣) مما يرويه الألوسى فى هذا الشأن أن اخوة يوسف جاءوا إلى البئر وقالوا للسيارة أن يوسف عبد لهم أبق، فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه، وقالوا له بالعبرية : فنقتلك . فاقر بها واشتروه منهم . (الألوسى: روح المعانى : ج ١١، ص ١٨٣ . طبعة المطبعة المنيرية بمصر).

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ١، ٢٧٩، ٢٨٠، طبعة بريل ١٩٦٤ م

(٥) الثعلبى: قصص الأنبياء : ص ١٢٥ .

خامسا:حادث المراودة:

وردت فى مسألة المراودة والهم اقاويل كثيرة وروايات وتفسيرات شتى داخل أغلبها الاسرائيليات وسأوجزجانبا منها فيما يلى:

يقول القرطبى فى ذلك[1]: وفى الخبر أنها قالت له حين همت به: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك . قال فى الرحم صورنى ربى، قالت يايوسف ما أحسن شعرك قال: هو أول شىء يبلى منى فى قبرى، قالت: يايوسف ارفع بصرك فانظر فى وجهى. قال إنى أخاف العمى فى آخرتى. قالت يا يوسف أدنو منك وتتباعد منى ؟ قال أريد بذاك القرب من ربى. قالت يا يوسف القيطون فادخل معى. قال القيطون لا يسترنى من ربى. قالت يا يوسف فراش الحرير قد فرشته لك فقم فاقض حاجتى قال إذن يذهب من الجنة نصيبى. إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها إلى أن هم بها وما حدث له بعد ذلك عند ما رأى برهان ربه»[2].

سادساً: مسألة البرهان:

هناك اقاويل كثيرة عن مسألة البرهان الذى رآه يوسف عليه السلام نختار منها رأى الألوسى[3]. وفى ذلك يقول الألوسى: ـ ورووا فى البرهان روايات شتى منها ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن على كرم الله وجهه أنها قامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت فى ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه. فقال أى شىء تضعين ؟ فقالت استحى من الهى أن يرانى على هذه السوٰة . فقال تستحين من صنم لا يأكل ولايشرب ولا أستحى أنا من الهى الذى هو قائم على كل نفس

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ج ٩، ص ١٦٥، مصر ١٩٣٩ م

(٢) يقول الثعلبى عن حادث المراودة :

«وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم فى ذلك وقالوا : لما أرادت إمراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له نفسه وتشوقه إلى نفسها، فقالت له يا يوسف : ما احسن شعرك، قال: هو اول شىء ينثر من جسدى، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك، قال: هى أول ما يسيل على الأرض، قالت: ما أحسن وجهك، قال: التراب يأكله. قال فلم تزل تأمره حتى تمناها زوجة له .

(الثعلبى : قصص الأنبياء ص ١٢٥ .

(٣) الألوسى : روح المعانى ج ١١، ص ١٩٢.

بما كسبت. ثم قال : لا تناليها منى أبدا[1]. ومنها أنه عليه السلام مُثِّلَ له يعقوب عليه السلام فضرب بيده على صدره»[2].

سابعا : الشاهد:

اختلف العلماء فى شخصية الشاهد، فقال بعضهم أنه كان ابن عم لها كان مع زوجها ودخلا معا وشاهدا ما حدث من قد قميصه من الخلف. وقال آخرون: «كان صبيا فى المهد انطقه الله تعالى ويدل عليه حديث بن عباس عن النبى ﷺ قال : تكلم أربعة فى المهد وهم صغار وعد منهم[3] شاهد يوسف»، كما قيل إن الشاهد كان القميص وقده من دبره فتلك الشهادة. فلما رأى الزوج ذلك قال لراحيل : إنه من كيدكن، ثم قال ليوسف: اعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد . ثم قال لزوجته استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين»[4].

ثامنا: القميص:.

من الاسرائيليات الأخرى التى حفلت بها كتب التفسير وكتب القصص القرآنى وكان لها تأثير على شعراء الفارسية مسألة قميص يوسف وتذهب أقوال المفسرين فى ذلك كل مذهب، حتى أنها تنسبه إلى إبراهيم عليه السلام . فتزعم أن جبريل عليه السلام كان قد جاء به من الجنة وألبسه إبراهيم حين ألقى به فى النار فلم تصبه النار بسوء[5]. ثم جعل إبراهيم عليه السلام هذا القميص ميراثا

(١) يذكر العلامة أبو السعود رواية أخرى عن البرهان وهى ان يعقوب عليه السلام قد تمثل ليوسف عاضا على انملته . وقيل ضربه على صدره فخرجت شهوته من أنامله».
(أبو السعود محمد العمادى: ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) (ج ٥، ص ١٧٩ . مصر ١٢٨٩ هـ)

(٢) ينفى الألوسى ما ورد عن أصحاب الاسرائيليات فى مسألة الهم والمراودة ويقول: «وجل تلك الروايات بل كلها مأخوذ من مسئلة أهل الكتاب» إذ المراد بالهم انه هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك».
الألوسى: روح المعانى: ج ١١، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ١ ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) يضيف القرطبى شاهدا آخر غير الذى ذكرهم الطبرى وهو انه كان رجلا حكيما ذا عقل ومرؤة وكان الزوج «الوزير» يستشيره فى كل أموره، وكان من جملة اهل المراة وكان مع زوجها. القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ١٧٢، ١٧٣.

(٥) يذكر الألوسى بعض هذه الروايات فيقول : وكان عند يعقوب قميص إبراهيم عليه السلام الذى كساه الله تعالى إياه من الجنة حين ألقى فى النار وكان قد جعله فى قصبة من فضة وعلقه فى عنق يوسف لما خرج مع أخوته. فلما صار فى البئر أخرجه ملك وألبسه إياه فاضاء له الجب فَعَذُبَ ماؤه وكانَ يغنيه عن الطعام والشراب
(الألوسى : روح المعانى : ج ١١ ،ص ١٧٦)

فى ذريته أعطاه اسحق، ثم اعطاه اسحق ليعقوب ، ثم ها هو يوسف يدفع به إلى اخوته ليلقوه على وجه أبيه فيرتد بصيرا ويأت بتلك المعجزة الخارقة ..

* * * * * *

إذا تأملنا جوانب من هذه المادة القصصية وجدنا كيف كانت تحمل فى جوانبها عناصر الفن القصصى غزيرة فياضة حتى دفعت من أسلم من الاسرائيلين إلى أن يدخل بعضا منها فى تفسير السورة الكريمة وتَقَبَّلها كثير من المسلمين على أنها حقائق تاريخية. كانوا لا يتوقفون كثيرا فى البحث حول حقيقة القصص الذى يذكره لهم أهل الكتاب ما دام لا يحل حراما ولا يحرم حلالا[1].

هذا .. وقد حرصت على عرضها رغبة منى فى إيضاح ما تحمله فى ثناياها من إسرائيليات كثيرة كان لها تأثيرها على الشعراء الذين نظموا هذه القصة، وبصفة خاصة على ناظم القصة المنسوبة للفردوسى..

---

(١) محمد كفافى؛ فى الأدب المقارن؛ ص ٣٦٧.

الفصل الثالث

منظومات يوسف وزليخا الموجودة بين أيدينا

أولاً:

المنظومة المنسوبة للشاعر أبى القاسم الفردوسى

القسم الأول

الشاعر أبو القاسم الفردوسى

«عصره السياسى والعلمى - سيرته - مؤلفاته»

عصر الفردوسى:

يتسم القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه الفردوسى باتساع رقعة العالم الإسلامى وتعدد الدول الإسلامية التى تعاقبت خلال تلك الحقبة من الزمن.. ففى سنوات ذلك القرن كان قد ظهر فى كل ركن من أركان الدولة الساسانية القديمة دولة جديدة، فكان هناك دولة السامانيين فى خراسان وما وراء النهر، والدولة الزيارية، والدولة البويهية والدولة الغزنوية.

أما الدولة السامانية فقد ضعف شأنها فى ذلك الوقت ضعفا شديدا ولم يعد بأيديهم سوى إقليم ما وراء النهر بعد أن انتزعت خراسان منهم على يد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية. وحتى هذا الاقليم لم يدم بأيديهم طويلا، لأن ايلك خان استطاع بجيشه أن يزحف اليه فى سنة (٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) وأن يضع بذلك نهاية للدولة السامانية.. وهكذا تهيأ الأمر للسلطان محمود الغزنوى - أشهر ملوك هذه الدولة وأبرز أعلام التاريخ الاسلامى فى تلك الفترة - أن يقوم بسلسلة من الغزوات لبلاد الهند ورفع راية الاسلام بين ربوع شبه القارة الهندية لتمتد بذلك دولته امتدادا عظيما فتشمل خراسان وطبرستان فى الغرب، وتركستان وماوراء النهر فى الشمال واقليم البنجاب كله وما حوله..

وكان لانتصارت السلطان محمود الغزنوى العسكرية ووفرة الغنائم والأموال التى تدفقت على غزنة[1] أثرها فى رواج الفن والأدب، إذ جعلت منه هذه الانتصارات بطلا شعبيا تروى حوله القصص والأشعار[2]. يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من أن السلطان محمود لم يكن مجرد قائد عسكرى ينتقل من غزوة إلى أخرى، ولكنه طبقا للمصادر التاريخية كان رجلا محبا للشعر منشدا له فى كثير من الأحيان[3] ويصفه العتبى قائلا: وحاز الله له من البسطة فى العلم والحلم والهيبة والاسم والحسم والظفر ما جايش به الأعداء[4]».

وقد امتازت هذه الفترة بتقدير الأمراء لرجال الأدب والسعى إلى إرضائهم. فقد كان كل أمير يريد أن يتفوق على أقرانه فى كثرة ما يحوطه من رجال العلوم

(١) يصف الكرديزى فى «زين الأخبار» عودة السلطان منتصرا من احدى معاركه مع جيبال ملك الهند قائلا: «وظفر السلطان محمود بالنصر وقهر جيبال وهلك الكفار. وقتل المسلمون منهم فى هذه المعركة خمسة آلاف كافر وأسروا جيبال مع خمسة وعشرين من أبنائه واخوته" الكرديزى: زين الأخبار، ت عفاف زيدان ، ص ٢٨٥ . مصر ١٩٨٢ م .

(٢) يصف العتبى ـ مؤرخ السلطان محمود ـ الغنائم التى أحضرت من احدى معارك السلطان محمود فى الهند قائلا «فصادف السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب ما لا تقله ظهور الأجمال ولا تسعه أوعية الأحمال ولا تنسخه أيدى الكتاب. وكان مبلغ المنقول من الورق سبعون الف ألف درهم شامية ومن الذهبيات والفضيات مائة الف وأربعمائة من درهم وزناء (العتبى: تاريخ يمينى : ص ـ ٢٢٥، ٢٢٦ ، نسخة خطية، لاهور ١٨٩٧هـ.

(٣) أورد محمد عوفى فى «لباب الألباب» بعض الأبيات ذكر أن السلطان محمود الغزنوى قالها فى رثاء جارية له اسمها «كلستان»، يقول فيها:

- تاتواي ماه زيرخاك شدى	خاك رابر سپهر فضل آمد
- دل جزع كرد اى دل صبر	اين قضا ازخداى عدل آمد
- آدم ازخاك بود خاك شدى	هركه زاو زاد باز أصل آمد

والمعنى:

- منذ أن صرت أيها القمر تحت التراب	صار للأرض فضل على الفلك
وقد جزع قلبي فقلت صبرا أيها القلب	إن هذا القضاء حل عدلا منه
- فقد كان آدم من تراب وصار إلى التراب	ولا بد أن تلحق سلالته بأصلها

(محمد عوفى: لباب الالباب ، جـ ١ ص ٢٤ ، ليدن ١٩٠٦ م)
(ترجمة الأبيات نقلا عن : د محمد نور الدين : دراسات فى الشعر الفارسى ص ٢٣ ، ٢٤ مصر ١٩٨٦م

(٤) العتبى : تاريخ يمينى : ، ص ١٠
هذا ويقول ابن الاثير فى وصف شخصية السلطان محمود الغزنوى :
«كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب فى فنون العلوم وقصده العلماء من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم»
(ابن الأثير : التاريخ الكامل : المجلد التاسع ، ص ٤٠١ ، بيروت ١٩٦٨ م)

والفنون. ولهذا فقد تعددت المراكز الأدبية بين غزنة عاصمة محمود الغزنوى ونيسابور عاصمة أخيه أبى المظفر نصر فى ولاية خراسان وبخارى. إضافة إلى قصور العلويين والزياريين فى ولاية طبرستان وقصور ملوك خوارزم الثلاثة المعروفين باسم آل مأمون فى مدينة خيوة[1]. هذا بالإضافة إلى اشتغال مجموعة من هؤلاء الأمراء ووزرائهم بالأدب والعلم، ومن هؤلاء: الصاحب بن عباد وزير البويهيين فى اصفهان والرى (٣٨٥ هـ/ ٩٩٥ م)[2] وشمس المعالى قابوس بن وشمكير (م ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م)، ومأمون الثانى ملك خوارزم («م ٤٠٧ هـ / ١٠١٧م)[3].

وقد نتج عن ذلك كله ازدهار الفنون والعلوم والآداب فى شتى مجالات الحياة . وكان للشعر الفارسى النصيب الأكبر فى النضوج والازدهار وقد تم ذلك بفضل نبوغ مجموعة من رواد الشعر الفارسى ذكر منهم عوفى:

الدقيقى والعنصرى والعسجدى والفرخى ومنوجهرى وأسدى . وجماعة أخرى تالية لهم فى المنزلة نذكرمنهم: بهرامى وبندار الرازى وغضائرى الرازى والكسائى وأبى سعيد بن أبى الخير صاحب الرباعيات الصوفية . وفى مقدمة من ذكرنا يأتى الفردوسى أشهر شعراء الفارسية ..

---

(١) حكمت هذه الاسرة بلاد خوارزم. وقد بداوا حياتهم كولاة تابعين للسامانيين.وفى الفترة بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية كانوا شبه مستقلين. وكان آخر امراء هذه الدولة أبو العباس المأمون قد تزوج بشقيقة السلطان محمود. وفى عام (٤٠٧ هـ) قام بعض جنود المأمون بثورة ضده وقتلوه. مما أدى إلى تدخل صهره السلطان محمود الغزنوى فتقدم إلى خوارزم واستولى عليها. تاريخ بيهقى: أبو الفضل البيهقى: ت يحيى الخشاب. ص٧٤٢ ، مصر ١٩٥٦ م.

(٢) يتحدث ابن الاثير عن مناقب الصاحب ابن عباد فى حوادث سنة ٣٨٥ هـ) قائلا: ـ
«كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا وجودة راى وكرما عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة وموادها ، ورسائله مشهورة ومدونة ـ طبعت رسائله فى مصر سنة (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره ، حتى أنه كان يحتاج فى نقلها إلى اربعمائة جمل . وتوفى سنة (٣٨٥ هـ)
(ابن الأثير : حوادث سنة ٣٨٥ هـ ج ٩ ـ ص ١١٠ الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٦٨ م .

(٣) يضاف إلى من ذكرناهم أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى (م ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) الذى ولى ديوان الرسائل على عهد السلطان محمود الغزنوى وصاحب الكتاب المشهور «تاريخ بيهقى» ويقال أنه وصل إلى منصب صاحب الديوان فى عهد السلطان عبد الرشيد .
(نقلا عن : السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى ، ص ٢١٤)

ويذكر المؤرخون أنه ساد هذه الفترة التاريخية تياران من الشعر الفارسي . الأول : الشعر المحلمي[1]. والثاني الشعر الغنائي ..

أما الشعر الملحمي فترجع بدايته إلى الدولة السامانية حيث حرصت هذه الدولة على إحياء الحضارة الفارسية والعودة إلى ما كانت عليه أيام حكم السامانيين..

وفي سبيل إحياء القومية الإيرانية عملت الدولة على تشجيع الأدباء والشعراء على التنقيب في تاريخ إيران القديم وإخراج كل ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز بالقومية الإيرانية وتأليف الكتب والقصص في هذا الشأن . كما ازدهرت حركة الترجمة لأمهات الكتب العربية. نذكر منها ـ على سبيل المثال ـ ما قام به الوزير أبو علي محمد البلعمي» (م ٣٦٣ هـ) من ترجمة لتاريخ الطبري سنة (٣٥٢ هـ / ٩٦٣م). كما ترجم تفسير الطبري بأمر أبي صالح منصور بن نوح الساماني.[2] ويذكر ذبيح الله صفا أنه قد صاحب ذلك انتشار الثقافة البهلوية وشيوع كتب الفرس القديمة مترجمة في أغلب الأحوال على يد فريق من المترجمين المسلمين حتى أن كتاب «خداى نامه» بلغ عدد مترجميه إلى العربية أحد عشر مترجما[3]..

كما اهتم العديد من مؤرخي التاريخ الإسلامي بالحديث عن سير ملوك الفرس[4] وقد انتشرت تلك المؤلفات ـ جنبا إلى جنب ـ مع الثقافة الفارسية

---

(١) يقسم ذبيح الله صفا هذا النوع من الشعر إلى قسمين الأول: حماسة الأساطير والبطولات: وهي تلك التي تستقي مادتها وأحداثها من عصر ما قبل التاريخ مثل المهابهارتا والرامينا في الأدب الهندي. ومثل كرشاسب نامه وبهمن نامه وبروزنا مه في الأدب الفارسي.

أما النوع الثاني : فهي الحماسة التاريخية : وهي تلك المنظومات التي تستمد مادتها من أحداث التاريخ ووقائعه مثل : ظفر نامه لحمد الله مستوفي القزويني، وشاهنشاه نامه لملك الشعراء صبا. ويقول ذبيح الله صفا إن هذا النوع من الشعر قد ظهر متأخرا عن الشعر الغنائي.

ذبيح الله صفا : حماسة سرائي : ص ٦ ، ٧ ، ١٤ ، طهران ١٩٥٤ م.

(٢) حكم في الفترة من (٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ / ٩٦٦ ـ ٩٧٦ م)

(٣) ورد ذكر هؤلاء في كتاب «حماسة سرائي» على النحو التالي: ابن المقفع ومحمد بن جهم البرمكي وزادويه بن شاهويه الاصفهاني ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وهشام بن قاسم الاصفهاني وموسى بن عيسى الكسروي وبهرام بن مردان شاه وإسحق بن يزيد وعمر بن الفرخان وبهرام الهروي المجوسي وبهرام بن مهران الاصفهاني . حماسة سرائي : ص ٦٩.

(٤) يحدثنا حمزه الاصفهاني المتوفي في حدود سنة (٣٦٠ هـ) في كتابه: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء المؤلف في حدود سنة (٣٥٠هـ) عن كيفية كتابة تاريخ ملوك الفرس وسيرهم وطبقات ملوكهم فيقول: «لم يكن لي في حكاية ما يقتضي هذا الباب ملجأ إلا جمع النسخ المختلفة النقل، فاتفق لي منها ثماني نسخ هي: كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ـ كتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن جهم البرمكي ـ كتاب تاريخ ملوك =

التى وجدت لها أرضا خصبة بين الإيرانيين، وخاصة أهل البيوتات[1] والدهاقين والموابذة الذين كانوا يحفظون سلسلة أنسابهم، ويتناقلون فيما بينهم حكايات البطولة والفداء التى قرأوها فى كتب خداينامه، ودينكرد نامه وكتاب تنسر وغيرها من كتب الفرس وقصصهم و... يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من ظهور روح التنافس بين ملوك وأمراء الدول الإسلامية الفارسية على اصطحاب رجال العلم والأدب، حتى وصف السلطان محمود الغزنوى بأنه من كبار الخاطفين لرجال العلوم والآداب والفنون «وليس ببعيد عن الأذهان قصة الصراع بينه وبين مأمون بن مأمون أمير خوارزم يوم طلب منه أن يبعث اليه بابن سينا والبيرونى وابن سهل المسيحى والحسن بن الخمار وأبى نصر العراق».

يضاف إلى ماسبق من عوامل ما ذكره المؤرخون من اهتمام نفر من وزراء هذا العصر ـ ممن لهم جذور فارسية ـ بالشعر الحماسى الذى يدور حول تاريخ الفرس القديم . وأوضح مثال لهؤلاء أبى منصور محمد بن عبد الرزاق صاحب الشاهنامة المنصورية المنثورة، والذى كان قائدا للجيوش بخراسان (٣٤٩ هـ) على عهد وشمكّير الزيارى. وكان من أهل طوس ومن المتعصبين لإحياء مجد الفرس القديم، فكلف وزيره أبا منصور المعمرى والذى كان ـ مثله إيرانى الأصل متعصبا

= الفرس المستخرج من خزانة المأمون ـ كتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الاصبهانى ـ كتاب سير ملوك الفرس من نقل وجمع محمد بن مطيار الاصبهانى ـ كتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام بن مردان شاه موبذ كورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب» .. ثم يفصل الاصفهانى بعد ذلك القول عن ملوك الفرس من العهد البيشدادى حتى العهد الساسانى.

(حمزة الاصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء. ص ١٣وما بعدها. بيروت ١٩٦١ م)

(١) من هؤلاء حمزة الاصفهانى فى كتابه «تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء» والدينورى فى كتابه «الأخبار الطوال»، وابن النديم فى كتابه «الفهرست» والبيرونى فى كتابيه «الآثار الباقية» و«تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مرذولة» وابن مسكويه فى كتابه «تجارب الأمم»، والمسعودى فى كتابيه «مروج الذهب والتنبيه والإشراف»، والطبرى فى الجزئين الأول والثانى من كتابه «تاريخ الرسل والملوك .. وابن الأثير فى الجزء الأول من كتابه، «الكامل فى التاريخ» والثعالبى فى كتابه «غرر ملوك الفرس» والعتبى فى كتابه «تاريخ يمينى».

لتاريخ قومه ـ بتولى تلك المهمة . وقد تحدث البيرونى فى (الآثار الباقية) عن هذه الشاهنامة وعن ذيوعها وانتشارها بين الإيرانيين قبل أن يؤلف الفردوسى شاهنامته الشعرية[1]..

وقد نتج عن ذلك كله أن تزايد الشعور القومى عند الفرس ـ حكاما ومحكومين ـ وتسابق الشعراء على جمع هذه المادة الخصبة التى أتيحت لهم من تراث الأجداد وتنسيقها وصياغتها فى قوالب شعرية ونثرية. ومن هنا انتشرت الشاهنامات الشعرية والنثرية ذات الطابع الحماسى والتى يتغنى فيها مؤلفوها بأمجاد وبطولات أجدادهم الفرس..

ويذكر عبد الوهاب عزام أن بداية هذا النوع من الشعر كانت على يد مسعود المروزى سنة (٣٠٠ هـ) وكانت شاهنامته ذائعة الصيت فى الوقت الذى كان فيه الفردوسى مشغولا بنظم شاهنـامته.. ويكفى أن نذكر فى هذا المجال أنه كان هناك خمس شاهنامات[2] سابقة على شاهنامة الفردوسى وأنه كان هناك اثنين وعشرين كتابا تاليا لشاهنامة الفردوسى يجرى أغلبها فى فلك واحد وتستقى مادتها من مصادر متشابهة فى مجموعها وإن اختلفت فى تفاصيلها[3]..

---

(١) البيرونى: الآثار الباقية: ص ١١٦ ليبزج ١٩٢٣ م .

(٢) هذه الشاهنامات هى على النحو التالى: ـ

أ ـ شاهنامة مسعود المروزى التى ألفت فى حدود سنة (٣٠٠ هـ).

ب ـ شاهنامة الدقيقى المعروفة باسم كشتاسب نامه .

جـ ـ شاهنامة ابى المؤيد البلخى النثرية التى كتبها فى حدود سنة (٣٥٢ هـ).

د ـ شاهنامة أبى منصور بن محمد بن عبد الرزاق النثرية المؤلفة فى حدود سنة (٣٤٦ هـ).

هـ ـ شاهنامة أبى على محمد بن أحمد البلخى المنثوره والتى لم يعرف تاريخ تاليفها.

(نقلا عن : عبد الوهاب عزام : الشاهنامة ت البندارى ـ المدخل من ص ٣٣ ـ ص٣٩) القاهرة ١٩٣٢ م).

(٣) هذه الكتب هى على النحو التالى:

كرشاسب نامه لأسدى الطوسى (٤٥٨ هـ) ـ بهمن نامه لايران شاه بن أبى الخير (أواخر القرن الخامس الهجرى) ـ فرامرزنامه المنثورة والتى كانت معروفة فى القرن الخامس الهجرى ومجهولة المؤلف ـ كوش نامه لايران شاه بن ابى الخير (٥٠١ هـ) ـ بانو كشتسب نامه من آثار القرن الخامس الهجرى ـ برزونامه وتنسب إلى شاعر اسمه عطاى الرازى وكان معاصرا لمسعود سعد بن سلمان ـ شهريار نامه لسراج الدين عثمان القرنى المتوفى (٥٤٤ هـ أو ٥٥٤ هـ) ـ آذر برزين نامه (مجهولة المؤلف) ـ جهانكير نامه وعدد أبياتها (٦٣٠٠ بيتا) وناظمها اسمه قاسم وتخلصه» مادح ـ اسكندر نامه للشاعر نظامى المولود بين (٥٣٣ هـ و ٥٤٠) فى مدينة =

أما الشعر الغنائى ـ والذى بدأ فى الظهور فى العهد السامانى بفضل الرودكى السمرقندى (م ٣٢٩ هـ) وأبو الحسن شهيد البلخى (م ٣٢٥ هـ) والدقيقى (م ٣٦٥ هـ) وغيرهم ـ من شعراء هذا العهد ـ فقد أصبح يمثل ظاهرة عامة وسمة من سمات الأدب فى العصر الغزنوى.. وكان من الطبيعى أن تغمر الروح الغنائية دروب شعراء هذا العصر وخيالاتهم بسبب العوامل التى ذكرناها من قبل، من وفرة الغنائم والأموال التى تدفقت على غزنة بعد انتصارات السلطان محمود المتواليه فى الهند . يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخون من أن السلطان محمود كان يريد برعايته للآداب والعلوم والفنون ـ أن يجعل من نفسه شخصية محببة لدى عامة المسلمين . فجمع حوله العلماء والأدباء والشعراء على اختلاف مذاهبهم[1] واحتلت غزنه مكانة مرموقة تفوق مكانة خراسان على عهد السامانيين. فقد حرص السلطان محمود على أن يجعل منها قبلة الشعراء ومحط

=كنجة ـ سام نامه للشاعر خواجو الكرمانى من شعراء القرن السابع الهجرى ـ آئينه اسكندرى للأمير خسروبن الأمير سيف الدين الدهلوى المولود فى الهندسنة (٦٥١ هـ) والمتوفى فى دهلى سنة (٧٢٥هـ).
وخرد نامه اسكندرى للشاعر نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الدشتى المتخلص بجامى والمولود فى سنة (٨١٩ هـ) والمتوفى سنة (٨٩٨ هـ) ـ قصة ذى القرنين للشاعر بدر الدين الحسينى من شعراء القرن العاشر بالهند ـ ظفرنامه : لحمد الله مستوفى القزوينى صاحب تاريخ كزيده والمؤلفة سنة (٧٣٥ هـ شهنشاه نامه. وهى من تأليف القزوينى ايضا والمؤلفة فى حدود سنة (٧٣٨ هـ) غازان نامه للشاعر نور الدين بن شمس الدين بن محمد الفها سنة (٧٦٣ هـ) .. شاهنامة هاتفى: ألفها الشاعر هاتفى سنة (٩١٧ هـ) خاور نامه: للشاعر محمد بن حسام الدين من شعراء القرن التاسع الهجرى وانتهى من تأليفها سنة (٨١٠ هـ) ـ صاحبقران نامه : وقد نظمت فى حدود سنة (١٠٧٢ هـ) ولا يعلم ناظمها ـ حملة حيدرى وناظمها ميرزا محمد رفيع المتوفى سنة (١١٢٣ هـ) فى دهلى ـ ارديبهشت نامه : نظمها ميرزا محمد على شمس الشعراء من شعراء العهد القاجارى . ويضيف ذبيح الله صفا المنظومات التالية : منظومة سوسن نامه : وهى جزء من برزونامه عطائى ـ بيزن نامه وهى أيضا للشاعر عميد عطاء ـ لهراسب نامه مجهولة المؤلف ـ داستان جمشيد مجهولة المؤلف ـ داستان كك كوهزاد مجهولة المؤلف ـ داستان شيرنك مجهولة المؤلف ـ نقلا عن : ذبيح الله صفا : حماسة سرائى من ٢٨٢ إلى ٣٥٢ هـ....

(١) كان السلطان محمود الغزنوى ـ كشأن الاتراك عموما سنيا متعصبا لمذهبه فحارب الشيعة والقرامطة وتعقبهم فى كل مكان . لكنه مع ذلك صادق كثيرا من العلماء الذين كانوا على غير مذهبه . وخير مثال على ذلك علاقته بابن سينا والبيرونى . فقد كان يهمه ارتباط هؤلاء العلماء به والتفافهم حوله سواء بالترغيب أو الترهيب . ولهذا فقد صوره براون تصويرا دقيقا حين قال عنه «طالما وصف الكتاب محمود الغزنوى بأنه كان نصيرا كبيرا للأدب والفنون . ولكنه فى رأيى أقرب إلى أن يوصف بأنه كان من كبار الخاطفين لرجال الأدب والفنون»
(على الشابى : الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى ص ١٧ و ١٨ تونس ١٩٦٥ م)

أنظار العلماء والأدباء. فأقام فيها عشرات المكتبات التى كانت عامرة بآلاف الكتب التى نقلها من غزواته المختلفة فى شتى بقاع الأرض كما استقدم العمال المهرة لتزيين مساجدها الأحد عشر ألف وبساتينها[1] وقصورها وحدائقها الغناء . وأحال بلاطها إلى جامعة عظمى تآلفت فيها مختلف المعارف والفنون[2]. وجعل منها بحق مباءة تُشَدُّ إليها الرحال[3].. واستحدث فى بلاطه منصب «ملك الشعراء وكان شاعره العنصرى» (م ٤٣٢ هـ ١٠٤٠/م) أول من شغل هذا المنصب.. ومما لا شك فيه أن إيجاد هذا المنصب ـ وما أحيط بصاحبه من مكانة مرموقة وجاه وعز وسلطان ـ جعل للشعر قيمة عالية ومنزلة سامية وجعل كل من يتطلع إلى هذا المنصب من الشعراء يجتهد ما وسعه الجهد فى تنميق شعره وتنقيحه وتجويده ليذاع بين الناس فى أبهى وأجمل صورة. وقد وصف مؤرخه العتبى ذلك قائلا «فوجدتهم ـ الشعراء ـ قد عولوا فى معانيها على ما سار فى أكناف الحضر من الأشعار الفارسية لازدحام شعرائها على بابه بقصائدهم التى عَبَّروا بها ديباجة الرودكى وصنعة الخسروى والدقيقى[4]..

ولهذا كله ارتقت فنون الشعر بألوانه المختلفة . وفتحت انتصارات السلطان محمود الباب على مصراعيه أمام شعراء الوصف. فازدهر فن الوصف وتعددت مجالاته لتشمل وصف الحروب والمعارك والحث على الجهاد واثارة الحماسة فى نفوس الجند.. كما ازدهر فن المديح وتغنى الشعراء بآيات المديح والثناء والاشادة بعبقرية السلطان وبسالته وما يبديه من ضروب الشجاعة والبسالة فى قتال الأعداء لنشر الدين الإسلامى وهدم حصون الكفر واعلاء كلمة الله فى أرضه. وكان العنصرى «ملك الشعراء» الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا الفن. كما ارتقى فن الغزل بفضل جهود نجوم الشعر الغنائى فى هذا العصر ومنهم: الفرخى والعسجدى والمنوجهرى (م ٤٣٢ هـ) وتشهد قصائد الغزل المنتشرة فى ديوان

(١) يتحدث العتبى عن اهتمام السلطان محمود بتزيين مسجد غزنة قائلا:

«ونقل إليه من أقطار الهند والسند جذوعاً توافقت قدورا ورصانة وتناسبت تدويرًا أو ثخانة وكأنها استودعت ارحام الأرض لأمر معلوم. وقد فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق ومضرب سحيق.(١) السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى ص ١٦.

(٢) على الشابى: الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى ص ١٨.

(٣) السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى : ص ١٥ مصر سنة ١٩٧٨ .

(٤) العتبى : تاريخ يمينى ص ١٣ .

العسجدى على رقة احساسه وسلامة طبعه وعذوبة معانيه[1]. كما تشهد أشعار الفرخى السيستانى (م ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م) والذى كان ما هرا ومبرزا فى فن الغناء والموسيقى والعزف ـ تشهد على شاعريته الفذة فى فن المديح.. وقد شمل ديوانه قصائد فى المديح والغزل ووصف الطبيعة ومجالس الطرب والشراب واحتفالات وسم الخيل وغزوات محمود الشهيرة على سومنات وغيرها من قلاع الكفر. كما امتاز المنوجهرى (م٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م) بمهارته فى فن الوصف باغراضه المختلفة[2].

وقد حرص هؤلاء الشعراء ـ الذين مر ذكرهم ـ على العناية برونق أساليبهم وعملوا على أن يوفروا له كل ما استطاعوا من عذوبة اللفظ ونعومته ورشاقته ونقائه وصفائه فى اطار نغم موسيقى شجى[3].

هذا الرقى الذى وصل اليه الشعر فى العصر الغزنوى انعكس على النثر وساهم فى رقى معانيه وافكاره، وتطوير أساليبه[4].

ذلك أن العوامل التى ذكرناها ـ والتى ساهمت فى ارتقاء الشعر ـ كانت هى نفسها من أسباب تطور النثر وارتقائه.

وقد شمل هذه التطور أغلب فنون النثر.

وكان أشهر هذه الأنواع وأكثرها ذيوعا وانتشارا فن كتابه الشاهنامات التاريخية، التى تدور موضوعاتها حول التاريخ العام لملوك الفرس وسيرهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ومن كتب التاريخ العام التى ظهرت فى هذه الفترة كتاب «زين الأخبار»[5] لأبى سعيد عبد الحى محمود الكرديزى (م ٤٤٢ أو ٤٤٣ هـ) وكان الكرديزى من كبار الكتاب والمؤرخين للدولة الغزنوية..

ومن فنون النثر الأخرى التى ظهرت فى هذا العصر فن التأريخ الخاص لأسرات معينة أو ملوك . وكان مؤرخو هذا النوع غالبا من رجال البلاط الذين

---

(١) يان ريكا تاريخ ادبيات ايران : ت عيسى شهابى : ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) يان ريكا تاريخ أدبيات إيران ص ٢٨١ ، طبع طهران ١٩٧٥ م.

(٣) يان ريكا : تاريخ ادبيات إيران : ت عيسى شهابى ، ص ٢٨١.

(٤) السباعى محمد السباعى: النثر الفارسى ص ١٦.

(٥) ترجمت هذا الكتاب عن الفارسية د. عفاف زيدان ونشر سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م بالقاهرة ثم عادت فى عام ٢٠٠٨م إلى إخراج الترجمة فى ثوب جديد وتنقيح فريد ونشره المركز القومى للترجمة.

عاشوا فى كنف ملوك تلك الأسرات ومن أبرز الكتب التى تمثل هذا النوع من النثر : كتاب «تاريخ بيهقى» الذى ألفه أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقى عن تاريخ الدولة الغزنوية من نشأتها حتى اوائل حكم السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوى[1] وكان البيهقى (٤٧٠ هـ ١٠٧٧ م) كاتبا لدى محمود ومسعود الغزنوى... وهناك كتاب آخر عن الدولة الغزنوية هو كتاب «تاريخ يمينى» الذى ألفه باللغة العربية أبو النصر محمد بن العتبى مؤرخ السلطان محمود الغزنوى والمتوفى سنة (٤٢٧ هـ / ١٠٣٥م) ثم ترجمه إلى الفارسية أبو الشرب ناصح بن ظفر سنة (١٦٠٣ م)[2].. كما برز فى هذه الفترة لون آخر من ألوان النثر الفارسى ذلك الذى تدور موضوعاته حول مدينة أو ولاية بعينها، وخير مثال على ذلك كتاب «تاريخ سيستان» الذى ألف فى حدود سنة (٤٤٥ هـ) ويؤرخ فيه مؤلفه المجهول لتاريخ الدولة الصفارية، وكذلك كتاب «تاريخ بخارا» الذى ألفه باللغة العربية عن تاريخ السامانيين محمد بن جعفر النرشخى (م ٣٤٨ هـ / ٩٥٩)، ثم نقله إلى اللغة الفارسية أبونصر قباوى وذلك فى أوائل القرن السادس الهجرى[3]. ومن كتب النثر الأخرى التى ظهرت فى هذا العصر الكتب ذات الطابع العلمى. وكان ذلك بفضل جهود عالمين جليلين، الأول أبو على بن حسين بن عبد الله بن سينا (م ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م) ومن مؤلفاته العديدة فى هذا المجال كتاب «دانش نامه علائى» الذى كتبه تلبية لرغبة علاء الدولة كاكويه الحاكم الديلمى. وترجع أهمية هذا الكتاب ـ كما يقول الدكتور السباعى محمد السباعى لاشتماله على الاصطلاحات المنطقية والفلسفية باللغة الفارسية واحتوائه على الدراسات المتعلقة بعلوم الهيئة والمنطق والطبيعيات[4]..

وأما العالم الثانى فهو ابو الريحان البيرونى (م ٤٤٤ هـ ١٠٤٨م) الذى كتب غالبية مؤلفاته باللغة العربية. أما آثاره الفارسية فمنها : كتابه فى الرياضيات والنجوم المعروف باسم: التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» والمؤلف سنة٤٢٤[5] هـ).

(١) ترجم الجزء الخاص بعصر السلطان مسعود إلى العربية يحى الخشاب وصادق نشأت سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م بالقاهرة.

(٢) السباعى محمد السباعى النثر الفارسى ص ٧٧ ، ٧٨.

(٣) ترجمه إلى العربية أمين بدوى ونصر الله الطرازى ونشرته دار المعارف بالقاهرة.

(٤) السباعى محمد السباعى؛ النثر الفارسى ص ١٠٨، ١٠٩.

٥) المرجع السابق.

ومن فنون النثر الأخرى التى تبحث فى علوم الأدب والبلاغة يذكر لنا د/السباعى محمد السباعى كتابين الأول «ترجمان البلاغة»[1] لمحمد بن عمر الرادويانى والثانى «خجسته نامة» الذى ألفه الشاعر بهرامى فى حدود سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) لكن أشهر كتب الأدب فى هذا العصر هو كتاب «قابوس نامه» لعنصر[2] المعالى كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير الزيارى المؤلف سنة (٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م) ويرى براون وغيره من المؤرخين أن هذا الكتاب من أجمل أمثلة النثر الفارسى وأرقاها عن هذه الفترة[3].

هذا... كما ازدهرت العلوم والآداب بفروعهما المختلفة.[4] وكان ذلك بفضل جهود دائبة ومخلصة لكوكبة من علماء وأدباء هذا العصر. نذكر منهم ابن سينا، والبيرونى، والفيلسوف ابا سهل المسيحى والطبيب أبا الحسن بن الخمار[5] والرياضى أبا نصر بن العرّاق[6] والمؤرخ أبا منصور الثعالبى[7] والمجوسى الطبيب[8]..

(١) نقل هذا الكتاب إلى العربية وقدم له وعلق عليه د. محمد نور الدين سنة ١٩٨٧ م . بمصر.

(٢) نقل هذا الكتاب إلى العربية د. أمين بدوى وصادق نشأت سنة ١٩٨٥ م بمصر.

(٣) بروان : تاريخ الأدب فى ايران : ت الشواربى، ص ٣٥٤ ، مصر ١٩٥٤م.

(٤) هناك أيضا من كتب البلاغة التى ذكرها د. السباعى فى كتابه: «النثر الفارسى» الكتب التالية: «غاية العروضين وكنز القافية للشاعر بهرامى السرخسى (النثر الفارسى ص ١٢١)، وهناك مجموعة أخرى من كتب النثر منها « كتاب تنسره الذى نقله إلى العربية د/ يحيى الخشاب، وكتاب ظفر نامه لابن سينا وكتاب فى العقائد لأبى القاسم اسحق السمرقندى (م٣٤٢هـ).

(٥) أبو الخير الخمار: هو الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام المعروف بابن الخمّار الفيلسوف المنطقى والطبيب المشهور. ولد فى بغداد سنة (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) وقرأ علوم الفلسفة والمنطق على يحى بن عدى، وبلغ الغاية القصوى فى هذين الفنين. اتصل بخدمة مأمون بن مأمون بن محمد بن خوارزم شاه . وعاش فى كنف الخوارزمشاهية إلى أن فتح محمود بلادهم سنة (٤٠٨ هـ) والواضح أنه مات سنة (٤٠٨ هـ) وكان معاصرا لابن النديم، وله فى الطب والمنطق ما يقرب من خمسة عشر مؤلفا.. نقلا عن : حواشى جهار مقالة " ص ١٧٠ ـ ١٧١ . ت: عزام الخشاب.

(٦) أبو نصر العراق : هو منصور بن على العراق من كبار الرياضيين فى القرن الرابع الهجرى ومن معاصرى البيرونى ، وقد كتب باسمه اثنى عشر كتابا فى فنون الرياضة المختلفة . وكان آل العراق من نسل ملوك خوارزم القدماء ونسبهم على مازعموا يتصل بكيخسرو.

(٧) الثعالبى: هو ابو منصور بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى كان من أشهر ادباء هذا العصر واغزرهم انتاجا.
- ومن بين مؤلفاته العديدة : اللطائف والمعارف واهداه للصاحب بن عباد، غرر ملوك الفرس : واهداه إلى أبى المظفر نصر الدين بن سبكتكين شقيق محمود الغزنوى ، التمثل والمحاضرة : واهداه إلى قابوس بن وشمكير وسحر البلاغة وفقه اللغة واهداهما إلى الأمير أبى الفضل الميكالى ، والنهاية فى الكتابة ونثر النظم واللطائف والطرائف أهداهم إلى أمير خوارزم مأمون بن مأمون . وتوفى الثعالبى سنة (٤٢٠ هـ / ١٠٣٨ م).

(٨) المجوسى الطبيب : هو أشهر من عرف بالمجوسى وهو على بن العباسى المجوسى طبيب عضد الدولة البويهى ومؤلف كتاب: كامل الصناعات» كان والده قد ترك الديانة المجوسية واعتنق الدين الإسلامى. ويتحدث صاحب جهار مقالة فى الحكاية السادسة والثلاثين عن أحد الأدوية التى استعملها ذلك الطبيب الماهر..

القسم الثانى

سيرة الشاعر أبى القاسم الفردوسى

لم يختلف الكتاب والمؤرخون فى الحديث عن تفاصيل حياة شاعر من شعراء إيران قدر اختلافهم حول تفاصيل حياة أبى القاسم الفردوسى.

ويجمل بنا أن نحاول - قدر الإمكان - تجنب الروايات الكثيرة والمتشعبة التى امتلأت بهما كتب التراجم حول هذا الأمر، وأن تكتفى بذكر الرأى الذى اجمع عليه العدد الأكبر من المؤرخين وكتاب التذاكر.

أما عن تاريخ مولده ففى ترجمة "الفتح البندارى" ما يفيد أن الشاعر انتهى من نظم الشاهنامة فى حدود سنة (٣٨٤ هـ) بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة . وبناء على رأى البندارى يكون الفردوسى قد ولد سنة (٣١٩ هـ)[1] ويرى «نولدكه» أن الفردوسى انتهى من نظم الشاهنامة سنة (٤٠٠ هـ) وكان عمره وقتها يتراوح بين (٧٦ أو ٧٧ سنة)، ويخلص من ذلك إلى أن مولد الفردوسى بين سنتى (٣٢٣ هـ و ٣٢٤ هـ)[2]. ويرى «ذبيح الله صفا» أنه ولد فى حدود سنة (٣٢٩هـ) ويستند فى ذلك على ماورد فى الشاهنامة من قول الفردوسى من أنه انتهى من تأليف الشاهنامة حين بلغ عمره الثامنة والخمسين وتوجه بها صوب السلطان محمود الذى اعتلى العرش الغزنوى سنة (٣٨٧ هـ)[3]. وهكذا أصبح أمر

---

(١) الترجمة العربية للشاهنامة ، نشر وتقديم عزام ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦.

(٢) نولدكه : حماسة ملى ايران ت بزرك علوى ، ص ٢٣ الطبعة الثانية .

(٣) ذبيح الله صفا : حماسة سرائى درايران ، ص ١٧٢ طهران ١٩٥٤.

الاختلاف فى تحديد سنة ولادة الشاعر محصورا بين سنوات (٣١٩ هـ و ٣٢٩ هـ) وهذا يقارب ما يروى أنه مات سنة (٤١١ هـ) وهو بين الثمانين أو الثلاث والثمانين إذا ما اتفقنا على أن تاريخ مولده هو عام (٣٢٩ هـ).

هذا .. وتتفق الروايات على أن شاعرنا لقبه الفردوسى وكنيته أبو القاسم(١). ثم تختلف فى اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفى اسم أبيه بين «على» وفخر الدين أحمد واسحق. وبعضها يسمى جده فَرُّخ وبعضها يسميه شرفشاه . وليس فى الشاهنامة ذكر اسمه ولا اسم ابيه. والفردوسى «لقبه الشعرى كدأب شعراء الفرس ويقال إنه نسبة إلى بستان فى طوس لعميد خراسان سورى بن المغيرة ، وكان أبو الفردوسى خادمه(٢)..

وأما عن موطنه فإنه طبقا لرواية جهار مقالة ـ أنه كان من مدينةطوس التابعة لنيسابور من أعمال «خراسان»، ويقول النظامى العرُوضى أنه ولد بقرية «باز» من ناحية طبران وكانت طبران قسما من مدينة طوس(٣)...

وحول حياة الفردوسى الاجتماعية يذكر صاحب جهار مقالة أن الفردوسى كان من دهاقين طوس وكان مهتما بالزراعة يعيش على ما تغله أرضه عليه... ويظهر لنا مما ذكره الشاعر عن نفسه فى الشاهنامة أنه لم يكن ميسور الحال ، وأنه كان لفترة طويلة من حياته فى حاجة دائمة إلى من يمد له يد العون(٤) ومن ذلك قوله فى الشاهنامة:

ـ هكذا أمضيت خمسا وستين سنة فى الفقر والبؤس والألم(٥).

---

(١) عبد الوهاب عزام : مدخل الشاهنامة ، ص ٤٩.

(٢) النظامى العروضى : جهار مقالة «الترجمة العربية ، عزام والخشاب ص ٥٥ مصر ١٩٤٩ م.

(٣) النظامى العروضى : جهار مقالة " الترجمة العربية ، عزام والخشاب ص ٥٥ مصر ١٩٤٩ م.

(٤) يذكر مؤلف «جهار مقالة» أن عامل طوس حيى بن قتيبة قد أعفاه من خراج ارضه مساعدة له وتقديرا لظروفه. كما يذكر الفردوسى فى الشاهنامة أن الله قد بعث إليه من شجعه على العمل وهيأ له أسباب التفرغ للنظم وأمده بما يحتاجه من المال فعاش فى ظل رعايته كالتفاحة النضرة. وكان راعيه هو أبو منصور بن محمد (المرجع السابق ص ٥٦).

(٥) جنين سال بكذا شتم شصت وينج بدرويشى وزندگانى ورنج

(الشاهنامة ص ١٢٧٤ ، طبعة بومبى)

وأما عن أخلاق الفردوسى فإنه يبدوا لنا مما ذكره الرواة والمؤرخون عن رفضه عطاء السلطان محمود الغزنوى مقابل جهده فى تأليف الشاهنامة ـ رغم حاجته الشديدة له هو أن الفردوسى كان رجلا عزيز النفس يعتز بكرامته ويقدر موهبته وفنه فى عالم الشعر حق قدرهما. ولهذا لم يهتم بأن يورث إبنته الوحيدة مالا وثراء وجاها بقدر ما اهتم بأن يُوَرِّثَهَا تلك العزة وذلك الإباء الذى دفعاها إلى رفض هدايا السلطان بعد وفاة أبيها عن كتابه بسبب وشاية المفسدين وحقد الحاقدين فلم يجزل له العطاء الذى كان يأمله. وهكذا ولأسباب أخرى[1] فسد ما بين السلطان محمود والفردوسى مما إضطر الفردوسى إلى ترك غزنة ليلاً والهرب إلى هراة عند اسماعيل الوراق والد الشاعر الأزرقى.. وطبقا لرواية «جهار مقالة» فقد توجه الفردوسى من هراة إلى طوس ومنها إلى طبرستان. فأكرمه ملكها الاصبهبد شهريار بن دارا بن رستم بن شروين من آل[1] باوند ..

(١) من هذه الأسباب ـ على سبيل المثال ـ ما روى عن تشيع الفردوسى وكلفه ووجده بحب آل البيت، فاتهمه اعداؤه فى بلاط السلطان محمود بالاعتزال ، فى حين كان السلطان محمود سنيا متعصبا، وهو رأى مردود عليه بأن السلطان محمود كان يقرب البيرونى اليه رغم تشيعه ، ومنها كذلك ما روى عن اللقاء الأول الذى تم بين الفردوسى وشعراء السلطان الثلاثة «العنصرى والعسجدى والفرخى» وتفوقه عليهم فى نظم تاريخ ملوك العجم وتخوفهم من منافسته لهم عند السلطان . ومنها كذلك ما روى عن ايثار الوزير الميمندى له وحبه وتفضيله عن سواه من الشعراء والأدباء وان الميمندى كان له كثير من الأعداء والحساد منتشرين فى بلاط السلطان محمود فدسوا له عند السلطان ومنها كذلك أن الفردوسى اعتبر الأتراك فى الشاهنامة أعداء لايران ونسى ان السلطان محمود تركى متعصب ومن سلالة هؤلاء الاتراك.. وكان من السهل أن يؤثر الوشاة على السلطان محمود من هذه الناحية ما دام الشاعر ينظر فى أكثر من موضوع من شاهنامته إلى أجداد السلطان محمود تلك النظرة القاسية التى يُحقِّرهم فيها ويقلل من شأنهم فى التاريخ ، بل وينصر الفرس عليهم فى اغلب المعارك التى ذكرها فى الشاهنامة . لذلك فليس بغريب ولا مستبعد أن يضيق صدر السلطان محمود بتعصب الشاعر لقومه الإيرانيين الذين جمع فيهم كل الفضائل وجرد الترك منها . ومنها كذلك أن السلطان محمود لم يقدر موهبة الفردوسى الفذة فى نظم الشاهنامة وكده وعنايته وعنائه فى كتابة هذا العدد الهائل من الأبيات فى موضوع محبب إلى الإيرانيين ولم يجزل له العطاء المناسب . ومنها كذلك أن الفردوسى كان يرسل قصص الشاهنامة إلى الأمراء والوزراء ، كما فعل مع فخر الدولة البويهى (٣٦٦هـ) حين أرسل له قصة رستم واسفنديار . وآخر تلك الأسباب واهمها هو رفض الفردوسى استلام جائزة السلطان وتوزيع قيمة تلك الجائزة على حمامى وفقاعى، واخبار السلطان باستهانته وتعففه ورفضه استلام تلك الجائزة ..

(١) شهر يار بن دارا من آل باوند، حكم فى طبرستان فى الفترة من (٣٥٨هـ / ٩٦٨ م حتى ٣٩٦ هـ.. وهو آخر أمراء آل باوند وهى اسرة عظيمة يتصل نسبها بيزد جرد بن شهريار ، وكان معاصرا لركن الدولة البويهى . وقد ظل فى الحكم حتى قتل سنة (٣٩٦ هـ) (المتبى : تاريخ يمينى، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥) والصحيح أن يقال إن حاكم مازندران وقتها هو رستم بن شهر يار وكان بنوباوند أصهار بنى زيار وخاضعين لسلطان محمود الغزنوى.

وأراد أن يقدم له الشاهنامة ويجعلها باسمه بعد أن يمحو اسم محمود منها. إلا أن الاصبهبد لم يرى من الحكمة قبول ذلك العرض ، وبدلا من ذلك عمل على استرضاء الفردوسى وطيب خاطره وأجزل له العطاء حتى طابت نفس الفردوسى ومحى ذلك الهجاء الذى كان قد أثبته فى الشاهنامة فى حق محمود[1].

ويقضى الشاعر بقية عمره فى بلدته طوس[2] وينشغل السلطان محمود بفتوحاته فى الهند. إلى أن جاء يوم كان السلطان عائدا فيه إلى غزنة من إحدى غزواته واعترض أحد الثوار طريقه بعد أن تحصن فى قلعة منيعة ، فتوقف السلطان لمنازلته ورأى قبل الشروع فى القتال أن يرسل إليه رسولا يدعوه إلى الدخول فى طاعته والمثول بين يديه. وكان السلطان ـ فيما يذكره الرواة ـ قلقا من أمر هذا الثائر حتى أنه سأل وزيره الميمندى عن موقفه لو رفض هذا الثائر

(١) يذكر المؤرخون ان هذه الأبيات كانت تبلغ المائة ولم يبق منها سوى هذه الأبيات الستة وهى: ـ

- لقد تنامزوا على وقالوا إن ذلك الثرثار	قد كبر وشاب على حب النبى وعلىّ
- وإذا ما حكيت عن حبى لهم	لحميت مائة من أمثال محمود
- إن ابن الأمة لا يجيد عملا	ولو يكن ابوه ملكا
- إننى كثيرا ما تحدثت فى هذا الأمر	فهو مثل البحر لا أعرف له نهاية
- لم يكن للملك قدرة على فعل الخير	والا لـرفع من قـدرى
- ولأن اصله لم يكن عظيما	فلم يحسن الاصغاء إلى الكبار

النص .... الفارسى

ـ مراغمز كردند كان پر سخن	بمهر نبى وعلىّ شدكهن
ـ اگر مهرشان من حكايت كنم	جو محمود را صد حمايت كنم
ـ پرستا رزاده نيايد بكار	وگر جند باشد پدر شهر يار
ـ از اين در سخن جند رانم همى	جو درياكرانه ندانم همى
ـ بنيكى نبد شاهرا دستگاه	وگرنه مرا نشاندى بسگاه
ـ چواندرتبارش بزرگى نبود	ندانست نام بزركا شنود

نقلا عن : حماسه سرائى درايران ، ذبيح الله صفا : ١٨٦ ، ١٨٧

(١) يرى بعض المؤرخين أن الفردوسى سافر من طبرستان إلى بغداد ، وهذه الرحلة مشكوك فيها . ويرجع الشك فيها إلى عوامل كثيرة منها أن النظامى العروضى وهو من أوثق المصادر وأقربها إلى الفردوسى وعصره، لم يذكر شيئا عن هذه الرحلة ومنها كذلك أن تلك الرواية تعتمد على ما ورد فى مقدمة بايسنقر بن شاهرخ بن تيمور أمير كَركَان وحفيد تيمورلنك والمتوفى (٨٣٧ هـ) للشاهنامة.. وهى مقدمة لا توجد فى نسخ الشاهنامة المطبوعة قبل القرن التاسع عشر.

دعوته، فما كان من الميمندى[1] إلا أن قرأ على مسامعه بيت الفردوسى الذى يقول فيه: ـ

ـ إذا جاء الجواب مخالفا لرغبتى..... فأنا والدبوس والميدان وافرا سياب[2].

ولما سمع السلطان هذا البيت وأحس بما يشيع فيه من قوة وعزم وعرف أن قائله هو الفردوسى «صاحب الشاهنامة» ندم على ما كان من إهماله وتقصيره فى مكافأة الشاعر على جده واجتهاده فى نظم الشاهنامة «فلما رجع إلى غزنة أمربا رسال الهدايا العظيمة محملة على الإبل. ولكن هذه الهدايا وصلت متأخرة، إذ بينما كانت الا بل تدخل من بوابة رودباد» كانت جنازة الفردوسى تخرج من المدينة من بوابة «ارزان»، وذلك فى حدود سنة (٤١١ هـ) .

هذا ويحتل الفردوسى منزلة عظيمة لدى أغلب علماء الفارسية فى الشرق وفى الغرب على السواء، إلا أن مكانته عند الفرس لاتدانيها مكانة أى شاعر آخر. ومن الطريف فى هذا المقام أن نذكر هنا قول محمد على فروغى وهو يتباهى بمنزلة الفردوسى السامية فيقول: «إننا نستطيع أن نضع الفردوسى فى مصاف أشخاص عظام أمثال كورش وداريوش وأردشير بابكان وزردشت. ذلك لأن كورش «قورش» أسس المملكة الإيرانية وداريوش نَظَّمَ وقَنَّنَ سياسة إيران وجدد أرد شير بابكان الدولة الإيرانية وأوجد زردشت مذهب إيران القديم. وأحيا الفردوسى القومية الإيرانية[3]..

---

(١) الميمندى هو ابو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى ، ولى للسلطان محمود الغزنوى ديوان الرسائل ايام كان السلطان محمود صاحب الجيوش فى خراسان من قبل ابيه. ثم وَسَّع السلطان دائرة اختصاصه وولاه امرالجند ، ثم ولاه بعد ذلك أمر الوزارة ٤٠١ هـ بعد أن فشل فيه سابقه ابو العباس الفضل بن أحمد، ومن مآثره على العربية انه لما ولى الوزارة أمر بالامتناع عن استخدام الفارسية إلا للضرورة وقد عزله محمود من الوزارة. ولما ولى مسعود العرش أعاده إلى منصب الوزارة وظل فيه إلى أن توفى سنة (٤٢٤ هـ).

(العتبى: تاريخ يمينى: ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، نسخة لاهور ١٨٩٧ م).

(٢) أكر جز بكام من ايد جواب: من وكرز وميدان وافر اسياب

(مدخل الشاهنامة عزام ص ٦٥ .

(٣) محمد على فروغى : مقالات فروغى : ص ٢١ ، نشر حبيب يغمائى ، طهران ١٩٧٢ م.

القسم الثالث

مؤلفات الشاعر أبى القاسم الفردوسى

أولا: الشاهنامة:

منظومة طويلة فى حوالى ستين ألف بيت من الشعر[1]. وتعد واحدة من أهم الآثار الأدبية فى التاريخ الإنسانى منذ ألفها الفردوسى حتى اليوم . نظمها الشاعر فى البحر المتقارب وتناول فيها تاريخ الفرس منذ أقدم العصور الفارسية إلى أن دالت دولتهم على يد المسلمين فى القرن السابع الميلادى. بدأ الشاعر منظومته بالحديث عن خلق العالم والسماء والأرض والعناصر الأربعة ونظام السماء والنجوم المتحكمة فى المصائر ثم خلق الإنسان. وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الحديث عن العهود الأربعة فى الشاهنامة على النحو التالى: ـ

القسم الأول: العهد الأسطورى : «٥٥٩ ق م ـ ٣٣٣ ق». م[2]

وهو خاص بالحديث عن الدولة البيشدادية[3] وملوك هذه الدولة أحد عشر ملكا إشتغل معظمهم باقرار العدل وتطهير الأرض من الشياطين وتنظيم حياة الإنسان.

---

(١) يذكر يان ربكه فى حديثه عن الشاهنامة أنه وجد نسخا للشاهنامة تحتوى على (٤٨٠٠٠ بيت إلى ٢٥٠٠٠ بيت) فإذا اضفنا الأبيات المتفرقة بين النسخ المختلفة صار العدد الكلى لأبيات الشاهنامة حوالى (٥٥٠٠٠ بيت) يان ريكا : تاريخ أدبيات إيران ت : عيس شهابى ص ٢٥٧ ، طهران ١٩٧٥ م

(٢) يذكر برنيا أن حكم هذه الدولة يبدأ اعتبارا من ٥٥٩ ق . م (حسن برنيا : إيران باستان) جـ ١ ص ٢٣١ . طهران ١٩٣٢ م).

(٣) هؤلاء الملوك هم : كَيومرث، هوشنك ، طهمورث، جمشيد، الضحاك ، فريد ون ، ايرج منوجهر ، نوذر، زو ، كَرشاسب ، ومدة حكم ملوك هذه الدولة ما يزيد على ألفين وأربعمائة واحدى وأربعين سنة ، ويتسم هذا العهد بسمتين: الأولى: ظهور عهد الملوك الأبطال المطهرين للأرض من الشر وينتهى هذا العهد بموت أفريدون الذى يخلفه منوجهر. =

القسم الثانى: الدولة الكيانية:-

تعد هذه الدولة امتدادا للدولة السابقة لأن سياق القصة - كما يقول الدكتور عزام - لا ينقطع وأبطال العهد البيشدادى هم أنفسم أبطال العهد الكيانى ويبدأ الخلاف بين العهدين ببداية حكم لهراسب[1] ويسمى العهد الأول لهذه الدولة بعهد البطولة حيث يسيطر الطابع الملحمى على أجزائه وأحداثه وذلك فى تصويره للخوارق والعجائب والبطولات الإيرانية التى خاضها أبطال هذا العهد فى حروبهم المستمرة مع أعداء إيران.. ويمجد الفردوسى بطولات سال وزال ورستم وسهراب وغيرهم من أبطال الشاهنامة. وملوك هذه الفترة من عهد البطولة عشرة[2].. أما العهد الثانى لهذه الدولة فهو العهد التاريخى والذى يبدأ بتولى الملك بهمن مسئولية الحكم . وقد استمر هذا العهد حتى غزا الإسكندر الأكبر[3] إيران وقتل الملك دارا الثالث وتولى حكم إيران (٣٣٣ ق . م)[4].

= والعهد الثانى: عهد الأبطال غير الملوك ويعتمد الفردوسى فى تصويرهم على حكايات شعبية محلية ومن هؤلاء الأبطال: سام وزال ونريمان وقارن بن كاوه ، وأهم ملوك هذه الدولة فريدون، ففى عهده نشأت الخلافات بين أولاده على الملك حتى اقتتلوا، وكان هذا الاقتتال الشرارة التى أشعلت نار الفتنة والحروب الطويلة طيلة العهدين البيشدادى والكيانى فى الشاهنامة كما كانت البذرة التى انبتت شجره الخلاف الطويل بين العنصرين الايرانى والتورانى ..

ذبيح الله صفا : حماسة سرائى درايران، من ٢٩٦ إلى ص ٤٨٦، طهران ١٩٥٤ م.

(١) يذكر د . عزام فى حواشى الشاهنامة ان عهد كشتاسب يتميز بطابع تاريخى يبتعد قليلا عن الخرافات والأساطير. عبد الوهاب عزام: حواش الترجمة العربية للشاهنامة جـ ١. ص ٣٠٨ - ٣٢٥ .

(٢) وهم : كيقباد، كى ابيوه، كى ارشن، كى بيرش، كى بشين، كيكاوس، سياوش، كيخسرو، لهراسب، كشتاسب، وأشهر أبطال هذا العهد ثلاثة هم: رستم وافراسياب واسفنديار وأشهر قصص البطولة فيه هى قصة «رستم واسفنديار» وأبرز احداثه هو ظهور زرادشت واعلانه الدعوة إلى الدين الجديد ..

ذبيح الله صفا: حماسة سرائى، ص ٤٨٥ - ٥٣٧

(٣) وملوك هذه الفترة خمسة هم : بهمن بن اسفنديار، هماى، داراب بن بهمن بن اسفنديار، دارب بن داراب، الاسكندر الأكبر . (المرجع السابق ص ٥٣٧ - ٥٤٦)

(٤) تذكر الشاهنامة ملوك هذه الفترة على النحو التالى :

١- بهمن بن اسفنديار - ٢- هماى جهرازاد بنت بهمن - ٣- داراب بن بهمن اسفنديار - ٤ - داراب بن داراب .

(الشاهنامة : الترجمة العربية، البندارى، ص ١٠٦، ج ١)

القسم الثالث : العهد الاشكانى: «٢٥٠ ق . م»[1].

يطلق على هذا العهد إسم: ملوك الطوائف[2] ويعتبر الإيرانيون هذا العهد من عهود الانحطاط فى تاريخهم القومى ، ولهذا جاء القسم الخاص بهذا العهد فى الشاهنامة موجزا ايجازا شديدا[3] وعدد ملوك هذا العهد بالشاهنامة تسعة[4].

القسم الرابع : العهد الساسانى[5] (٢٢٤ م):

يذكر المؤرخون أن هذا العهد هو أزهى عصور الشاهنامة إذ أخذ حكام هذا العهد بأسباب الحضارة فى كافة نواحى حياتهم . فأقاموا مجتمعا منظما له أصوله وتقاليده وأركانه الثابتة.

---

(١) يذكر برنيا أن هذا العهد يبدأ سنة (٢٥٠ ق . م) واستمر مدة خمسمائة سنة. «إيران باستان جـ ٣، ص، طهران ١٩٣٢م».

(٢) يذكر الثعالبى «أن السبب فى تسميتهم بهذا الإسم أنه لما مات الاسكندر حكم بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف. وقيل إن السبب فى تمليكهم أن الاسكندر لما ملك بلاد الفرس بعد ملوك الطوائف، نصحه ارسطاطاليس أن لا يقتل أولاد من قتل من الملوك وإن يملك كل واحد منهم بلدا واحدا، فإن كل واحد منهم يقوم فى وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فينشغل بعضهم ببعض «الثعالبى: غرر أخبار ملوك الفرس، ص ٤٦٥، طهران ١٩٦٣م».

(٣) يرى الدكتور عزام فى تعليقه على أحداث هذا العصر أن الاشكانيين لتأثرهم بالحضارة اليونانية ولأن سلطانهم لم يكن عاما وشاملا على بلاد الفرس كلها فإن أحداث الشاهنامة عن هذه الحقبة جاءت موجزة بل إنها لم توفهم حقهم وسلبتهم مفاخرهم ونسبتها إلى غيرهم من ملوك البيشداديين والكيانيين، والشاهنامة تعتبر قارن وكودرز وكيو وبيزن ابطال العهد الإشكانى تعتبرهم الشاهنامة ليسوا إلا أمراء من أمراء الاشكانيين.

د. عزام : الشاهنامة ص ١٩١٢ وما بعدها

(٤) بعد انتهاء حكم الاسكندر لايران انقسمت ايران إلى أجزاء وممالك صغيرة وتوارث الحكم فى المنطقة أكثر من سبعين ملكا ، فسيطر الاشكانيون على العراق وأطراف بلاد فارس وسيطر الروم على الموصل ، وسيطر الهياطلة على بلخ وطخارستان وسيطر الترك على خراسان.».

وأما عن ملوك هذا العهد فهم فى الشاهنامة : اشك، شابور، كودرز، بيزن، نرسى، أورمزد بزرك، أرش، اردوان، بهرام المعروف باردوان بزرك وقد استمر حكمهم مائتى سنة.

ـ ذبيح الله صفا : حماسة سرائى ، ص ٥٤٨ ـ ٥٥٢ .

ـ يذكر حمزة الاصفهانى ملوك الاشكانيين على هذا النحو : اشك بن اشك، شابور بن اشك، كودرز بن شابور، ونحن بن بلاش بن شابور ، كودرز الأصغرين ونحن، نرسى هرمزان بن بلاش بن شابور، فيروزان بن هرمزان، خسروين فيروزان، بلاشك بن فيروزان، أردوان بن بلاش بن فيروزان. حمزة الاصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض ص ١٨، بيروت ١٩٦١ .

(٥) أسس هذه الدولة أردشيربابكان الذى خرج على أردوان الخامس ونجح فى ذلك ٢٢٤م.

وتحدث الشاعر فى زهو وفخر عن ملوك هذا العهد وأعمالهم العظيمة ومآثرهم ومناقبهم وأمجادهم وتقاليدهم وعادتهم .

وقد اتسم حديثه عن هذا العهد بطابع أقرب إلى التسجيل التاريخى منه إلى القصص(1).

إلا أنه يضمن حديثه بعض الحكم والنصائح وبعض الحكايات والقصص، مثل حكاية الصراع بين بهرام كَور والثعابين الضخمة والأسود المتوحشة والذئاب المفترسة.

وفى دراسته عن الشاهنامة يذكر «يان ربكا» أن الفردوسى لم يكتف بالحديث عن المعارك والحروب والبطولات التى تخللتها العهود التاريخية الأربعة بالشاهنامة وإنما تحدث كذلك عن القصص الإنسانية والعاطفية لأبطال هذه العهود وتألق فى ذلك وبلغ مكانة رفيعة لم يصل إليها شاعر آخر فى تاريخ الفرس(2)... كما استطاع من خلال هذه القصص أن يقدم لنا معلومات هامة عن الظروف الاجتماعية التى كانت سائدة فى أيران قبل الاسلام . كما قدم لنا معلومات هامة ووافية عن العقائد والديانات الإيرانية من قبيل الحديث عن زرادشت وغيره من أنبياء الفرس وكذلك الحديث عن الموابذة وأهل البيوتات وتأثيرهم فى حياة الناس ومعتقداتهم . كما تحدث عن معتقدات العامة فيما يتعلق بالسحر والتفاؤل والتشاؤم، وأعياد الإيرانيين ومناسبة كل عيد وعادات الناس وتقاليدهم فى تلك الاحتفالات.. وفى عرضه لبطولات الإيرانيين أمثال رستم وغيره عمد الفردوسى إلى تزكية روح البطولة والفداء لدى الإيرانيين من خلال رسم صورة صادقة بارزة الملامح والقسمات لروايات المجد والبطولة . كما قَدَّم فى هذه الصور جوانب من أفكار وآلام وآمال الأمة الإيرانية(3)،(4).

---

(1) ذبيح الله صفا: حماسة سرائى درايران ـ ص ٥٥٢

(2) يان ريكا: الترجمة الفارسية ، ص ٢٦٠

(3) أمين بدوى: القصة فى الأدب الفارسى ص ٩٨ ـ ١٠٠ ، مصر ١٩٦٤ م

(4) ذبيح الله صفا : حماسة سرائى ، ص ٢٧١

هذا ويغلب على أسلوب الشاهنامة السهولة والبساطة والوضوح والجمل القصيرة خاصة وأن هذه الجمل كانت من خصائص اللغة الفارسية فى العهدين السامانى والغزنوى الذى ألفت فيهما الشاهنامة[1]. ويرقى الفردوسى بأسلوبه فى الشاهنامة إلى درجة رفيعة فلا يدخل من التعبيرات والألفاظ ما قد يبدو عاديا أو عاميا[2].

كما أن له ولع باستعمال الكلمات القديمة التى قَلَّ تداولها فى العهد الإسلامى حتى يجعل من عباراته وألفاظه شيئا متميزا عما يتداوله الناس..[3] كما يميل الفردوسى فى الشاهنامة إلى استعمال المحسنات اللفظية وإن لم يقصد إليها عامدا فى كثير من الأحيان[4]. وأسلوب الفردوسى فى حديثه عن تاريخ حياة أمته أسلوب عاشق متبتل فى محراب معشوقته إيران، فعينه لا ترصد إلا بطولات وأمجاد الإيرانيين فى معاركهم مع أعدائهم من الشعوب الأخرى. وتلك نغمة طبيعية من فلاح يمثل قاع المجتمع الإيرانى فى تلك الفترة[5].

هذا.. ولقد لقيت الشاهنامة من الرواج فى العصور القديمة ما دعا الأ دباء إلى قراءتها والشعراء إلى محاكاتها فى كثير من العصور والبلدان. كما لقيت من الاهتمام فى العصور الحديثة ما دفع العلماء والمفكرين إلى دراستها وترجمتها ونشر الأبحاث والدراسات عنها فى أغلب لغات العالم..

ثانيا: غزليات الفردوسى:

عددها قليل ـ كما يقول براون ـ حفظت بعضها كتب التراجم والمختارات وجمع أغلبها ونشره هرمان ايته، وذلك ضمن مقالاته التى نشرها بعنوان «الفردوسى كشاعر غنائى»[6]..

---

(١) طه ندا: دراسات فى الشاهنامة، ص ٢٩٦، مصر ١٩٥٤ م.

(٢) حماسة سرائى درايران: ص ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق من ٢٧١ إلى ٢٧٢

(٤) يان ريكا: تاريخ أدبيات إيران من ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣.

(٥) ذبيح الله صفا: حماسة سرائى ص ٢٧٢ إلى ٢٧٥.

(٦) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ت الشواربى، ص ١٧٦.

ثالثا: منظومة يوسف وزليخا:

منظومة فارسية تتناول قصة سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام كما وردت فى كتاب التوراة وفى القرآن الكريم.. نظمها الشاعر فى خمسة آلاف وتسعمائة وستة وثلاثين بيتا...

وتعد هذه المنظومة من أقدم المنظومات الفارسية الموجودة بين أيدينا لهذه القصة.. ونتيجه للجهد الكبير الذى بذله المشتغلون بالدراسات الفارسية من أوربيين وإيرانيين أصبح لدينا مجموعة من النسخ الخطية والمطبوعة لهذه المنظومة سواء فى أوربا أو فى آسيا .

وقد طبعت هذه المنظومة على الحجر ثلاث مرات فى الهند كما طبعت كذلك فى إيران خلال القرن التاسع عشر الميلادى. ويصل عدد نسخها المطبوعة حديثا إلى عشرة نسخ، كما يزيد عدد نسخها المخطوطة فى أوربا على عشرين نسخة. هذا.. وقد شغلت هذه المنظومة علماء الفارسية ما يزيد على قرن من الزمان وكان هذا الاهتمام راجعا إلى أن نسخ هذه المنظومة جاءت خالية من إسم مؤلف هذا الكتاب، إلا أن بعضا منها قد احتوى على مقدمتين: الأولى بعنوان: حديث فى سبب ذكر هذه القصة»، وعدد أبياتها واحد وثمانون بيتا، ويتحدث الشاعر فيها عمن سبقه إلى نظم هذه القصة، ثم عن قيامه هو بنظمها بتكليف من أحد الأمراء والذى يشير إليه باسم «موفق»..

وأما المقدمة الثانية فهى بعنوان: حديث فى سبب حاله، وعدد أبياتها ثمانية وستون بيتا، يتحدث فيها الشاعر عن أسفه على ضياع عمره فى نظم حكايات ملوك الفرس وعزمه على الاتجاه إلى جادة الصواب بنظم قصة يوسف.

وقد شغلت هاتان المقدمتان الباحثين، ففريق أخذ بما جاء بهما من المعلومات ورأى نسبة هذه المنظومة إلى الفردوسى. وفريق آخر عارض هذه النسبة ولكلا الفريقين حججه وبراهينه..

وقد ضم الفريق المؤيد لهذه النسبة مجموعة من علماء أوربا المتخصصين فى الدراسات الإيرانية. منهم: هرمان إيته ونولدكه وبراون ويان ريبكا..

وضم من الفرس: «رضا قلى خان ولطفى على آذر وحبيب يغمائى وعلى دشتى وتقى زاده».

ومن علماء العرب: «محمد كفافى ويحى الخشاب وعبد الوهاب عزام وأمين عبد المجيد بدوى».

فى حين ضم الفريق المعارض كلاً من: «محمود شفيعى ومجتبى مينوى ودهخدا وعبد العظيم قريب وخيامپور وسعيد نفيسى وذبيح الله صفا ومحمد على فروغى ومن علماء الهند محمود شيرانى والشيخ عبد القادر سرافراز[1].

وقد صدر عن كل فريق من الأبحاث والكتب والمقالات مايؤ يد وجهة نظره وكان هرمان إيته أشد المستشرقين والإيرانيين تحمسا لهذه النسبة. ومن ثم فقد توالت مقالاته وأبحاثه عن القصة عاما بعد آخر .

ففى عام (١٨٧٢ م) أعدايته دراسة تحت عنوان: «الفردوسى كشاعر غنائى» جمع فيها ما نسب إلى الفردوسى من أشعار الغزل.[2] وعقب ذلك أصدرت دار نشر «ويلمز ـ نورجيت» بانجلترا ترجمة للقصة إلى الإنجليزية وذلك فى نهاية عام (١٨٧٢م).. وفى عام» (١٨٨٦م) أعد ايته بحثا عن قصة يوسف وزليخا المنسوبة لابى القاسم الفردوسى وقدم هذا البحث ضمن أعمال مؤ تمرى فينا للمستشرقين (٨٦ ـ ١٨٨٨م)[3].

وفى عام (١٨٩٧م) نشر ايته مقالا بعنوان[4]: «الأدب الفارسى الحديث» وذلك ضمن الجزء الثانى من «المفصل فى الدراسات اللغوية الإيرانية» أورد فيه قائمة بأسماء الكتّاب الإنجليز الذين استعانوا بالأبحاث السابقة لكتابة المقالات فى المجلات والجرائد المتخصصة.

وفى عام (١٩٠٧م) نشر المستشرق الفرنسى «ج اسبيرو» كتابا بعنوان: «قصة يوسف طبقا للتراث الإسلامى» ضمن دراسة عن قصة سيدنا يوسف واخوته كما وردت فى القرآن الكريم[5].

---

(١) خيامبور : يوسف وزليخا : ص ٢٥.

(٢) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى : ت الشواربى: ص ١٥٥.

(٣) براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ت : الشواربى ، ص ١٥٥ و ١٥٦ ، مصر ١٩٥٤ م

(٤) اسم الكتاب بالفرنسية: Linotile de jaseph selon la tradition musulmae

(٥) يذكر م. ل يونج فى مقال له نشر بالعدد رقم (١) بمجلة الجمعية الاسيوية الملكية (١٩٧٤ م) ان المستشرق الفرنسى «ج اسبيرو» أعد هذه الدراسة ضمن كتابه «قصة يوسف طبقا للتراث الإسلامى. وقد نشر هذا الكتاب عام (١٩٠٧ م).. نقلا عن: العدد رقم (١) من مجلة الجمعية الاسيوية الملكية الصادرة عام (١٩٧٤م)

وفى سنة (١٩٠٨ م) أقدم «هرمان ايته» على نشر منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للشاعر أبى القاسم الفردوسى. ولما كانت الوثائق الخطية والمطبوعة التى استعان بها «ايته» لتحقيق هذه المنظومة ونشرها موجودة فى المتحف البريطانى ومكتبة الجمعية الأسيوية الملكية ومكتبة بودليان فقد تمت طباعة هذه المنظومة ضمن مطبوعات جامعة اكسفورد، وحرص «هرمان ايته» على أن يزودها بمقدمة تحدث فيها حديثا مسهبا ووافيا عن النسخ الخطية التى عثر عليها للمنظومة والنسخ المطبوعة على الحجر وغيرها من النسخ التى توفرت له والتى استعان بها فى نشر المنظومة[١].

وعلى نفس الدرب سار المستشرق "نلدكه" فقدم دراسة عن المنظومة ضمن الجزء الثانى من العدد (١٢٦) من أخبار «جلسات المجمع العلمى بفينا عام) (١٨٨٩م)[٢].

ويذكر المستشرق «براون» فى كتابه «تاريخ الأدب فى إيران» أن المستشرق «شلشتا وسرد» Schlechtwisard قام بترجمة هذه المنظومة إلى الألمانية فى مدينة «فينا» سنة (١٨٨٩ م)[٣]. كما اهتم بها «المستشرق بلوشه» فى كتابه «فهرست المخطوطات الفارسية» الذى أصدره فى باريس وأفرد لها عدة صفحات تحدث فيها عن ناظم القصة وعن نسخها وعن سبب تأليفها[٤].

كما اهتم «شارلز ريو» بالمنظومة وتَحَدَّثَ عنها فى كتابه عن المخطوطات الفارسية فى المتحف البريطانى والذى أصدره عام (١٨٩٥م)[٥].

وفى عام (١٨٨٩م) قام المستشرق «جرونباوم» باعداد دراسة عن نشأة القصة فى الأدب الفارسى وتأثر ناظمها بالتوراة والقرآن الكريم ومدى تأثر الأدب العربى

---

(١) تحتوى هذه النسخة على ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وتسعين بيتا وتنتهى الأحداث فيها عند : «غضب العزيز على زليخا وشهادة طفل فى المهد «هرمان ايته : «ناشر ومحقق :ـ يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ـ اكسفورد ١٩٠٨ م.

(٢) براون : تاريخ الأدب فى إيران : ت : الشواربى : ص ١٥٧.

(٣) المرجع السابق : ١٥٦.

(٤) خيامبور : يوسف وزليخا : ص ٢٦.

(5) Rieu charles Rieu : Supplement to the cataloque of the Persian manurcripts in the british museum : oxford 1895.

بالمنظومة. كما يذكر فى نفس الدراسة أن المكتبة القومية فى «مدريد» تحوى كتابا بالإسبانية تحت اسم «قصيدة» poem»، وأن محتوى هذا الكتاب هو نفس موضوع قصة «يوسف وزليخا». وفى نفس البحث يذكر «جرونباوم» أن نفرًا من أدباء البربر اشتركوا فى تأليف قصة فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى متأثرين بقصة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى[1].

وكان أول رد فعل رافض لنسبة المنظومة للفردوسى قد صدر عن الأستاذ عبد العظيم قريب حيث قدم بحثا فى العددين (١١، ١٢) من مجلة آموزش وَبَرْوَرِشْ» انتهى فيه إلى رفض هذه النسبة. وتلا ذلك رفض آخر من «سعيد نفيسى» ضمن مقدمته للطبعة الفارسية من كتاب «نولدكه» «حماسة ملى درايران» مخالفا بذلك رأى «نولدكه» نفسه فى هذا الموضوع .

وفى عام (١٩٢٢م) كتب الأستاذ محمود خان شيرانى مقالا صدر فى مجلة «اردو» وورد فيما بعد فى الفهرست الخاص بمطبوعات جامعة بومبى (١٩٣٦ م) - وهو يؤكد فى هذا المقال على رفضه لهذه النسبة ويقدم أحد عشر دليلا على صحة رايه مؤكدا على أن هذه القصة إنما نظمت بعد وفاة الفردوسى بقرن كامل من الزمان»[2]..

ويذكر براون أن المستشرق «دينسون روس» الذى كان مديرا لمعهد الدراسات الشرقية بلندن (٣١ ـ ١٩٣٦ م) قد بذل مجهودا مضنيا ـ فى نفس الفترة .

وأثمر هذا المجهود عن اكتشاف نسخة أخرى للمنظومة ضمن مجموعة المخطوطات التى كانت مملوكة للسيد «وليم جونز» وهى المخطوطات التى كانت تحفظ بادارة الهند آنذاك[3]...

وفى العيد الألفى للفردوسى، اشترك مجموعة من العلماء المهتمين بالدراسات الشرقية فى إصدار كتاب عن شعر الفردوسى ومكانته الأدبية وقد اشتمل هذا

---

(١) نقلا عن حبيب يغمائى: فردوسى وشاهنامه او، ص ٢٦٨ طهران ١٩٧٠م.

(٢) نقلا عن مجتبى مينوى: فردوسى وشعراو ص ١١٩، طهران ١٩٧٥ م ، وكذلك نقلا عن خيامبور: يوسف وزليخا، ص٢٦، تبريز ١٩٦٠ م،

(٣) براون : تاريخ الأدب فى إيران: ، ت الشواربى، ص ١٥٧ .

الكتاب على عدد غير قليل من الدراسات عن منظومة يوسف وزليخا ومدى صحة نسبتها للفردوسى وعن مستواها الأدبى[1].

وفى عام (١٩٤٥ م) قام الأستاذ «خيامپور» بإعداد دراسة عن القصة فى الأدبين الفارسى والتركى ، ونال بها إجازة الدكتوراه من جامعة استانبول وأكد فى هذه البحث رفضه نسبة المنظومة للفردوسى. وفى نفس الفترة التاريخية قدم ذبيح الله صفا كتابيه: «تاريخ أدبيات إيران وحماسة سرائى درايران» ورفض فيهما نسبة الكتاب إلى الفردوسى..

وفى عام (١٩٧٠ م) قدم الأستاذ حبيب يغمائى كتابه «فردوسى وشاهنامه أو» وفيه يفصل القول عن منظومة يوسف وزليخا ويستعرض آراء عدد غير قليل من علماء الفارسية حول هذا الموضوع كما يؤكد نسبتها للفردوسى .

وفى سنة (١٩٧٣م) أعد العالمان الأوربيان ابرايد ويونج[2] بحثا ضمن أعمال المؤتمر الدولى للمستشرقين الذى انعقد فى باريس (١٨ يوليو ١٩٧٣ م)، ثم نشرا هذا البحث بالعدد رقم (١) لسنة (١٩٧٤ م) من مجلة الجمعية الأسيوية الملكية بلندن . وقد تضمن هذا البحث معلومة هامة عن كشف مخطوطة عربية للقصة ضمن مخطوطات قسم الدراسات السامية بجامعة ليدز . وتحوى هذه المخطوطة اثنين وثلاثين ورقة بخط اليد ويرجع تاريخها إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وهى قصيدة رائية الروى عن يوسف واخوته[3]..

(١) هزاره فردوسى: مقالات تقى زاده، برتلس ، ايوانف ، ماسيه ، ريكا، طهران ١٩٤٤ م.

(٢) المقصود بها R. y. EBRIDE and M.J.L. young

(٣) مجلة الجمعية الاسيوية الملكية : العدد رقم (١) سنة ١٩٧٤ ص ٢ -٦

القسم الرابع

دراسة موازنة للآراء التى أثيرت حول نسبة المنظومة للفردوسى

انقسم الباحثون حول نسبة المنظومة إلى الفرد وسى إلى فريقين:

الفريق الأول: ويؤيد نسبتها إلى الفردوسى، والفريق الثانى ويرفض هذه النسبة. أما الفريق الأول المؤيد فيتزعمه «هرمان ايته» وينضوى تحت لوائه كل من: رضا قلى خان[1]، حاجى خليفة[2]، لطفى على آذر[3]، حبيب يغمائى[4]، تقى زاده[5]، بديع الزمان فروزا نفر[6]، براون[7]، نلدكه[8]، برتلس[9]، يحى الخشاب[10] حيدرپامات[11]، محمد كفافى[12]، الغنيمى[13] هلال وأمين[14] عبد

---

(١) رضا قلى خان : مجمع الفصحاء : جـ ١ ، ص ٣٨٢ طهران ١٨٩٢ م .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون : جـ ٢ ، ص ٢٠٥٥ ، القاهرة ١٢٧٤ هـ.

(٣) لطفى على آذر: آتشكده : ص ٨٢ ، بومبى ١٨٩٨ م.

(٤) حبيب يغمائى: فردوسى وشاهنامه أو : ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، طهران ١٩٤٤ م .

(٥) تقى زاده : هزاره فردوسى: ١٧ ، ١٠٢، طهران ١٩٧١ م.

(٦) بديع الزمان فروزا نفر : سخن وسخنوران : ص ٥١ ، طهران ١٩٧١ م.

(٧) براون : تاريخ الأدب فى إيران : ت الشواربى " ص ١٧٥ ، ١٧٦.

(٨) نلدكه : حماسة ملى درايران: ت «بزرك علوى » : ص ١٦٠ ، طهران ١٩٤٨ م.

(٩) برتلس : هزاره فردوسى: ١٦١.

(١٠) حيد ريامات: مجالى الاسلام : ت «عادل زعيتر»: ص ٥٦ ، القاهرة ١٩٥٦ م.

(١١) يحيى الخشاب : الشاهنامة للفردوسى ، مكتبة جامعة القاهرة .

(١٢) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : ص ٣٢٦ ، بيروت ١٩٧٢ م

(١٣) الغنيمى هلال : الأدب المقارن : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، القاهرة ١٩٧٧ م

(١٤) أمين عبد المجيد : القصة فى الأدب الفارسى : ص ٢٤٥ إلى ص ٢٥٠ القاهرة ١٩٦٤ م .

المجيد. وقد اعتمد أغلب أعضاء[1] هذا الفريق المؤيد على مقدمتين وردتا فى أول هذه المنظومة. المقدمة الأولى بعنوان: «حديث فى سبب هذه القصة»، ويبلغ عدد أبياتها فى طبعة «ايته»[2] واحدا وثمانين بيتا ، أختار منها الأبيات التالية:

ـ وقد نظم هذه القصة شاعران

معروفان فى كل مكان وليسا بخافيين على أحد

ـ أحدهما هو أبو المؤيد وكان من بلخ

والذى مجد نفسه بالعلم

ـ نسجها الأول بدر الكلام

وقول مؤثر كصوت الأذان

ـ ونظم هذه القصة بعده

شاب وسيم الطلعة غض الإهاب

ـ اطلقوا عليه لقب البختيارى

وكان يقرض الشعر مرتجلا فى كل مكان

ـ وكان يذهب إلى العظماء لتدبير أمر معيشته

يمدحهم وينال منهم العطاء[3]

---

(١) ملحوظة : سبق أن ذكرت فى مقدمة البحث الدراسات التى أعدها «ايته» حول المنظومة ورأيه التفصيلى حول هذه النسبة، وقد أورد «ايته» فى طبعته لهذه المنظومة المقدمتين التى اعتمد عليهما الفريق المؤيد.

(٢) وردت هاتان المقدمتان السالفتان الذكر فى الطبعة التى نشرها ايته فى اكسفور د ١٩٠٨ م ، كما وردتا فى طبعات أخرى فى إيران ، ولكن بترتيب مغاير .

(٣) دوشاعراين قصة راگفته اند — بهر جاى معروف ونهفته اند
ـ يكى بو المؤيد كه ازبلخ بود — بدانش همى خويشتن راستود
ـ نخست اوبدين درسخن بافتست — بكفتست ـ چون بانك ودريا فتست
ـ پس ازوى سخن بافت اين داستان — يكى مرد بد خوب روى وجوان
ـ نهاده ورا بختيارى لقب — كشادى براشعارهر جاى لب
بجاره برمهتران برشدى — بخواندى ثنا وعطا بستدى

ـ واعلم انه فى ذلك اليوم بفعل الصدفة

ذهب إلى الأهواز حيث أمير العراق

ـ وسمعت أن ذلك اليوم كان يوم نوروز

كان يوما كثير البهجة على الإقليم

ـ والملك السعيد أمير العراق

الذى كان عرشه الفلك وجواده البراق

ـ فاتح العالم وجواد وقطب

حامى الدولة وعماد الجيش

ـ جالس فى الحضرة فى ذلك اليوم

كالملوك بعقل شيخ حكيم وسعادة شاب

ـ وقد عزف العازفون ألحانهم

وانتشرت الحانهم مع الفلك

ـ وقد اصطف جميع الشعراء

ينشدون قصائد المديح[1]

ـ (١) جنان دان که یکره فتاد اتفاق   باهواز شد نزد میر عراق
ـ شنیدم که آن روز نوروز بود   یکي روز بس کشور افروز بود
ـ خدا وند فرخ امیر عراق   که تختش سپهراست واسبش براق
ـ جها نگیر وقطب ودل وبحر جاه   نگهدار دولت ستون سپاه
بدان روز برگاه چون خسروان   مراورا خرد بپرود ولت جوان
سرایند گان رود برداشته   نواي خوش ازچرخ بگذاشته
همیدون صف شاعران آخته   بخوانده ثناها وپرداخته

ـ وكان البختيارى ضمن الشعراء

قلبه يتوق للذكرى ولسانه يلهج بالثناء

ـ وكان ـ كعادته ـ ينشد قصيدة مديح

وبقى على أمل العطاء بها

ـ وعند ما انقضت أيام معدودة من النوروز

بفأل مبارك وحظ سعيد

ـ وذات يوم فى حضرة أمير العراق

الذى كان فى مقدمة الملوك

ـ كان هناك مقرئ يرتل بصوت حسن

سورة يوسف المباركة

ـ والملك الفاضل صاحب العقل المنير

كان ينصت للمقرئ بقلبه وعينه وأذنه

ـ كان حفيا دائم الاقبال على سورة يوسف

ومال اليها بقلبه المنصف

ـ وكان يرغب أن يخلد بتلك القصة

أمثال تلك الحكايات[1]

---

(١) ـ يكى بختيارى بد ازشاعران   دلش ياد جوي وزيان مدح خوان
ـ بعادت يكى آفرين خوانده بود   باميد آن برعطا مانده بود
ـ زنوروز جون بكذشت جند   بفال همايون وبخت بلند
يكى روز نزديك مير عراق   كه از خسروان برده دارد سباق
همى خواند مقرى بآواز خوش   مكر سوره يوسف خوب وش
خداوند فرهنك فرزانه هوش   نهاده بمقري دل وجشم وگوش
خوش آمد همى سورة يوسف   بدان بود مائل دل منصفش
همى خواستى كان بدين داستان   جنين داستانها كند باستان

ـ فنظمها بدر اللفظ وحلو الكلام

بشاعرية فذة

ـ وهكذا كان من توفيق الله

أن البختيارى كان حاضرا بالقصر آنذاك

ـ وأبصرته عين السلطان

فاستدعاه الأمير المثقف عاجلا اليه

ـ وقال له إذا كان لك طبع فى قرض الشعر

وتجيد نظم القصة

ـ فانشد قصة يوسف من أجلنا

فاننا فى شوق لسماعها

ـ بلفظ حسن طيب وفارسية بديعة

فيها مهارة صنع الشعر

ـ وبسرعة قبل البختيارى الأرض

وقال يا كنز الفضل والعدل(1)

ـ إننى سوف أقص هذه القصة كاملة

ولن أكون مقصرا فى خدمة الأمير

---

(١) ـ بنطق لطيف وبلفظ درى نموده درا وصنعت شاعرى
چنان بد زتوفيق حكم خداى كه اين بختيارى بد اندرسراى
بدوگفت اگر طبع دارى بسان توانى سپردن ره داستان
بگوقصة يوسف ازبهرما كه ما رابدان رغبت استوهوا
بلفظ خوش پاك وتفزدرى درا وجابكى كرده شاعرى
سبك بختيارى زمين بوسه داد چنين گفت كاى گنج فرهنك وداد
بگويم من اين داستان رادرست نباشم دراين خدمت سهرست

- قال هذا وشرع فى نظم القصة　　وفتح باب البحث عن الكلام
- وقد سمعت هذه الحكاية بأكملها　　واطلعت على محاسنها ومساوئها

- وبالصدفة ذات يوم
كنت أسرد أخبار هؤلاء بامانه
- فى حضرة تاج زمانه الأجل
الموفق سماء الوفاء وموضعه
- فاستمع إلى هذه الحكاية بانصات
ثم نظر إلى بامعان
- وقال إنى أريد الآن
أن تكون انت أيضا مشغولا بالحديث(١)
- حتى تتم هذه القصة
وتزينها وتحشوها بلب المعانى
- فاحملها إلى وزير أمير العراق
الذى يحوطه الخدم والجنود
- وحينما سمعت محاثة الأجل
تشجع قلبى واقترب أملى

---

(١) بگفت اين واين قصة آغاز كرد　　درجست وجوي سخن بازكرد
شنيدم من أن داستان سربسر　　زنيك وبدش آكهم دربدر
قضا رايكي روز اخبار آن　　همي راند مش بي غرض برزبان
بنزديك تاج زمانه اجل　　موفق سپهر ومحل
زمن اين حكاية بواجب شنيد　　بس آنكه سوي من يكي بنكريد
مراگفت خواهم اكنون تونيز　　بباشي بگفتار وشغلي بنيز
هم ازبهر اين قصة ساز أورى　　زهر گوشه «معنى فراز آورى
بسرم نزد مهر عراق　　كه كرد انش خيلند ومير وشاق
جوبشنيدم اين گفت وگوى أجل　　دلم راشد أكثر ا ميد اقل

ـ وقلت له إن دنيا الكرم

بجودك وعطائك وعادتك ونعمك

ـ سوف أقص هذه القصة الطريفة

فإذا استحسنهآ الطبع

ـ وإذا سر منها الملك الحكيم

ـ فعسى أن يمد الدهر يد العون لى

ويسر السلطان من خدمتى

ـ فعسى أن أجد الطريق إلى عظمة السلطان .. وأجد لى مقاما بين خدمه[1]

....

وأما المقدمة الثانية فهى بعنوان : «حديث فى سبب حاله»، ويبلغ عدد أبياتها فى نسخة «ايته» ثمانية وستين بيتا . أختار منها الأبيات التاليه: ـ

ـ لى حديث كثير فى كل فن

واستمع لقولى كل شخص

ـ أحاديث ملوك ذوى رأى وعدل

فى القوة والضعف والقيد والفتح

ـ كم صنفت من جواهر الحكايات

وكم ألفت من الكتب القديم[2]

---

(١) جنين كفتمش كه جهان كرم — بجود ونوال ونهاد ونعم
بامرتواى در جهان بى نظير — بكويم من اين قصة دل پذير
اكر طبع نيكو ببيوندش — وكرشاه فرزانه بپسندش
مكردست كيرد مراروزكار — شود شاد ازاين خدمتم شهريار
مكر من رهى يابم ازفر شاه — بيابم زحشمت يكى بايگاه

(٢) من ازهر درى كفته دارم بسى — شنيدند كفتار من هركسى
سخنهاى شاهان باراى وداد — بسخت وبست وببند وكشاد
بسى جوهر داستان سفته ام — بسى نامه بستان كفته ام

- كتبت عن المجالس والحروب والبغضاء   وتحدثت عن الأرض والأفلاك
- وكثيرا ما سلكت طريق المحبين   وكشفت ستر العشاق
- وكثيرا ما تحدثت أيضا عن الحسان   ذوات الجمال البهيج[1]
- ولقد رويت قصصا واناشيد   عن آثارهم وحبهم ومدحهم

- نظمت شعرا فى كل لون

وقلت فيه ما تاقت إليه نفسى

- لقد سئمت غرس هذه البذور

فوضعت خاتما على لسانى وقلبى

- فلن أنطق الآن بكاذب الأسماء

ولن أضفى على الكلام رونقا بمقالى

- لن أغرس الآن بذور الفتنه والإثم

فقد حل نور الهداية عندى محل الظلام

- لقد سئم قلبى من ملك كيقباد

وكذلك من عرش كاوس الذى حملتة الرياح[2]

---

(١) ببزم وبرزم وبكين وبمهر   يكى از زمين ويكى از سپهر
سپرد م بسى راه دلخستگان   زد م بردمء مهر بپيوستكان
همچدون بسى رانده ام گفتگوى   زخوبان شكر لب ماه روى
زآثار شان ومهر ودرود   بسى كفته ام سر كذشت وسرود
زهر گونه نظم آراستم   كفتم در هرچه خواستم
از آن تخم گشتم بشيمان شدم   زبانرا ودل راكره برزد م
نگويم كنون نامهاى دروغ   سخن را زگفتار ندهم فروغ
نكارم كنون تخم شور وكناه   كه آمد سپيدى بجاى سياه
كرفتم دل از ملكت كيقباد   همان تخت كاوس كى برد باد

- ولست أدرى ماذا سيكون سوى العذاب

من كيخسرو وحربه مع افراسياب[1]

- إن العقل ليسخر من هذا اللون من العشق

فاين ومتى يرضى عنى العقل

- أن أضيع نصف عمرى

لأملأ العالم باسم رستم

- والآن إذا كانت لى أيام باقية

فلن أسلك إلا الطريق المستقيم

- ولن أقول حكايات الملوك

فقد شبع قلبى من عتبة الملوك

- سأقص عليك قصة

لكنها ليست من كلام القدماء

- بل إنها من قول خالق الأنبياء

ما أجدره بأن يثنى عليه الله

- إنه قول لم يسبقه قول

ولا تقف معانيه عند حد

---

(١) ندانم جه خواهد بدن جز عذاب زكيخسروا وجنك افراسياب
بدين كونه سودا بخندد خرد زمن خود كجاكى بسندد خرد
كه يك نيمه ازعمر خود كم كنم جهان بر از نام رستم كنم
كنون كرمرا روز جندى بقاست دكر نسيرم جزهمه راه راست
نكويم دكر داستان ملوك دلم سير شد زاستان ملوك
منت كفت خواهم يكى داستان وليكن نه ازكفته باستان
بل ازكفت راستان آفرين كه زيبد مرا اورا زجان آفرين
زكفتار اويش كفتار نيست معانيش راحد بديدار نيست

ـ فكل من استمع إلى هذا الحديث

بجسده اهتز لهذا السماع قلبه وروحه

ـ فلا قول يجذب القلب ويخلب الفؤاد

غير كلمات الخالق المقتدر(١)

******

هذا .. ومن أبيات هاتين المقدمتين استمد كل عضو من الفريق المؤيد حججه وبراهينه التى تؤيد وجهة نظره فى هذه النسبة . ومن هذه الحجج والبراهين أورد الآتى :

أ ـ إن القصة نظمت فى البحر المتقارب ، وهو نفس البحر الذى نظمت فيه الشاهنامة ..

ب ـ إن ناظم هذه القصة يندم على ضياع نصف عمره فى نظم الحكايات والقصص القديم، وأنه سيتجه إلى جادة الصواب(٢) ويقولون معلقين على ذلك: «ومن غير الفردوسى أضاع نصف عمره فى نظم حكايات ملوك الفرس فى الشاهنامة».

ج ـ إن ناظم هذه القصة يشكو من فقره فى شيخوخته وأنه إنما نظم هذه القصة متطلعا إلى مقابل مادى كبير يعوضه سنى عمره التى أضاعها فى الشاهنامة دون مقابل مادى مجز، وأن هذه الحال تنطبق على شخصية الفردوسى وأحداث حياته بعد أن خذله السلطان محمود الغزنوى ولم يعطه العطاء المناسب عن نظم الشاهنامة(٣).

---

(١) هـر انكس كه او بشنود ... بتن دردل وجانش لرزان شود
كه نبود سخن دلكش ودلرباى ... بجز كفتها توانا خداى

(٢) يشترك مع الأستاذ كفافى فى هذا الرأى كل من : حبيب يغمائى والأستاذ على دشتى ، وتقى زاده وكذا الأستاذ بديع الزمان فروزا نفر، كما يؤكد ذلك كل من نلدكه ، ويراون ..

(٣) تقى زاده : هزاره فردوسى : ص ٢٦٦

د ـ إن ناظم هذه القصة يصرح بقوله :

– أنا عبد لأهل بيت النبى …… ومادح لتراب قدم الوصى[1].

وأن هذا البيت وغيره دليل واضح على تشيعه لآل البيت ، وأن تشيع الفردوسى لاجدال فيه[2].

هـ ـ إن هذه المنظومة تزخر بعبارات كثيرة ورد أغلبها فى الشاهنامة ذلك أن الفردوسى بعد أن تعود نظم الحكايات القديمة وشغف بها يورد فى القصة كثيرا من العبارات والمصطلحات التى ذكرها فى الشاهنامة ومن ذلك قوله :

ـ هكذا أخبر عن الموابذة… عن المؤمنين وعن العقلاء[3].

و ـ إنه من غير المناسب مقارنة هذه القصة بالشاهنامة وذلك لا ختلاف طبيعة الموضوع فى الكتابين ، وأنه من غير الانصاف كذلك الحكم على شاعرية الفردوسى ومقدرته الفنية من خلال يوسف وزليخا ، ذلك لأن الفردوسى قد نظم هذه القصة فى أواخر أيامه وفى فترة زمنية قصيرة استعجالا للمقابل المادى. إضافة إلى ذلك إن الفردوسى كان مقيدا فى تناوله لأحداث القصة وذلك لارتباط موضوعها بأساس دينى فى القرآن الكريم . وهذه العوامل مجتمعة حَدَّتْ من قدرات الشاعر فى تناوله الفنى للقصة[4].

أما الفريق المعارض فيتزعمه مجتبى مينوى ويضم كلا من : عبد العظيم[5] قريب وسعيد[6] نفيسى وخيامبور وذبيح[7] الله صفا ومحمد على[8] فروغى[9]

(١) منم بنده أهل بيت نبى ………… ستانيده خاك پاى وصى

(٢) يؤكد تقى زاده على تشيع الفردوسى بقوله: «فردوسى تمايل شديدى بتشيع ومحبت آل على داشته ودر اين شكى نيست اشعارى كه برخلاف اين معنى راميرساند اصلى نيستند، وأصلا جنانكه اهالى شهر طوس باكثريت شيعه مذهب بوده اند». تقى زاده: هزاره فردوسى : ص ٧٧.

(٣) جنين آكهى دارم ازمويدان ……… زيزدان پرستان وازبخردان.

(٤) بديع الزمان فروزانفر: سخن وسخنوران : ص ٥١ طهران ١٩٧١ م ، تقى زاده : هزاره فردوسى : ص١٠٢، حبيب يغمائى فردوسى وشاهنامة او ص ٢٧٢، (يجمع الثلاثة على نفس الرأى) .

(٥)عبد العظيم قريب: يوسف وزليخاى منسوب بفردوسى : مجلة آموزش وپرورش : سال نهم شماره : ١١، ١٢، : ص ٢: ١٦.

(٦) سعيد نفيسى: مقدمة الطبعة الثانية من كتاب نلدكه : حماسة ملى در ايران.

(٧) خيامبور : مجلة كلية آداب تبريز : السنة الثانية : ص ١٩١ إلى ٢٠٠.

(٨) ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات إيران: ص ٤٨٩ طهران ١٩٧٢م.

(٩) محمد على فروغى : مقالات فروغى دربارشاهنامه، فردوسى: ص ٨٧ نشر حبيب يغمائى طهران ١٩٦٢م.

ومحمود[1] شفيعى ويان[2] ربكة ودهخدا[3]. ويجمع هذا الفريق على رفض نسبة المنظومة للفردوسى ويعتمد فى ذلك على الأدلة التالية: ـ

أولاً:

إن هناك أبياتا وردت فى مقدمة بعض نسخ «منظومة يوسف وزليخا» المنسوبة للفردوسى بعنوان: «فى مديح الملك أبو الفوارس طغانشاه بن محمد» وعددها أربعة وأربعون بيتا. يقول الشاعر فيها:

بداية الحديث مدح الملك	المبارك السعيد مثل البدر
سماء الفضل وشمس الأمل	الملك ولى النعم وشمس الدول
ضياء الدنيا وفخر الملوك	المنزه القلب عن الألم والحزن
الملك أبو الفوارس ملجأ الدنيا	السلطان السعيد طغانشاه بن ألب ارسلان[4]

فهذه الأبيات وما تلاها من أبيات المقدمة المذكورة تؤكد أن هذه القصة من نظم أحد شعراء عهد السلطان ملكشاه السلجوقى (٤٦٥ هـ -٤٨٥ هـ)، وأنها نظمت على الأغلب بين عامى (٤٧٨ هـ ٤٨٥ هـ) باسم الممدوح نفسه «طغانشاه محمد بن ألب أرسلان» حاكم هراة وشقيق ملكشاه السلجوقى ممدوح الشاعر الأزرقى[5]..

ثانيًا:

إن طريقة ناظم هذه القصة فى الإكثار من استخدام الكلمات العربية وكذلك ضعف مستواه الفنى لا يتفقان وأسلوب الفردوسى الذى عهدناه فى الشاهنامة.

---

(١) محمود شفيعى : دانش وخرد فردوسى : ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ طهران ١٩٧١ م .

(٢) يان ريكة : تاريخ ادبيات إيران : ت : عيسى شهابى : ص ٢٥٥ :طهران ١٩٧٥ م.

(٣) على اكبر دهخدا : لغت نامه. مادة فردوسى " ص ١٥٢ . طهران ١٩٥٦ م .

(٤)

سخن كابتدا مدح خسرو بود	همايون همه چون مه نو بود
سپهر هنر آفتاب امل	ولي النعم شاه شمس الدول
جهان فروزنده فخر الملوك	منزه دل بى باكش رنج وسوك
ملك بو الفوارس پناه جهان	طغانشاه خسرو الب ارسلان

(٥) ذبيح الله صفا : حماسة سرائى در ايران ، ص ١٧٥.

ثالثاً:

إن ناظم هذه القصة لم يكن شيعيا - كما هو حال الفردوسى - وأن هذا يتضح من الأبيات التى وردت فى مقدمة المنظومة ، والتى يمدح فيها ناظمها النبى والخلفاء الأربعة . وهذا الأمر خلافا لما هو معروف عن الفردوسى الذى يغالى فى الثناء على عَلىٍّ وآل البيت. ومن الأبيات التى تشهد على تشيعه قوله[1]:

إنك لن تستطيع أن ترى الخالق بعينك ‌ ‌ ‌ فلا تتعب إذن ناظريك
لقد عابونى أن هذا المتشدق الثرثار ‌ ‌ ‌ قد شاب على حب النبى وعلىٍّ وتقدمت به السنون

* * *

أما الأبيات التى يمدح فيها صاحب منظومة يوسف وزليخا النبى والخلفاء الأربعة والتى تؤكد أنه كان سنى المذهب فمنها قوله:

كان كل صحابته أخيارا ‌ ‌ ‌ كانوا جميعا حوله كالنجوم
ولكن برز من بينهم أربعة ‌ ‌ ‌ اشتهروا بالدين الحق
أبو بكر الصدِّيق شيخ وعتيق ‌ ‌ ‌ والذى كان رفيقا للنبى ليل نهار
وكان من بعده عمر الذى كان قيصر ‌ ‌ ‌ الروم لا يستطيع النوم فى بلاده خوفا منه
وكان الثالث عثمان التقى ‌ ‌ ‌ الذى كان الخجل والحياء ظاهرين عليه
والرابع علىٌّ بن عم الرسول ‌ ‌ ‌ البطل المقدام زوج البتول
فادروجهك عن ايذائهم ‌ ‌ ‌ فإن جزاء ايذائهم يورد النار[2]

---

(۱) نبينند كان آفرينندە را ‌ ‌ ‌ نبينى مرنجان دو بيننده را
مرا غمز كرد.ند كان بر سخن ‌ ‌ ‌ بمهر نبى وعَلىٌّ شد كهن

(۲) صحابان او جمله اخير بدند ‌ ‌ ‌ سراسر همه به بيش جمله اخير بدند
وليكن ازايشان جهار آمدند ‌ ‌ ‌ كه دردين حق نامدار آمدند
ابو بكر صديق شيخ وعتيق ‌ ‌ ‌ كه بد روز وشب مصطفى رارفيق
زيعد ش عمر بد كه قيصر بروم ‌ ‌ ‌ زييمش نيارست خفتن بروم
سوم مير عثمان ديندا ريود ‌ ‌ ‌ كه شرم وحيا زاويديداربود
جهارم على بن عم رسول ‌ ‌ ‌ سر شير مردان وزوج بتول
ازآزار ايشان تسورخ رابتاب ‌ ‌ ‌ كه آزار ايشان دوزخ آرد ثواب

رابعا: إن هناك أبياتا فى المنظومة تشتمل على عدة دلائل على رفض هذه النسبة . منها هذا البيت الذى تبدأ به المنظومة والذى يستخدم الشاعر فيه شاهدًا من القرآن الكريم:

- الف لا م راتـــــــلك آيـــــــات اقرأ حتى تعرف الحكايات[1]

ذلك أن شعر الفردوسى عامة يخلو من شواهد من القرآن الكريم، كما أن استخدام الفردوسى للجمل العربية القصيرة نادر جدا فى شعره. كذلك نجد اصطلاح «بخوان تابدان» غير وارد فى الشاهنامة. وليس ذلك فحسب، بل إنه من الجائز الا نجد نظيرا له فى أسلوب عصر الفردوسى. إضافة إلى ما تقدم فإن جمع كلمة «حكاية» بالألف والتاء إذا كان استخدامه فى هذا البيت ضروريا للقافية، فإننا لا نجده ولو مرة واحدة فى كل أشعار الشاهنامة[2]..

خامساً:

إنه مع توفر الأدلة الخاصة بمعرفة الأساليب، وبمقارنة أسلوب هذه المنظومة بأشعار الفردوسى بالشاهنامة ، يضاف إلى ذلك عدم توفر دليل قطعى فى أيدينا على أن الأمر من كتابات القرن الخامس الهجرى . فالشاعر الذى نظم أبياتا فى مدح طغانشاه لم يذكر اسمه صراحة ولم يذكر كذلك أنه ألف يوسف وزليخا[3].

سادساً:

ينتهى المستشرق «يان ريكا» بعد دراسته المستفيضة لهذه[4] القضية إلى أن الفردوسى لم يذهب مطلقا إلى العراق العربى ولم ينظم القصة وانقل هنا نص

---

(١) الف لام راتـــــــلك آيـــــــات بـــخـــوان تـــابـــدانى حـــكـــايـــات را

(٢) محمود شفيع : دانش وخرد فردوسى : ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٣) محمد على فروغى؛ مقالات فروغى دربار شاهنامة فردوسى : ص ٨٧

(٤) من الجدير بالذكر هنا أن «يان ريكا» كان قد أعد دراسة فى كتاب «هزاره فردوسى» (١٩٤٤ م) وانتهى فيها إلى نسبة المنظومة للفردوسى بعد أن تبين له من هذه الدراسة أن السمة الغالبة على كلمات «يوسف وزليخا» كثرة الكلمات الثلاثية على نمط ما هو حادث بالشاهنامة. ثم اتبع ذلك بدراسة لنفس القضية وذلك فى الطبعة الأولى من كتابه: «تاريخ الأدب فى إيران » فى هذه الدراسة عاد إلى تأكيد رأيه السابق بنسبة هذه المنظومة للفردوسى قائلا: إن أسلوب القصة لا يمكن أن يكون لأحد من معاصرى الفردوسى فهو وحده القادر على تطويع أساليب الوثائق التاريخية الموجودة بين يديه والتى اطلع عليها أثناء رحلة بغداد - إن كانت قد تمت - وكان رجل ثقة كانت قد وضعت بين يديه المكتبات كاملة، كما حدث فى تاريخ الدولة الساسانية الذى كان بين=

رأيه: «إن أهم نتيجة وصلت إليها فى بحثى أخيرا هو الوصول إلى حقيقة مفادها أن الفردوسى لم يكن مطلقا فى خان لنجان وأنه لم يؤلف قصة يوسف وزليخا المبنية على السورة الثانية عشر من القرآن الكريم " سورة يوسف " وأنها كانت قد نسبت إليه خطأ[١].

وفى نهاية المطاف نصل إلى مجتبى مينوى[٢]. وهو بزعامته لهذا الفريق المعارض نراه يعرض القضية بكل أبعادها وملابساتها، ويجمع خيوط الاتهام كلها بين يديه ويفندها واحدا تلو الآخر. فقد نصب مينوى نفسه ممثلا للايرانيين فى الدفاع عن الفردوسى ومكانته الأدبية الرفيعة، وبذل كل ما استطاع من جهد لابعاد تهمة باطلة حاول نفر من المؤرخين الصاقها بالفردوسى وهو منها براء. وقد وقف مينوى فى ثبات يعرض القضية مفردا لها فصلا كاملا من كتابه «فردوسى وشعراو».. وقد كَوَّنَ رأيه استنادا إلى الحجج» التالية[٣]:

اولاً:

إن مؤرخى الأدب فى إيران إبتداء من القرن الخامس الهجرى وحتى نهاية التاسع الهجرى لم يذكروا نسبة هذه المنظومة للفردوسى[٤].

= يديه وهو يكتب الشاهنامة ». «ثم رجع ريكا عن هذا الراى وذلك فى الطبعة الأخيرة من كتابه: «تاريخ أدبيات إيران والتى صدرت (١٩٧٥ م) ورفض هذه النسبة كما رفض رحلة الفردوسى الى بغداد :

(١) يان ريكا: تاريخ أدبيات إيران ت : عيسى شهابى، ص ٢٥٥

(٢) مجتبى مينوى: فردوسى وشعراو: ص ٥٩ إلي ١١٤، طهران ١٩٦٧م.

(٣) يشترك على اكبر د هخدا فى الراى مع مجتبى مينوى فى رفض نسبة المنظومة للفردوسى ، بل إن أغلب العوامل التى استند إليها مجتبى مينوى فى رفضه لنسبة المنظومة للفردوسى يوردها «دهخدا فى مقاله عن الفردوسى فى «لغت نامه» مادة «فردوسى».

(٤) يرتب مينوى فى كتابه «فردوسى وشعراو» هؤلاء المؤرخين علي النحو التالى:ـ

١- نظامى عروضى سمرقندى وكتابه : «جهار مقالة المؤلف سنة (٥٤٢ ـ ٥٥١ هـ/ ١١٥٦ م -١١٥٧م)

٢- حافظ ابرو وكتابه: زبدة التواريخ» والمؤلف فى حدود سنة (٨٣٠ هـ).

٣- دولت شاه وكتابه : تذكرة الشعراء» المؤلف فى حدود(سنة ٨٩٢ هـ)

٤- نور الله ششترى وكتابه : «مجالس المؤمنين» المؤلف فى حدود. (سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م)

٥- امين الرازى وكتابه: هفت اقليم » «المؤلف فى حدود سنة (١٠٠٢ هـ ١٥٩٣ م ـ ١٥٩٤ م)

كما يذكر مينوى فى نفس المقال ان دولت شاه ذكر قصة «يوسف وزليخا» التى نظمها «عمعق البخارى» المتوفى سنة (٥٤٢ هـ) والذى كان من شعراء سنجر السلجوقى ولم يذكر منظومة الفردوسى .

ثانياً:

إن الحكاية التى ضمنها بايسنقر[1] الأمير التيمورى الذى استولى على آذربيجان سنة (٨٢٣ هـ) والمتوفى (٨٧٣ هـ) ديباجته التى كتبها لإحدى نسخ الشاهنامة سنة (٨٢٩ هـ) ـ والتى يستفاد منها سفر الفردوسى إلى بغداد وتأليفه «يوسف وزليخا» بناء على طلب من خليفتها القادر بالله ـ هذه الحكاية لاتنطابق مع التاريخ ولا مع المقدمة التى تسبق قصه يوسف وزليخا فى طبعة «ايته» يضاف إلى ذلك أن خليفة بغداد لم يكن يعرف الفارسية حتى يقدم له الفردوسى أو غيره كتابا بها..

ثالثاً:

إن المقدمتين المعنونتين بـ: «حديث فى ذكر سبب هذه القصة» و«حديث فى سبب حاله» تتناقضان تناقضا تاما مع رواية بايسنقر السالفة الذكر ، وأن تلك القصة التى تضمنتها المقدمتان والتى تتعلق بأمير العراق ووزيره ونظم البختيارى والفردوسى للقصة ، إنما هى من الأمور الكاذبة التى راجت فى القرن التاسع الهجرى ..

رابعاً:

نحن نعرف من المصادر المختلفة أن أبا الفوارس طغانشاه بن ألب أرسلان كان حاكما على خراسان الشرقية وأن عاصمة حكمة كانت هراة ، وأنه نتيجة لطغيانه

---

(١) تفيد هذه الحكاية أن الفردوسى بعد هروبه من بلاط السلطان محمود الغزنوى وفراره إلى مازندران اتجه إلى بغداد، وذات يوم قابله تاجر كان على صلة به من قبل فأحسن وفادته وبالغ فى اكرامه . فقص عليه الفردوسى حكايته مع السلطان محمود فقال له التاجر «إنك الآن قد وصلت دار السلام وأنا لى منزلة كبيرة عند الخليفة وسأعرض احوالك على وزيره ليخبر الخليفة بها. وكان الخليفة آنذاك هو القادر بالله وكان وزيره «فخر الملك » محبا للشعر والشعراء ، فكتب الفردوسى قصيدة بالعربية ضمنها معانى بديعة وعرضها على فخر الملك الذى نقلها بدوره إلى الخليفة فأصابت إحدى الجمل مسمعه كأنها الدر . فلما مثل الفردوسى بين يدى الخليفة القادر بالله قدم له كتاب الشاهنامة بعد أن أضاف اليه ألف بيت فى مدح الخليفة فأمر بمنحه ستين ألف دينار . ولما رأى الخليفة أن كتاب الشاهنامة ألف فى مدح ملوك العجم وهم عبدة النار ، لم يستحسن ذلك ، مما دفع الفردوسى إلى نظم قصة يوسف وزليخا وعرضها عليه فأعجب بها الخليفة وادخلت السرور على نفسه ...

وعصيانه وما ارتكب من مظالم سجنه ملكشاه فى قلعة اصفهان (٤٧٦ هـ). وإذا كان ناظم القصة فى أبيات المقدمة المذكورة سلفا يشير إلى أنه لن تمضى فترة وجيزة إلا ويخرج الأمير وينضم لخدمة السلطان ويتولى حكم هراة مرة أخرى، فإننا نرى أن هذه القصة قد كتبت باسمه أثناء وجوده بالقلعة - يعنى عام (٤٧٦هـ) خاصة وأن صاحب كتاب «أنيس القلوب»[1] يذكر أن أحد الشعراء المتخلصين بالشامسى قد نظم قصه يوسف وزليخا فى تلك الفترة المحدودة كما يذكر صاحب «جهار مقالة» أن طغانشاه كان محبا للشعر والشعراء وأنه جمع كثيرا منهم فى بلاطه من أمثال: الأزرقى والشجاعى والنسوى وحقيقى ونسيمى..

خامساً:

إننا إذا أخذنا هذه الديباجة سندا تاريخيا فإننا نرى أن القصة نظمت على يد شخص ضليع فى صناعة الشعر، وذلك بعد ستين او سبعين سنة من وفاة الفردوسى، وأن هذا الشخص المجهول قد نظم القصة إبان حياة طغانشاه وقَدَّمها إلى هذا الأمير ، ومن الجائز أن هذا الشخص كان واحدا من منشدى الشاهنامة بعد أن اطلع على القصة فى مصادرها المختلفة فنظم هذه القصة على سبيل معارضتها مع القصص الإيرانى القديم . ونظرا لأن هذا الشخص لم يكن يتمتع بمقام أدبى رفيع، فإن منظومته لم تنل شهرة عظيمة وَنُسِىَ اسم ناظمها. ثم إنه لتلاحق الحوادث بعد ذلك إثر حملة المغول على هذه المنطقة فقد فقدت المعرفة وفقد الذوق الأدبى للايرانيين وتخيل الناس أن هذا الكتاب للفردوسى. وفى تلك الفترة التى علافيها صوت التعصب المذهبى ، فقد شاع بين الناس القول بأن الفردوسى بعد أن صرف عمره كله فى نظم القصص الإيرانية القديمة (كما ورد فى ديباجة مؤلف يوسف وزليخا) شرع فى أيامه الأخيرة فى تصنيف كتاب شريف يعتذر به عما ضَيَّعَهُ من عمره فى تصنيف الشاهنامة ...

سادساً:

لقد طبع ايته المستشرق الألمانى ثلثيها باسم الفردوسى (ثلاثة آلاف وستمائة وسبعة وتسعين بيتا). ونظرا لأن ايته قد عمل عدة سنين دأبا مكَرِّساً كل جهده

(١) هو أبو نصر بن مسعود الانوى وقد الفه عام ٦٥٠ هـ.

وهمته فى دراستها ، فإنه يؤكد للجميع أن هذه هى منظومة الفردوسى حقا.. لكنه لم يسلك فى طبع الكتاب القواعد والأصول العلمية التى ينتهجها أهل التحقيق، بل إنه اغفل سائر نسخ المنظومة واختار الأبيات التى تتفق مع ميوله. ولكى يثبت ادعاءه، فقد اختار أبياتا من مقدمتها وأبياتا مما ورد فى مقدمة بايسنقر - والتى تتفق مع رأيه - ونحى جانبا ما دون ذلك .

سابعاً:

إن المستشرق «نلدكه» رغم مكانته العلمية الطيبة ، إلا أنه وافق «ايته» فى الرأى فقال بنظم الفردوسى للقصة ، كما قرر أنه نظمها وهو فى سن الشيخوخة وأنه كان آنذاك فى ولاية العراق العربية التى كانت تحت حكم آل بويه . ثم ذهب «نلدكه» إلى أن الذى نُظِمَ الكتابُ له إما بهاء الدولة البويهى (٣٧٩ - ٤٠٣ هـ) أو لابنه سلطان الدولة الذى تولى الحكم (٤٠٣ هـ)، كما ذهب إلى القول إلى أن الشخص الذى طَلَبَ من الفردوسى نظم هذه القصة هو واحد من رجال البلاط كان معروفا باسم «موفق»، ثم تصادف أن اهتدى الأستاذ "تقى زاده" إلى شخص معروف باسم «موفق»[1] اسمه: أبوعلى حسن بن محمد بن إسماعيل الاسكافى وكان قد ولى الوزارة فى عهد بهاء الدولة البويهى فى عام (٣٨٨ هـ) وأن هذا «الموفق» يتفق مع الشخص الذى ذكر فى أبيات ديباجة «يوسف وزليخا» فاعتقد أن الفردوسى قد أتم أول نسخة للشاهنامة عام (٣٨٤ هـ) ثم سافر إلى العراق وألف «يوسف وزليخا» عام (٣٨٥هـ) بناء على رغبة الاسكافى وقبل أن يلى الأخير الوزارة.

ثامناً:

إن هناك ثلاثة آراء تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ولا تتطابق مع مقدمة بايسنقر للشاهنامة، وأصحاب هذه الآراء يسلمون بأن يوسف وزليخا إنما هى من

---

(١) جاء فى كتاب ابن الأثير «الكامل فى التاريخ» أنه لما غضب بهاء الدولة البويهى على وزيره الموفق ابو على بن اسماعيل قتله عام (٣٩٤ هـ) - وهكذا يلاحظ أن ابن الأثير لم يذكر فى بقية اسم هذا الوزير لقب» «الاسكافى» وقد بحثت فى «معجم الأدباء» لياقوت الحموى فوجدت شخصا آخر يحمل اسم الاسكافى واسمه بالكامل هو: «على بن محمد ابو القاسم الاسكافى» وكان يشتغل بديوان الأمير الحميد بن نوح بن نصر وأنه كان يعيش معه فى نيسابور. وهكذا يتضح الخلط الذى وقع فيه تقى زاده. ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ٧ : ص ٢٠٦، بيروت ١٩٧٨ ياقوت الحموى: معجم الأدباء: ج ١٣ ، ص ١٥٧ : بيروت : ١٩٦٤ م.

تأليف الفردوسى، وأن تلك الديباجة التى وردت فى إحدى نسخ المنظومة إنما هى أصلية وحقيقية. ثم يسعون بعد ذلك إلى تأويل ذلك على نحو من الأنحاء ويحاولون تطبيق هذا السلطان ووزيره وذلك البلاطى المعروف باسم «موفق» مع رجال التاريخ[1]..

هذا.. وبعد هذا العرض المسهب لرأى مجتبى مينوى، والذى ألم فيه بكل تفاصيل القضية وأكد من خلاله بطلان الحجج والأسانيد التى تنسب المنظومة للفردوسى وخلص فى النهاية إلى رفض منطقى لهذه النسبة فإننا نقدم مجموعة أخرى من الاسانيد التى تعزز الرأى القائل برفض نسبة المنظومة إلى الفردوسى ويمكننا أن نبين ذلك على النحو التالى:

اولاً:

من الملاحظ أن الفردوسى فى الشاهنامة كان كثيرا ما يستخدم ألفاظا يكثر الوصف بها فى شعره إلى درجة تكاد معها أن تكون مصطلحات خاصة به ووقفا عليه، وتزدحم بها أبيات الشاهنامة. فالبطل عنده سواء كان «رستم آوزال» أو غيرهما من أبطال الشاهنامة فهو إما «أسدًا» رابض أو«فيل هائج» أو«تمساح مائج» وهو إذا ما تحرك فهو كالدخان المتطاير أو الغبار المتناثر أو الريح العاصف

---

(١) يرجع الشك فى هذه المقدمات إلى الخلط الذى وقع فيها من آراء متباينة لارابط بينها، ولا سند لها من التاريخ المدون عن هذه الفترة ونذكرهم على النحو التالى: ـ

اصحاب الراى الأول : ويستندون على ديباجة بايسنقر ويرون أن الفردوسى ذهب إلى بغداد وقابل الخليفة العباسى ابو العباس احمد القادر بالله، والذى كانت خلافته فى الفترة من (٢٨١ هالى ٣٩٣ هـ) وانه ألف يوسف وزليخا نزولا على رغبة الخليفة. وهم يستندون على ما اورده، صاحب «تاريخ كزيده» من أن القادر بالله كان= = من القابه «قوام الدين و «ملك الملوك» وهى الألقاب التى وردت فى وصف الملك الذى ألفت المنظومة بناء على رغبته فى المقدمة المعنية بالذكر.

اصحاب الراى الثانى : يرون أن الفردوسى ألف يوسف وزليخا بناء على طلب من الموفق أبو على بن اسماعيل الذى وزر لبهاء الدولة البويهى حاكم العراق فى الفترة من (٢٨٨ ـ ٣٩٤ هـ) ، وهم يستندون فى رايهم هذا على ما ورد فى المقدمتين اللتين نشرهما هرمان ايته فى طبعته للمنظومة.

اصحاب الراى الثالث: ويستندون على مقدمة بايسنقر ويرون أن الفردوسى ألف القصة بناء على طلب من «فخر الملك» وزير الخليفة القادر بالله العباسى ..

اصحاب الراى الرابع: ويرون أن الفردوسى ألفَّ يوسف وزليخا بطلب من سلطان الدولة ابو شجاع ابن بهاء الدولة البويهى والذى كان حاكما على العراق (٤٠٣هـ) حتى (٤١٥ هـ ١٠١٢م) وهم يستندون فى ذلك على أنه كان من القاب سلطان الدولة لقبين آخرين هما : ملك العراق «وأمير العراق»، والذى كان يحكم فى العراق والأهواز وكرمان ...

الصافر» والأمثلة على ذلك عديدة فى الشاهنامة ولا حصر لها. ونختار نموذجا منها يصف فيه الفردوسى البطل «زال» بقوله: ـ

- له قلب أسد وقوة فيل ويداه تفيض سخاء فيضان نهر النيل
- خده أحمر بلون الأرغوان وهو شاب يقظ وحسن الطالع
- وقد أخذ بياض شعره من الغزال ويتحدث حديثا معيبا أحيانا كبعض الناس[1]
- وقد ازدان بياض شعره وكأنه يخدع القلوب

هذا .. فى حين أن يوسف وزليخا لانجد بها نظيرا لهذا الأسلوب فى الوصف. ويتضح ذلك إذا ما عرضنا نموذجا من يوسف وزليخا يصف فيه مؤلفها «شمعون» أحد أخوة يوسف والذى اشتهر بالقوة والجبروت، يقول فيها:

- حقا ما يقوله العلى الجبار وقوله اسبق من كل الرواة
- أنَّ شمعون كان رجلا قويا أكثر قوة من جبل عال
- وفى اللحظة التى كان يغضب فيها لا يقترب منه أحد من الخوف
- وكانت علامة ذلك الغضب أن جميع شعره كان يبرز من خلال قميصه[2]

فنحن لم نشعر بقوة شمعون وتأثير غضبه من خلال معانى هذه الأبيات ولم نر الأرض تتزلزل تحت وقع أقدامه كما تزلزلت من وقع أقدام رستم فى الشاهنامة ولم نر السماء تكفهر ولا الوحوش تفزع إلى أحراشها كما خافت وارتعدت من غضب رستم...

---

(١) دل شير زدارد وزوربيل دود ستش بكردارد رياى نيل
رخش سرخ ماننده ارغوان جوان سال وبيدار وبختش جوان
ازآهو همان سپيداست موى بكويد سخن مردم عيب جوى
سپيد مويش بزيبد همى توكوئى كه دلها فريبد همى

نقلا عن : فضل الله رضا : بزوهش دراندیشه فرد وسى جـ ١، ص ٢٧٣ طهران ١٩٧٤ م.

(٢) خدا وند جبار كويند درست زقول همه راويان نخست
كه شمعون يكى مرد بد زورمند هر آنكه خشم آمدى برتنش
قوى برتراز كوهسار بلند مكشتى كسزبيم بيرانش
نشان آن بدى كه هم موى تن بر آورده بودى سراز بيرهن

«نقلا عن منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى، ص ٢١٨ طبع طهران ١٣٤٤ هـ.

ثانياً:

أنه من الملاحظ أن هناك عبارات وصفية يكثر الفردوسى من استعمالها فى الشاهنامة ولا نجد لها نظيرا فى منظومة يوسف وزليخا ، فأبطال الشاهنامة كثيرا ما يصفهم الفردوسى «بـ سروسهى»، «درخت بزرك»، ذلك لأن الفردوسى.. كما هو معروف ـ كان فلاحا وشاعرا يحترم النباتات ويحبها لأنه عاش بينها يرعاها ويحنو عليها ويظهر الشفقة نحوها ، ولهذا كان شديد التأثر بها فى شعره[1]...

ثالثاً:

إن الدارس لأسلوب الفردوسى فى الشاهنامة يلاحظ أنه من العلامات الهامة لهذا الأسلوب استهلال الفردوسى لمعظم قصائده وحكاياته بالحديث عن شروق الشمس وغروبها، ولون الأفق وصفاء السماء وازدهار الحدائق والخمائل واصطباغ الجبال بألوان الذهب وسكون الليل الحالك الظلمة، وانبلاجه عن هلال لامع فضى، وخروج الحياة من أحشاء هذا السكون الموحش. ومثال ذلك هذه الأبيات التى ترد فى مطلع حكاية «منيزه وبيثرن» والتى يقول فيها:

ـ ليل مظلم كالفحم غسل وجهه القار   فلم يظهر فيه لا المريخ ولا زحل ولاعطارد[2]
وازدان القمر وأتى إلى حضرته   يقظا متنبها
وأضحى قرصا أسود فى وسط السماء   وضاق قلبه ورق عوده فى قبة السماء
وتشكل من تاجه ثلاثة أشكال لازوردية   ملأت الهواء غبارا وترابا
ونشر الليل جيش سواده الحالك على الصحراء والمرج   كجناح غراب
فلم أرفى أى ناحية يقع عليها ناظرى سوى اهرمن   كثعبان أسود فاغرا فاه
وهكذا أضحت الحديقة وشواطىء الأنهار   فحيثما اتجه الموج خرج القار من البحر[3]

---

(١) يان ريكه ؛ هزاره فردوسى؛ دراسة عن البحر المتقارب عند الفردوسى ص ٧٧.

(٢) شبى جون شبه روى شوسته بقير   نه بهرام بيدا نه كيوان نه تير
دكر كونه آرايشى كرد ماه   بسيج كذر كرد بريشكاه
شده تيره اندر سراى درنك   ميان كرده باريك ودل كرده تنك

(٣) زتاجش سه بهره شده لاجورد   سپرده هوارا بزنكار وكرد
سياه شب تيره بردشت وراغ   يكى فرش كسترده جون برزاغ
نمودم بهر سو بحشم اهرمن   جو مارسيه بساز كرده دهن
جو بولاد زنكار خورده شبهر   توكفتى بقيراند اندوه جهر

رابعًا:

إنه من العلامات المميزة لأسلوب الفردوسى فى الشاهنامة افتتاحه لكثير من فصولها بأحاديث فى الحكمة والموعظة والعبرة. والأمثلة على ذلك كثيرة فى الشاهنامة. أختار منها الأبيات التالية من قصة «رستم وسهراب» والتى يقول فيها(١):

استمع الآن إلى حرب رستم وسهراب ... ولقد سمعت الأخرى فاسمع هذه
فهى قصة مليئة بدمع العين ... تغضب القلوب الرقيقة على رستم
فإذا ما هَبَّتْ الريح العاتية من ناحية ... أطاحت بالأترج الفج
فلو كان الموت عدلا فماذا يكون الظلم ... ولم كل هذا البكاء والنحيب من العدل
إن روحك غير عارفة بهذا السر ... ولا طريق لك وراء هذا الحجاب
فلعل فى الرحيل مقاما أفضل ... حين تنال الراحة فى الدار الآخرة
ولحظة الموت مثل النار ذات الهول ... لا تلتفت لشيخ أو مسن
ولم يطرب الشباب بالدنيا ... فالشيخوخة ليست سببا للموت
فى هذه الدار دار الممر لا دار المقر ... ربما يسحبك الموت على حصان القضاء
فاعلم بأن العدل لا يحمل ظلما ... فإذا طبق العدل فلم الصياح والنواح
فاعلم أن الشباب والشيخوخة سواء أمام الموت ... حين لا تُرِدْ خللا في الدين

---

(١) كنون رزم سهراب ورستم شنو ... دیکرها شنیدستی این هم شنو
یکی داستان است برآب جشم ... دل نازك ازرستم آید بخشم
اکرتند بادی برآید زکنج ... بخاك افکند نارسیده ترنج
اکرمرك دادست بیداد جیست ... زداد این همه بانك وفریاد جیست
ازاین راز جان توآکاه نیست ... بدین برده اندر ترا راه نیست
برفتن مکر بهتر آیدت جای ... جو آرام کیری بدیکر سرای
د م مرك جون آتش هولناك ... ندارد زبرنا وفرتوت باك
جوان راجه باید بکیتی طرب ... که نی مرك راهست بیری سبب
دراین جای رفتن نه جای درنك ... براسب قضا کرکشد مرك تنك
جنان دان که داد است بی داد نیست ... جوداد آمدش بانك وفریاد جیست
جوانی وبیری بنزد اجل ... یکی دان جودر دین نخواهی خلل

وإذا ماانتقلنا من الشاهنامة إلى منظومة يوسف وزليخا رأينا صاحبها ينهج نهجا مغايرا لنهج الفردوسى. فأبيات العظة والاعتبار والنصح تأتى عنده فى ختام القصائد والفصول. ومثالا لذلك نراه يختتم حديثه عن تفسير يعقوب لرؤيا يوسف ونصحه إياه بعدم الإفصاح عن مضمونها بأبيات فى العظة والاعتبار والنصح اختار منها ما يلى:

لا يجب مخالفة الأب   فإن ذلك يجلب الندم فى النهاية
يجب الاحتفاظ بالكلام فى القلب   ولا يجوز اجراؤه على اللسان فى التو
فاجراء الكلام لا يجلب غير الندم   ولا يندم أحد عند التزام الصمت(١)

خامساً:

يهتم الفردوسى فى الشاهنامة بابراز فكرة الثنوية «اله الخير واله الشر» و«الظلمة والنور». هذا فى حين تختفى هذه الظاهرة فى منظومة يوسف وزليخا، على الرغم من أن المناخ العام للقصة يتيح لمؤلفها ابراز مثل هذه الفكرة وحسن الاستفادة منها، وخاصة فى الصراع بين «يوسف» «الخير» و «اخوته» «الشر» وبينه وبين «امرأة العزيز» كذلك الظلام «داخل البئر» و «النور» خارجه ...

سادساً:

إن الفردوسى يولى اهتماما كبيرا فى الشاهنامة بوصف المكان الذى تدور فيه أحداث حكاياته وأبطاله، من جبال وطرق ووديان وطيور وغابات ، بل وما يتميز به كل مكان من طقس وتضاريس وطير . فجبال «توران» فى رحلة كيخسرو(٢) وصقورها وهوائها تختلف تماما فى وصف الفردوسى لها عن جبال آمل " عند ما زارها كيكاوس وهو يصف بدقة غابة نارون " وما بها من طيور وحيوانات وحشية وهواء طيب.. فاذا ما انتقلنا إلى صاحب منظومة يوسف وزليخا نراه لا يهتم

---

(١) نبايست كردن خلاف پدر   كه آخر پشيمانى آرد ببر
سخن داشت بايد بدل در نهان   نبايد سبك راند نش برزبان
پشيمانى آيد زگفتار بس   پشيمان نگردد زنا گفته كس

(٢) هنرى ماسيه : أوصاف ومناظر طبيعت در شاهنامة : من مقال له فى "هزاره فردوسى" : ص ١٠٢، ١٠٣.

بذلك مطلقا، رغم توفر هذه الفرصة عنده أكثر من مرة فى جو القصة العام . فقد كان يستطيع أن يصف لنا نهر النيل العظيم حينما انتقل يوسف إلى مصر وبيع عبداً لحاكمها ثم إنه كان يستطيع أن يصف لنا رحلة إخوة يوسف من بلاد كنعان إلى أرض مصر وتضاريس أرض كنعان وتضاريس مصر، والاختلاف بينهما يغرى الشاعر بوصفهما.

سابعًا:

إن الفردوسى فى الشاهنامة كان يميل إلى انتقاء الجمل والعبارات البسيطة التى تضع أسلوبه فى اطار «السهل الممتنع».، ذلك الأسلوب الذى جعل منه نبيا للوصف - ما يقول الفرس - ونموذجا فذا للفصاحة والبلاغة الفارسية.. فأنت حين تقرأ أبياته فى وصف واحدة من المعارك الحربية فى الشاهنامة، تراه ينقلك الى جو معركة حقيقية يصم أذنيك وقع سنابك الخيل وقعقعة السيوف وصليلها، ويدخل عينيك ويعفر وجهك غبار خيل المتحاربين.

فإذا ما انتقلنا إلى منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى فاننا نفتقد هذه المقدرة الشعرية الفذة التى امتاز بها الفردوسى فى الشاهنامة.. صحيح أننا شعرنا بأحزان يعقوب وآلامه على فراق يوسف وفقده، ولمسنا ما تعرض له من عذاب على أيدى اخوته ومحنة بيعه عبدا فى مصر، وتأثرنا بما لقيه من عذاب محنة السجن ، ومحنة الغواية والضلال التى حاولت إمرأة العزيز جره اليها . لكن الحزن لم يكن وحده المقصود من منظومة طويلة تزيد أبياتها على خمسة آلاف بيت من الشعر...

ثامنًا:

إن القارئ لشعر الفردوسى فى الشاهنامة يدرك بوضوح خلوه من الإسفاف وبعده عن استخدام التشبيهات الحسية، كما يلحظ نزاهة قلمه وعفة لسانه ونظافة حديثه. فى حين يكثر مؤلف منظومة يوسف وزليخا» من استخدام الأساليب الحسية فى الوصف. ومن ذلك قوله فى وصف لقاء زليخا بيوسف:

سمعت أنها جاءت يوما بذلك الجمال بمائة لون من الغنج والدلال
مثل قبة من الفضة الخام ووجهها يتألق كالبدر التمام
وجلست بالقرب من يوسف الشمسى الوجه ووضعت يدها في يده الناعمة
وتحدثت بطريقة لطيفة وقالت له أيها الحبيب وليد الحور
إذا طلب منك قلبك المعطوف حسناء جميلة مثل روح العالم
فخذنى فها أنا ملكك وأنا جاريتك ومحبة لك[1]
إنى أفكر بعقلى ورأيى فى وصالك وأرجو أن أحقق مرادك
فالآن لا تحزن قلبك أكثر من هذا واقض أيام الحياة علي مرادك في النعيم
وأطعم الثمر من نعمتك ودولتك فإنه لا تكون لك ثمرة أحسن من هذه
قالت هذا واحتضنته بشدة لتخطف قبلة من شفتيه السكريتين[2]

وحين تناول الشاعر حادث المراودة نراه وقد راح يصف زليخا وصفا حسيا مثيرا للغرائز على النحو التالى:

بطنها لطيفة وبلور متألق ولكنها فى النعومة مثل الخز والفراء[3]
نهداها مثل رمانتين فضيتين إذا كان السرو الفضى يثمر الرمان
ولها فخذان ممتلئان كفخذ الهجين سلبتا من الجسم العقل ومن القلب الاحتمال

---

(١) شنيدم كه يك روزيا آن جمال بيامد بصد كونه غنج ودلال
بسان يكى كنبد ازسيم خام درخشان رخش هم جوماه تمام
بريوسف مهر بيكر نشست نهادش بدست اندرون نرم دست
بطرز لطافت زبان بركشاد بدوكفت كى دلبر حور زاد
اكرخواهد ازتودل مهربان نكارى كه باشد جوجان جهان
مرادار اينك كه آن توام يرستنده ومهربان توام
(٢) ببويند توهوش وراى آورم مراد تويكسر بجاى آورم
كنون بيش ازين دردل انده مدار جهانرا بكام وتنعم كذار
براز نعمت ودولت خود بخور كه به زين درختت نيايد ببر
بكَفت اين وتنك اندرون شد برش كه بوسه ربايد زد وشكرش
(٣) شكم بود لطيف ودرفشان وبلور وليكن بنرمى جمو خز وسمور
دويمستان أو جون دوسيمين انار اكر سرو سيم آورد نار بار
جوران هيونان دوران سطبر زتن هوش بردى زدل تب وصبر

ساقاها مثل عمودين من فضة　　قائم عليهما جبل بيستون
ولها ساعدان أبيضان ممتلئان لطيفان　　هما مفتاح لب السرور وقفل الطرب
إنها بلاء العقل وشقاء الروح　　سالبة للقلب وهلاك للنفس(١)

فهذه الحسية المفرطة فى الوصف المثيرة للغرائز والمحركة للشهوة قلما نلمس وجودها فى شعر الفردوسى .. ولنا فى حادث المراودة بين سياوخش وسودابة زوج كيكاوس خير شاهد على ذلك. ولنقرأ هذا الحوار بين سودابة وسياوخش حين حاولت مطارحته الغرام والهوى فى خلوة أعدتها له فى غرفة نومها .. ويصف الفردوسى ذلك قائلا على لسان سوادبه فى الشاهنامة:

سأعطيك ابنتى　　فانظر إلى رأسى ووجهى وتاجى
فما سبب اعراضك عن محبتى　　وعدم اهتمامك بجمالى وحسن طلعتى
فمنذ أن رأيتك قتلنى حبك　　وزاد صياحى وهياجى واشتد الملى
ومن شدة الملى لا أرى ضوء النهار　　وكأن الشمس قد أصبحت صفراء فى عينى
فلتسعد نى فى الخفاء مرة　　وامنحنى عهد الشباب(٢)
أكثر مما أعطاك الملك　　سأعدّ لك التاج والعرش والملك
ولو عصيت أمرى　　ولم يكن قلبك روائى
سأحطم عليك كل هذا الملك　　وَيسْوَدّ فى عينيك ضوء القمر والشمس(٣)

---

(١) دوساقش بسان سيمين ستون　　بدان ايستاده كه بيستون
دوساعد لطيف وسطبر وسفيد　　در عيش وقفل وطرب راكليد
بلاى خرد بود وآسيب جان　　ربانيدن دل هلاك روان
(٢) بستودرخواهم دخترم　　نكه كن به روى وسروافسرم
بهانه جه دارى كه از مهرمن　　بسبيجى زبالا وازجهر من
كه تامن توراد يده ام مرده ام　　خروشان وجوشان وآزرده ام
همه روز روشن ز دردم　　بر آنم كه خورشيد شد لا جورد
يكى شاد كنى در نهانى مرا　　ببخشاى روز جوانى مرا
فزون زآنكه دارت جهاندار شاه　　بياريت تاج وتخت وكلاه
(٢) وكر سر ببيچى زفرمان ما　　نيايد دلت سوى درمان ما
كنم بر توابن شاه تباه　　مشود تيير بر جشم توخور ماه

الأبيات نقلا عن شاهنامة الفردوسي : ص ١٢٠ ، طبع بومبي

ففى هذه الأبيات، وفى هذا الموقف المثير للانفعالات والغرائز الإنسانية لم يتغزل الفردوسى فى مفاتن سودابه الجميلة ـ على نحو ما فعل مؤلف منظومة يوسف وزليخا ووصفه الحسى المثير للغرائز لمفاتن زليخا.. وهكذا نرى كيف اختلف الأسلوب والتناول الفنى بين الشاعرين ...

تاسعًا:

إنه من الملاحظ أن مؤلف قصة يوسف وزليخا كثيرا ما يستخدم كلمة «الراوى» فيما ينقله من أخبار وأحداث، كما يؤكد بين الحين والآخر على أنه يستمد ما يرويه من أحداث وأخبار من مصادر إسلامية . ويتضح ذلك من قوله :

ـ إن الله الجبار يقول حقا   وهكذا روى منذ الأزل

وفى موضع آخر من القصة يقول:

ـ لقد رووا عن كعب ووهب   ونقلوا عنهما هذه القصة(1)

وفى موضع ثالث يؤكد لنا أنه يروى من كلام العلماء وينقل من كتاب العهد القديم. ومن ذلك قوله:

هكذا قرأت فى الكتاب القديم   وهكذا أحطت علما من السابقين

سمعت من كلام العلماء   العقلاء الحكماء(2)

وفى موضع آخر من القصة يقول :

يروى كعب الأحبار   أروى صدقا عن كعب الأحبار(3)

هذا فى حين يذكر المؤرخون أن القصص والمنظومات التى ترجع إلى القرن الرابع الهجرى مثل شاهنامة الفردوسى وغيرها لا يرد فيها كلمة «راوى»، وانما تستخدم كلمتى «الدهاقين والموابذة» باعتبارهما رواة الأخبار ومصادرها.

---

(1) خد اوند جبار كويد درست   روايت جنين كرد آمد زنخست
روايت زكعب ووهب كرده اند   وزايشان جنين كسترده اند

(2) جنين خواندم ازنامه باستان   جنين آكهى دارم ازراستان
شنيدم زكفتاردانشوران   خرد پروران وسخن كستران

(3) همى كعب احبار كويد نخست   روايت زكعب دارم درست

وبناء على ذلك فانه من غير المستساغ والمقبول علميا وتاريخيا أن يكون ناظم قصة «يوسف وزليخا» من شعراء القرن الرابع الهجرى، إذ لم نعهد عند الفردوسى ولا أحد من معاصريه أن ينقل عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وعن غيرهما من الرواة الصادقين، ولا عن كتاب العهد القديم والقرآن الكريم فهذا الأسلوب فى الرواية عن كعب وغيره، بل وفى استخدام كلمة «راوى» نفسها إنما يرجع إلى القرن الخامس الهجرى وما بعده من قرون..

عاشراً:

إن النظامى العروضى السمرقندى - وهو باجماع الآراء - من أوثق المصادر وأقربها للفردوسى - لم يذكر شيئا فى كتابه «جهار مقالة» عن رحلة الفردوسى إلى بغداد ولا عن تأليفه لمنظومة «يوسف وزليخا»..

حادى عشر:

إن الأستاذ عبد الوهاب عزام - بعد دراسته لمقدمة بايسنقر - وما ورد فيها من ادعاء عن سفر الفردوسى إلى بغداد يقول: «إن حديث الفردوسى ببغداد حديث خرافة وقصة مدحة وزير الخليفة بقصيدة بليغة ومدحه الخليفة بألف بيت من الشعر العربى هو كذب صريح. فليس فى مقدمة يوسف وزليخا ذكر الخليفة صريحا أو كتابة ولا فيها ذكر بغداد أو أهلها ، وأن هذه أحاديث اخترعها الذين أرادوا أن يخلقوا للفردوسى قصة كقصص الشاهنامة»[1].

ثانى عشر:

إن الأبيات التى وردت فى مقدمة بايسنقر بعنوان : «سبب تأليف القصة» هذه الأبيات يناقض بعضها البعض مما يجعلها موضع شك كثير . ذلك أن قائلها يذكر مرة أنه نظم قصة يوسف وزليخا بتكليف من «الأجل تاج الزمان فلك الرفعة والوفاء الموفق».. وفى موضع آخر فى نفس المقدمة، يناقض هذا القول تماما ويقول: إنه نظمها تكفيرا عن نظم الشاهنامة». فأيهما نصدق ؟[2].

---

(١) عبد الوهاب عزام : مقدمة الشاهنامة : ص ٦٣ .

(٢) ذبيح الله صفا : حماسة سرائى درايران : ص ٢٨٣ - ٢٨٨ .

ثالث عشر:

إن الدارس لموضوعات الشعر فى القرن الرابع الهجرى يلاحظ أن أغلب المنظومات السابقة على شاهنامة الفردوسى والتالية لها كانت تدور فى فلك الشعر الحماسى وتستمد مادتها من تاريخ ملوك الفرس وأساطيرهم على نمط ما جاء فى شاهنامة الفردوسى والدقيقى والبلخى وبهمن نامه وغيرها، وكان ذلك راجعا إلى انتشار الثقافة البهلوية التى وصلت إلى المسلمين مترجمة على يد فريق من العلماء والمترجمين المسلمين، واستيعاب المؤرخين والشعراء والكتاب لما تحويه تلك المترجمات والكتب من حكايات عن تاريخ الفرس وأساطيرهم وبطولاتهم. ويلفت النظر فى هذا المقام ما ذكره ذبيح الله صفا فى دراسته لمنظومة «كَرشاسب نامه» التى ألَّفها الشاعر أسدى الصغير سنة (٤٥٨ هـ) من أن الشاعر قد ضَمَّن منظومته - لأول مرة - إشارات إسلامية عن الأنبياء مثل هود عليه السلام». كما كتب أسدى عددا من المقدمات فى مدح الله ونعت النبى عليه الصلاة والسلام وذم الدنيا. كما ترجم بعض عبارات من القرآن الكريم وهذه الإشارات وتلك المقدمات الإسلامية هى الأولى من نوعها التى تظهر فيما ألف من منظومات بعد شاهنامة الفردوسى. فإذا كانت «كرشاسب نامه» المؤلفه سنة (٤٥٨ هـ) هى أول منظومة يظهر فيها تلك الإشارات الإسلامية فكيف لنا أن نقبل ما زعم عن تأليف الفردوسى لمنظومة يوسف وزليخا وهى - كما مرينا فى غير هذا الموضع - مستمدة من كتاب العهد القديم ومن القرآن الكريم.. فعصر الفردوسى كان عصر تأليف الشاهنامات وقصص الحماسة الإيرانية، وحتى الكتب التى تلت عصر الفردوسى فإن أغلبها يدور فى فلك شاهنامة الفردوسى ويستمد موضوعاته من قصصها وحكايات وأساطير ملوكها..

رابع عشر:

إن الشاهنامة - على الرغم من ضخامة عدد أبياتها إذا ما قورنت بعدد أبيات منظومة «يوسف وزليخا» إلا أننا مع ذلك لا نجد فيها إلا عددا محدودا جداً من الألفاظ العربية، وتلك علامة واضحة وسمة بارزة يعرفها كل من درس الشاهنامة. هذا فى حين تنتشر الألفاظ العربية فى ثنايا منظومة «يوسف وزليخا» بحيث تمثل ظاهرة واضحة المعالم ..

******

وفى ختام هذا الفصل فإنه يمكن الإدعاء بأن هذه المنظومة التى نحن بصدد دراستها، هى من تأليف أحد رواة الشاهنامة ممن لهم دراية وخبرة ومهارة عالية فى نظم الشعر، وأن هذا الراوى الماهر لطول مصاحبته للفردوسى فى شاهنامته، قد وعى جيدا أسلوب الفردوسى وطريقته فى نظم الشعر وعرض الأحداث وبناء الشخصيات. كما أنه قد وجد فى متناول يده كما هائلا من القصص والكتب والحكايات العربية عن القصة، بالإضافة إلى كتب التفسير القرآنى المختلفة والتى كان بعضها مترجما إلى الفارسية، مثل تفسير الطبرى وهو من أجمع التفاسير لمختلف الروايات، والذى كان قد ترجم إلى الفارسية فى عهد السامانيين. وكل هذه العوامل دفعته إلى نظم هذه القصة، ولم يكن اختياره للبحر المتقارب ـ الذى نظمت فيه الشاهنامة ـ ضربا من الصدفة،،، ولكنه ـ كما أرى ـ كان مفروضا عليه بحكم طول تجربته مع الشاهنامة واستيعابه لأسلوب الفردوسى وطريقته فى صب القوالب الشعرية التى اختارها لشاهنامته ، هذا الراوى ـ قد هَوَّن على نفسه الأمر، وشمر عن ساعديه وأقبل على نظم هذه القصة فى نفس البحر الذى يؤكد جميع النقاد أنه لم يكن البحر المناسب لمثل هذه المنظومة الرومانسية الحزينة، وانما كان البحر الأنسب لشعر الملاحم، والذى أحسن الفردوسى اختياره للشاهنامة، وشَتَّان بين اختيار الفردوسى واختيار هذا الشاعر. فقد كان اختيار الفردوسى اختيار صانع ماهر مجيد لصنعته ، بينما كان اختيار هذا الشاعر اختيار مقلد أحسن الطريق مرة، وضيعه عشرات المرات. ولقد كان ما لدى هذا المؤلف من الفطنة والذكاء دافعا له على دراسة شخصية الفردوسى وحياته وسلوكه وميله إلى التشيع. فما كان منه إلا أن قدم منظومته بأبيات فى مدح النبى وآل بيته توحى لمن يقرأها بأن ناظمها كان على مذهب التشيع .. ثم إنه ولشدة تأثره بحكايات الشاهنامة، نراه فى هذه المنظومة كثيرا ما يستخدم عبارات من التى اشتهر بها الفردوسى فى الشاهنامة، مثل روايته عن «الموابذة وعن عبدة النار»..

كما أننا نستطيع القول بأن هذا المؤلف كان من حاشية الأمير طغا نشاه بن ألب أرسلان المتوفى عام (٤٨٥ هـ)، وأنه قَدَّم له هذه المنظومة.. وهذا الزعم الأخير قائم على ما أورده القاضى أبو نصر بن مسعود الأنوى فى كتابه «أنيس القلوب» والذى يذكر فيه أن شاعرا كان تخلصه «شمسى» نظم قصة يوسف

وزليخا فى البحر المتقارب ، وسماها «يوسف وزليخا طغانشاهى» وأن الشاعر المذكور كان يعيش فى العراق وكان مداحا لشمس الدولة، وقد اتخذ تخلصه «شمسى» من اسم شمس الدولة ومن أبيات صاحب «أنيس القلوب عن ذلك قوله:

ذات مرة سمعت مصادفة	أنه كان بالعراق رجل
شاعر مجيد ملقب بشمسى	تحمل كثيرا من الألم فى سبيل العلم والأدب
كان قد نظم قصة	يوسف الطيب الذكر كاملة[1]

هذا .. ومن الجدير بالذكر أن العالم الإيرانى «برويز ناتل خانلرى» قد نشر فى عام (١٩٥٣م) كتابا بعنوان: قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسى قرن ششم»[2] ذكر فى مقدمته لهذه القصة أنها كتبت نثرا عام (٥٨٤ هـ) للأمير الغورى غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام...

• وقد تبين لى بعد دراسة هذه القصة أن مؤلفها استفاد من القصة المنسوبة للفردوسى وسار على نسقها فى ترتيب أحداث قصته. وننقل هنا فقرتين من أحداث القصة المذكورة ومايماثلها من القصة المنسوبة للفردوسى...

أما الفقرة الأولى: فتمثل جانبا من الحوار الذى دار بين يعقوب عليه السلام والذئب الذى أحضره أولاده من الصحراء زاعمين أنه الذئب الذى أكل يوسف عليه السلام. ويقول الشاعر على لسان يعقوب موجها حديثه إلى الذئب الذى انطقه الله بطلب من يعقوب:

---

(١) وديكر شنيدم كه اندر عراق	يكى مرد بودست اتفاق
يكى شاعر خوب شمسى لقب	بسى رنج برده بعلم وادب
مرين قصة يوسف نيك نام	بنظم أو بكفتست يكسر تمام

أما عن كتاب «أنيس القلوب» فهو واحد من كتب نشريات «خزائن تركية» وقد نشره مجتبى مينوى ضمن العدد الثالث «السنة الثانية» من مجلة كلية الآداب جامعة طهران ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، وقد نشر مينوى مخطوطة للكتاب المذكور نقلا عن نسخة للكتاب بمكتبة «آيا صوفيا» رقم ٢٩٨٤، ويذكر مينوى أن مكتبة جامعة طهران تحوى فيلما لهذا المخطوط هذا وقد أحضر لى أحد الأصدقاء نسخة من مجلة كلية الآداب التى تحوى نسخة المخطوطة السالفة الذكر وتبين لى من مطالعتها أنَّ الكتاب المعنى بالذكر ألفَّه الأنوى سنة (٦٥٠ هـ) وفيه يتحدث عن الأنبياء» منذ آدم عليه السلام إلى أن يصل إلى الحديث عن سيدنا يوسف عليه السلام وذلك فى الورقة رقم (٤٠) من الكتاب.

(٢) قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسى قرن ششم : نشر برويز ناتل خانلرى طهران (١٩٥٣ م)

بپرسید یعقوب ازاو در زمان	که ای بی وفاکَرکَ نامهربان[1]
جرا خوردی آنکام جان مرا	مرآن آفتاب روان مرا
مرآنمؤنس وغم کسار مرا	مرآن هوش وجان فکار مرا
جه دیدی تواز من که فرزند من	بدا انسان کسستی ببیوند من
جنین بی پسر زار بنشا ندیم	زکیتی ومینو بر افشاندیم
جو بشنید کرك این سخنهای زار	زیعقوب آزرده دل فکار
بفرمان یزدان زبان برکشاد	جنین کفت کی مایه دین وداد
خداوند کرده ست برما حرام	تن پاك پیغمبران والسلام
نخوردیم هرکز نخواهیم خورد	نکّاه اندران هم نخواهیم کرد بسند
معاذ الله آی سایه کرد کار	بسندیده بیغمبرنامدار
نکشتم بنزدیك فرزند تو	ندیدیم خود آن یك دلبند تو[2]

ويصور ذلك المشهد مؤلف قصة يوسف وزليخا المنثورة قائلا: ـ

«وجون بيش يعقوب آوردند اورا كفت[3]: ايها الذيب فراتر آی فراتر آمد تابيش يعقوب بنشست وسردر بيش افكند. خدای تعالى أورا بسخن آورد. كفت: لبيك اسرائيل الله. يعقوب كفت: جه جرم كرده بودم كه با من اين كردی كه

---

(١) منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسي: ص٧٣ ، طهران ١٣٤٤ هـ.

(٢) وفي الحال سأل يعقوب الذئب	أيها الذئب الجافي القاسي
لماذا مزقت فلذة روحي	وشمس روحي الساطعة
ومؤنسي وسلواي	وعقلي وسكينتي وقراري
ماذا رأيت مني	حتى قطعت ابني عن وصلي
واجلعتني حزينا هكذا بلا ابن	وجردتني من الدنيا ومتعتها
وحين سمع الذئب هذا الكلام المبكي	من يعقوب المجروح القلب
نطق بإذن من الله	وهكذا قال : يارائد الدين والعقل
إن الله سبحانه وتعالى	حَرَّم علينا أجساد الرسل الطاهرة والسلام
لم نأكل ولن نأكل	ولن ننظر إليهم نظرة سوء
معاذ الله يا ظل الله	ويا نبي الله المفضال
إني لم اقترب من ابنك	إنني لم أرحبيب قلبك

(٣) يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسي قرن ششم : ، ص ١٢ ، ١٣ ، طهران ١٩٥٣ م .

ميكويند يوسف مرا بخوردى وبر من رحمت نكردى ومرا بسوختى؟ كرك كفت: معاذ الله يا نبى الله بعزت آن خداى كه ترابيا فريد ونبوت داد كه من فرزند ترا نخورده ام ونديده ام ونه ازوى خبر دارم من خود دراين ناحيت غريبم. اكنون اينجا افتاده ام براه كذرى. أما علمت أن لحوم الانبياء حرام علينا. هركز بيرامون بيغمبر نكرديم مكر بتبرك..[1]»

والفقرة الثانية ننقلها من المشهد الخاص بالحواريين يوسف عليه السلام وزليخا زوج عزيز مصر حين دعته إلى مخدعها لمطارحتها الهوى. ويصور صاحب يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى ذلك المشهد قائلا: -

زليخا بدو كفت كه أى دلرباى	اكَريم دارى همى ازخداى[2]
كناه ترا من كفارت كنم	زنيكى هزاران اشارت كنم
بخشه همه مال وكَنجم كه هست	بدرويش كه توشه وَتنكدست
بجز كَنج خود كَنجهاى عزيز	نبخشم بدرويشى در مانده نيز
بنزد توا يزد داد كَر	بفضلش بياموز دست اين كَناه[3]

ويصور ذلك المشهد صاحب قصة يوسف وزليخا النثرية قائلا[4]: -

«كَفت يا يوسف جرا مراد من بر نيارى ؟ كَفت : ازبيم آن خداى كه مرا بيا فريده است وبجاى نيكوى كرده . كفت : من جندان مال دارم از زر وجوهر همه ازبهر خداى تويدهم تا ازتودركذارد»[5].

---

(١) ومعناه: «ولما احضر امام يعقوب واوقف امامه انطقه الله ، قال : لبيك يا اسرائيل الله . قال يعقوب : اى جرم صنعته حتى تفعل معى ذلك ؟ فهم يقولون انك اكلت يوسفى ولم ترحمنى وقهرتنى. فقال الذئب: معاذ الله يا نبى الله فبعزة الله الذى خلقك واصطفاك بالنبوة لم التهم ولدك ولم اره ولا اعرف خبرا عنه . فانا غريب عن هذه الناحية ، والآن كنت امر عابرا من هنا . الا تعلم أن لحوم الأنبياء حرام علينا ، ولم نقترب مطلقا من نبى إلا للتبرك».

(٢) منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى : ص ١٤٢

(٢) قصة يوسف وزليخا ازيك تفسير فارسى قرن ششم : ص ٣١.

(٤) قالت له يا حبيبى	إذا كنت تخشي الله
فإننى اكفر عن ذنبك	واريك آلاف الاشارات من الصلاح
اتصدق بكل ما املك من مال وكنوز	على الفقراء المعدمين
وعدا كنوزى اهب كنوز العزيز	إلى الفقراء العاجزين أيضا
حتى يغفر الله العادل	ذنبك هذا بفضله

(٥) المعنى: قالت يا يوسف لماذا لا تحقق مرادى؟ قال: خوفا من ذلك الإله الذى خلقنى وسوانى. قالت : إن عندى مال كثير من الذهب والجواهر انفقه من أجل أن يعفو عنك الهك».

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه الموازنة التأثير الكبير لقصة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى على ما جاء بعدها من قصص تتناول هذا الموضوع[1].

* * * * * *

وعلى هذا فإن الأدلة التى عرضناها فى هذا الفصل تؤكد أن الفردوسى لم يذهب إلى العراق ولم يؤلف قصة يوسف وزليخا ، وأنه برئ من ذلك براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام........

* * * * * *

---

(١) كتب الشاعر الصوفى أبو عبد الله الانصارى المتوفى سنة ٤٨١ هـ قصة يوسف وزليخا نثرا ولم استطع الحصول على نسخة منها.

القسم الخامس

عرض لأحداث القصة المنسوبة لأبى القاسم الفردوسى

إذا نحن سلمنا بما وصلنا إليه من نتيجة فى الفصل الثالث وهو أن أحد الشعراء المجهولين هو الذى نظم قصة يوسف وزليخا ونسبها بعض المؤرخين إلى الفردوسى، وأن هذا الشاعر قد نهج أسلوب الفردوسى فى نظم الشاهنامة وسار على منهجه فى بناء الشخصيات وترتيب الأحداث فإننا نزعم أن هذا الشاعر قد نهض لنظم قصة يوسف وزليخا بعد أن درس عناصرها المتعددة ومواقفها المختلفة التى يتسع فيها مجال الشعر وتصلح منطلقا لخيال الشعراء.

وقد حرص هذا الشاعر - كى يكسب المنظومة نوعا من الحبكة القصصية الشعرية - على الالتزام بترتيب القصة كما وردت فى القرآن الكريم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فقد كان ينظم المواقف القصصية التى تذكر فى تفسير الآيات ملتزما ترتيب الأحداث، كما أوردها القرآن الكريم.. لقد سعى إلى استيعاب كل الأحداث التى وجدها عن يوسف سواء فى القرآن الكريم أو التوراة أو كتب التفسير المختلفة، فجمع كل شىء عن حياته منذ مولده حتى وفاته وضمنه منظومته. والواقع أننا نجده يتناول قصة يوسف باستيعاب شبيه بذلك الاستيعاب الذى سار عليه الفردوسى فى الشاهنامة..

ولقد بدأ هذا الشاعر المجهول منظومته بالحديث عن الله وقدرته فى خلق الموجودات والكائنات والحياة والموت. ثم اتبع ذلك بأبيات فى مدح الرسول ﷺ، مؤكدا بذلك براعته فى استهلال هذه القصة الدينية، ومحاولا اضفاء نوع من

الجلال الدينى الذى يتناسب وموضوع القصة ومنزلتها فى القرآن الكريم، ومن هذه الأبيات قوله:ـ

محمد رسل ونبى   وهو أشرف الرسل أجمعين[1]
فهو سيد من نسب آدم   والعالم سعيد بدينه الحنيف
منذ أن خلق الله هذا العالم   وأوجد فيه كل شىء
كمثل محمد عليه السلام   لم يظهر شخص من عامة الناس وخاصتهم
منحه الله هذه المنزلة   فعلينا أن نتعلم منه العقيدة والشريعة
ويجد ربنا الإقتداء بمحكم سنته   فلا ممدوح عند العقل سواه
ويجب اتباع أقواله   ويجب البحث عن سائر أفضاله
أنا عبد لأهل بيت النبى   ومدّاح لتراب قدم الوصى
ولا شأن لى بالآخرين   ولا التقى معهم فى طريق
فلا تلتفت إلى إيذائهم   فإن إيذاءهم يوردك النار

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى مدح الملك الذى قدم إليه المنظومة ويسميه «بادشاه إسلام[2]» ويلى ذلك فصل فى بيان فضل بنى آدم على الحيوان ينتقل الشاعر بعده إلى الحديث عن سبب نزول سورة يوسف عليه السلام وفى ذلك يقول:

---

(١) محمد رسول وپيغمبر ست   زپيغمبران دگر بهتر ست
كه اوسيد ازتخمه آدمست   كه زدين پاكش جهان خرمست
همى تاخدا اين جهان آفرين   از وصفها كرد يكسر پديد
بحق محمد عليه السلام   نيامد پديد او همه خاص وعام
كسى كش دهد ايزد اين پايگاه   ازاوبايد آموخت آئين وراه
بى فرخ او گرفتن سزد   ستوده ازا ونزد خرد
از گفت بايد سخن سر بسر   وزوجست بايد هنردر بدر
منم بنده اهل بيت نبى   ستاينده خاك پاى وصى
ابا ديگران مرمرا كارنيست   بد يشان مرا راه ديدار نيست
ازآزار شان تورخ را بتاب   كه آزار شان دوزخ آرد ثواب

(٢) يتحدث صاحب كتاب «أنيس القلوب» المؤلف (٥٦٠ هـ) عن قصة يوسف وزليخا المنظومة فى البحر المتقارب ويسميها «يوسف وزليخا طغانشا هى» ويقول إن ناظم تلك القصة كان تخلصه شمسى لأنه كان مداحا=

والآن أيـهـا الـعـاقل الـعـالم   انصت إلىّ مرة بقلبك وعقلك وذكائك
ومن البداية استمع منى عن سبب   نـزول الـسـورة من عـنـد الـلـه
سـمـعت من كلام الـعـلـمـاء   ذوى العقول الراجحة والبلاغة الواضحة
أنه ذات يـوم كـان الـرسـول الـكـريم   فـى بـيـت عـلـى الـوصى[1] [2]

ويذكر الشاعر بعد ذلك أن جبريل أبلغ النبى عليه الصلاة والسلام بالأحداث الدامية التى ستقع للحسن والحسين وأنهما سيظلمان كما ظلم أبناء يعقوب شقيقهم يوسف. وتطالعنا بعد ذلك أبيات فى الموعظة والاعتبار.. يشكو فيها الشاعر من شيخوخته وكيف غزاه المشيب وسرقت منه يد الدهر المسك ونثرت مكانه كافوراً يابساً وأنه لهذا أقدم على نظم قصة من كلام رب العالمين فليس هناك كلام أفضل منه.

هذا... وإذا كان الشاعر قد اعتمد فى مقدمته السابقة على كتب التفسير فإنه يعتمد فى القسم الذى يليها من المنظومة على ما ورد بشأن القصة فى التوراه.. فنحن نراه بعد ذلك وقد بدأ بالحديث عن الأنبياء منذ خلق الله إبراهيم ورزقه اسماعيل عليهما السلام وتدرج فى الحديث عنهما حتى وصل إلى الحديث عن يعقوب.. ويتصل حديث الشاعر عن أسرة يعقوب حتى تبلغ أبياته فى ذلك

= لشمس الدولة طغانشاه بن الب أرسلان وعليه فإن الملك المقصود فى هذا البيت ربما يكون شمس الدولة طغانشاه بن الب أرسلان، وكانت عاصمة ملكه هراة، وقد ولى هراة عدة أعوام، مرة فى عهد أبيه الب ارسلان ومرة فى عهد أخيه ملكشاه السلجوقى (٤٦٧ هـ).
نقلا عن أبو نصر مسعود الأنوى «انيس القلوب»، صورة من نسخة آيا صوفيا، نشر مجتبى مينوى، انقره ١٩٦٠م

(١) كـنـون اى خـرد مـنـد دانش پـذيـر   پـكى سـوى من دل وهـوش ودبـر
از آغـاز بـشـنـوكه جـون بـد سـبب   كه اين سـورت آمـد زيـزد ان رب
شـنـيـدم زكـفـتـان دانـشـوران   خـرد پـروران وسـخن كـسـتـران
كه يك روز پـيـغـمـبـر ابـطـحى   بـد انـدر سـراى عـلى الـوصى

(٢) تعتقد الشيعة الإمامية أن الله سبحانه وتعالى لا يخلى الأرض من حجة على العباد من نبى مشهور أو غائب مستور وفى رايهم أن النبى نص و اوصى لعلّى، واوصى علّى إلى ولده الحسن، وأوصى الحسن اخاه الحسين، وهكذا إلى الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر، وأن هذه سنة الله فى جميع الأنبياء. محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصول الشيعة وأصولها : ص القاهرة ١٩٥٨ م

اربعمائه وثمانية وخمسين بيتا ومنها نعرف أن يعقوب كان توأما لأخ آخر «عيصا» وأن عيصا كان مفضلا عند والده اسحق فى حين كان يعقوب محبوبا لدى أمه وكان بين الشقيقين عداوة شديدة بعد أن اشترى يعقوب الباكورة من عيصا وحصل بذلك على ضعف ميراثه من أبيه ثم استعرت نار العداوة واشتد لهيبها حين احتال يعقوب على والده الذى كان ضريرا وجاء له فى هيئة عيصا وقدم له القربان وحصل بذلك على بركته التى كانت من حق عيصا.. وحينما جاء عيصا إلى والده فوجئ بما حدث من أخيه يعقوب وضياع البركة عليه ـ وهدأ الوالد من روع الابن الغاضب الهائج ونصحه بالاحسان إلى أخيه، إلا أنه لم يكترث بنصيحته وراح يعلن فى كل مكان أنه سوف ينتقم من يعقوب بعد موت أبيه.. ونمضى مع الشاعر وهو يتحدث عن خوف يعقوب وشكواه لأمه من جبروت عيصا فتنصحه الأم بالهرب عند خاله بالشام.. وفى بيت خاله لا بان «بالشام» يواصل يعقوب العمل والعبادة.. وتمر عليه سنوات سبع ثم يهبط الوحى عليه باصطفائه للرسالة وأن عليه أن يتزوج بعد أن اصطفاه الله وذريته لخدمة الدين الحنيف.. ويمتثل يعقوب لأمر الله فيطلب إلى خاله لابان أن يزوجه ابنته راحيل بعد أن اشتعلت نار حبها فى قلبه وأنار ضياؤها حياته ونفسه ويستجيب الوالد الحنون لذلك مقابل أن يعمل يعقوب فى خدمته سبع سنوات.. وتمضى السنوات السبع فى جهد وعمل مستمرين فيقصد يعقوب بيت خاله ويطالبه بتنفيذ وعده ويتم الزواج. لكن يعقوب يفاجأ صباح يوم العرس أن خاله احتال عليه وزوجه ابنته الكبرى ليا بدلا من راحيل.. وتملأ الحيرة نفس يعقوب فيسرع إلى خاله «لا بان» يستوضحه الأمر، وبعد أن يوضح له خاله» سبب تزويجه «بليا» مكان «راحيل » يتفقان فيما بينهما على أن يعمل يعقوب لحساب خاله سبع سنوات أخرى مقابل تزويجه «براحيل».. وتمر السنون السبع من العمل المتواصل ويتزوج يعقوب من «راحيل» ويرزقه الله من الأختين ومن جاريتيهما «زلفا» و«بلها» كثيرا من الأولاد... إلى أن يشأ الله بولادة يوسف من راحيل».. ونمضى مع يعقوب فى رحلة العودة إلى أرض كنعان ـ بعد أن أمره الله على لسان جبريل عليه السلام ـ بأن يحمل أسرته ومتاعه إلى أرض كنعان... وبعد أن أقام مأتما كبيرا حزنا على وفاة «راحيل» ـ التى ودعت

الدنيا وهى تلد بنيامين ـ وهكذا وجد يعقوب نفسه مضطرا لأن يدع ولده يوسف عند أخته لتتولى رعايته والاشراف عليه، فقد كان يؤثره بحبه على بقية إخوته... ولكنه مالبث بعد فترة ـ عانى فيها ألم الفراق ـ أن طلب يوسف من أخته مرة أخرى ـ بعد أن أدرك أنه لا يطيق البعد عنه. ولكنها دبرت حيلة لاستبقائه فلفت خصره بمنطقة كانت تملكها أسرة يعقوب منذ القدم وأحكمت لفها عليه دون أن يشعر.. وكان العرف فى ذلك العصر يقضى بأن يسترق السارق عامين متواليين فتمكنت عمته بهذه الحيلة من استعادة طمأنينتها عامين آخرين وسعد قلبها برؤية يوسف فترة أخرى من الزمن.. ونمضى مع الشاعر نتتبع حياة يعقوب وما سيحل به من هموم وأحزان فالرسل كما يرى الشاعر ـ قد لحق بكل منهم غير قليل من الشدة والألم وتنوعت أسباب هذه الآلام وتلك الشدة:

كان هناك رسولان من رسل الله ... كان بكاؤهما أكثر من الآخرين
الأول آدم أول الأنبياء ... وكان الآخرون من نسله
إنه بكى مائتي سنة على التوالى ... وأمطر الدموع كسحاب الربيع
أما الثانى فكان يعقوب النقى الذكى ... الذى بكى طيلة أربعين سنة(١)

******

ويذكر الشاعر نقلا عن كتب القصص القرآنى قصة حول سبب البلاء الذى سيحل بيعقوب وهو أنه ذات يوم اشتهى شواء وكان عنده بقرة ذات وليد فذبح يعقوب الوليد أمام عينها مما كان سببا فى غمها وحزنها، فعاقبه الله على قسوته بفقد يوسف وبيعه عبدا. وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الحديث عن رؤيا يعقوب عليه السلام والتى كانت بمثابة النذير لما سيحل به وبأسرته من هموم وأحزان حيث رأى عشر ذئاب يلتفون حوله ويندفع من بينهم ذئب شرس يخطف يوسف من حضنه ويحمله إلى مكان بعيد لا يعلمه إلا الله. ونمضى مع الشاعر من رؤيا يعقوب وما تحمله من نذير وفأل سيئ ملأ قلبه بالهم والخوف إلى رؤيا يوسف

---

(١) دوبودند پيغمبر كرد كار ... كشان بد گرستن فراوان بزار
نخست آدم اغاز پيغمبران ... كه بود نداز نسل او ديگران
دوصد ساله پيوسته گرينده بود ... جوابر بهارا شك بارنده بود
دگر بود يعقوب پاكيزة دل ... كه بگريست پيوسته سالى جهل

الأولى... ويفرد لها الشاعر ما يزيد عن العشرين بيتا يصف فيها كيف أنه واخوته قد غرسوا إحدى عشر غصنا فى الصحراء وأن كل واحد من الأغصان العشر انحنى راكعا أمام غصن يوسف. ولما سمع يعقوب رؤيا يوسف سعد بها ونصحه أن لا يبلغ إخوته بمضمونها لكن يوسف ومع مطلع الشمس يذهب إلى إخوته ويحكى لهم رؤياه رغم تحذير الأب بألا يفعل ذلك. وانقضت على هذه الحكاية سنة «وذهبت رؤيا يوسف تلك كأنها أكذوبه.. وكلام أجوف».. ومع مطلع السنة الجديدة يرى يوسف، رؤياه الثانية ومفادها بأنه كان يعمل فى الحطب مع اخوته العشر وبعد أن ربط كل واحد منهما حمله ووضعه فوق رأسه فجأة أزهر حمل يوسف ونبتت فيه الزهور والرياحين وخرت أحمال إخوته ساجدة أمام حمله. ومرة ثانية لا يسمع يوسف نصيحة الوالد وينطلق مع مطلع النهار صوب إخوته الحاقدين الحاسدين فيبلغهم برؤياه الثانية فتضيق روحهم من تلك الرؤيا التى كانت تليق بالملوك ويتجدد عداؤهم ليوسف.. وجرى ماء الحقد فى الجدول مرة ثانية ومضى عام آخر ازداد فيه حسن يوسف وجماله حتى أصبح محسودا من الشمس والقمر والكواكب.. وذات ليلة رأى يوسف رؤياه الثالثة «الأحد عشر كوكبا» التى أوردها القرآن الكريم وراح الأب الحنون يحذر ولده من كيد إخوته وينصحه بأن لا يبلغ إخوته بهذه الرؤيا وينبئه بما سيكون عليه من شأن عظيم.

ومع الحديث عن هذه الرؤيا يسير الشاعر بأحداث قصته طبقا للمنهج القرآنى.. ثم ينتقل بنا إلى لوحة أخرى نرى فيها الإخوة وقد اجتمعوا يتذاكرون أمرهم وينفثون سموم حقدهم فيما بينهم، بعد أن أبلغهم يوسف بأمر رؤياه، فأجمعوا أمرهم فيما بينهم على الخلاص منه.. ولتنفيذ ذلك يتوجه الإخوة الضالون إلى أبيهم يسترضونه بمعسول القول وكاذب الحديث ليسمح لهم باصطحاب يوسف إلى الصحراء. ويرفض الأب فى البداية خوفا على ولده من أن يأكله الذئب.. ورغم فشل الطغمة الفاسدة فى اقناع الوالد باصطحاب يوسف إلى الصحراء، إلا أنهم لم ييأسوا.. وتوجهوا إلى يوسف وأغروه بالخروج معهم.. وأمام الحاح يوسف على الأب المسكين يوافق فى النهاية على خروجه معهم بعد أن أوصاهم بالمحافظة عليه. وراح هؤلاء الإخوة يتوددون إلى يوسف إلى أن ابتلعتهم

الصحراء بعيدا عن أنظار الأب المسكين وهناك كشروا عن أنيابهم واستمروا فى إلحاق ألوان الأذى والتعذيب بهذا الطفل الضعيف. وتذهب توسلات يوسف لهم أدراج الرياح. ويعمل الشاعر خياله الخصب ليرسم لنا لوحة معبرة ومؤثرة يظهر فيها يوسف متوسلا ومستعطفا اخوته ليرحموه من العطش وألوان العذاب والمهانة التى استمروا واحدا وراء الآخر فى الحاقها به.. ويسهب الشاعر فى وصف مناظر هذه اللوحة حتى يبلغ عدد أبياتها ما يزيد على مائتى بيت. نختار منها قوله:

فهرع إلى روبيل وقال له ... إن روحى بلغت شفتاى
وقد ماى منهكتان وقلبى مضطرب ... وسقط قلبى وتورمت قدماى(1)

وبعد وصف مسهب لهذا اللوحة ينتقل الشاعر بعدها إلى الحديث عن يوسف فى قاع البئر، بعد أن أجمعوا أمرهم على التخلص من يوسف بالقائه فى البئر.. وفى داخل البئر يهبط جبريل ويحتضن يوسف ويحول خوفه وهلعه وجزعه إلى أمن وطمأنينة، حيث بسط بأمر الله جناحا فاتسع ذلك البئر وتحول ليله الحالك إلى نهار مضئ وألبسه حلة من الجنة وأطعمه وسقاه من طعام الجنة... ويخرج الشاعر من هذا الموقف بتقديم عظة استقاها من تاريخ آل يعقوب يقول فيها(2):

كل من يكن مع رب العالمين ... أثناء شدة الروح ومحنتها
تكن عاقبته هكذا ... فوجه قلبك إلى هذه الحكاية
فإبراهيم الذى كان خليل الله ... انك قد سمعت فى تلك القصة المبهجة
أنَّ نمرود الذى صنع له نارا محرقة ... عندما القاه فى النار

---

(1) بنزديك روبيل دويد ... بدوكفت جانم سوى لب رسيد
نه بايم درستست ونه دل بجاى ... فتاده دل وآبله كشته باى

(2) تعكس هذه الفقرة لمحات صوفية يتحدث فيها الشاعر عن نقاء السريرة وصفاء النفس وضرورة ارتباط الروح بخالقها فى لحظات الشدة والمحنة... ثم هى من جهة أخرى تعكس براعة الشاعر ومقدرته الفنية فى خلق نوع من الربط لاثبات قدرة الله على تغيير احوال عباده المخلصين من الشدة إلى الفرج ومن ألعسر إلى اليسر. ويذكر الشاعر أمثله أخرى على تكريم الله لأنبيائه المخلصين. وضرب لنا مثلا بإبراهيم خليل الله واسماعيل عليهما السلام.

فـى ذلـك المـــــــكـــــــان   ربط إبراهيم قلبه بالله باخلاص[1]

ونترك يوسف مع جبريل فى البئر ونعود مع الشاعر إلى بيت يعقوب وهناك نقابل أبناء يعقوب عائدين فى المساء إلى أبيهم ومعهم قميص لطخوه بدم كذب وفى عيونهم دموع التماسيح. وأدرك يعقوب بقلب النبى الطاهر ما حل بيوسف.. وينفجر قلبه فى بكاء وأنين أهاج مشاعر الرفق والرثاء فى قلب الشيطان وسيطرت على نفسه سحب الكآبة والحزن حتى أن الحجر تقطر منه الدم من شدة تأثره وراح يعاتب القميص لعودته وحده بدون حبيبه يوسف ونسمعه يقول له:

ـ هكذا قال أيها القميص الجافى   إنك لم تخرج من عندى وحدك[2]

ويمضى يعقوب مجادلا بنيه العشرة بعد أن رفض عقله وقلبه ما ادعوه من زيف الحديث.. إذ كيف مَزَّقِ الذئب جسد يوسف بأسنانه وكيف بقى القميص سليما كأنه حيك من جديد، وإذا كان يوسف عارى البدن وقد خلع قميصه عن جسده فكيف وصل هذا الدم إلى القميص.. ويخجل الإخوة العشرة من كذب دعواهم أمام الأب المسكين ويصبح لامفر من إحضار الذئب الذى مَزَّق جسد يوسف وهم عنه غافلون.. وانطلق الجميع إلى الصحراء وصادوا ذئبا ولوثوا فمه ومخالبه بالدم واحضروه إلى يعقوب بزعم أنه هو الذى أكل يوسف: ويتوجه يعقوب بالدعاء إلى خالقه العظيم أن ينطق الذئب ليقف منه على حقيقة ما حدث... واستجاب القادر الكريم لدعواه فأسرع يعقوب إلى سؤاله ومحاورته، وفى هذا الحوار يذكر الذئب ليعقوب أنه ذئب غريب أقبل من الشام إلى كنعان بحثا عن صغيره وأن إخوة يوسف اصطادوه لينسبوا اليه هذه الفرية.. فلم يجد يعقوب بدا من الصبر والدعاء لهذا الذئب بالمغفرة وأن يعيد الله إليه إبنه.

---

(١) هر آنكو بود باخداى جهان   بهنكام سختى وآسيب جان
بد ينكونه باشدش فرجام كار   يكى دل برابن داستان بركمار
براهيم كويد خليل خداى   شنيدى در آن قصة دلكشاى
كه نمرود كان آتشى ساختش   درآ نكه كه بر آتش انداختش
براهيم رانبر آن جايگاه   باخلاص دل بسته شد با اله

(٢) جنين گفت كاى بيوفا بيرهن   نه تنها برون رفتى ازبيش من

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى بيت أقامه يعقوب واعتزل فيه عن الناس واسماه (بيت الأحزان)... ثم يعود الشاعر إلى تتبع ما حدث ليوسف بعد اخراجه من البئر على أيدى رجال إحدى القوافل العابرة بالصحراء واختلاف أهل القافلة حول شخصية يوسف ومن يكون إلى أن يعم ضياء يوسف وريحه المسكية منطقة البئر وما حولها حتى يبلغ مراعى أولاد يعقوب فيهرعون إلى حيث مصدر الضياء ليقفوا على حقيقة الأمر... ولما رأوا يوسف بين يدى مالك وجماعته أمطروه بسبابهم ولعناتهم مدعين أنه عبدهم وأنه هرب منهم، وقالوا لمالك أن به ثلاث عيوب فاحشة تفزع قلوب الخلائق منها: أنه دائم الهرب، وكاذب، ولا يكف عن البكاء، فمن ذا الذى لا يغضب منه... وتجرى المساومة على ثمنه بينهم وبين مالك وتتم الصفقة الخاسرة ويصبح يوسف عبدا بعد أن وَقَّعَ اخوته على صك العبودية «البيع» لمالك ذعر.

*****

ويذكر الشاعر بعد ذلك أن يوسف عليه السلام بعد أن أدرك أن الأمر قد ضاق عليه من كل ناحية، توجه إلى مالك ذعر واستأذنه فى أن يسلك الطريق إلى البئر لوداع اخوته، رغم ما حل به من قسوتهم وظلمهم... فيقوده إلى موضع البئر عبد زنجى بعد أن قيده بالأغلال الثقيلة القاسية. وبعد ذلك يصف الشاعر لنا موقف الوداع بين يوسف واخوته فى خمسين بيتا يعاتبهم فيها على قسوتهم عليه وبيعه بدراهم معدودة. وينتهى العتاب بين يوسف واخوته.. وتيمم القافلة وجهها صوب مصر. وفى الطريق يمر يوسف على قبر أمه ويشكو لها ما حدث من اخوته وكيف اهانوه... وتكتشف القافلة غياب يوسف عند قبر أمه فتبعث أحد عبيدها خلفه، فيجده عند قبر أمه ويصفعه صفعة ارتعدت من قوتها ملائكة السماء وهبط عليه جبريل يسأله أن يشق الأرض على هذه القافلة فتبتلعها... لكن يوسف أبى أن يوافق على الانتقام وآثر الصفح والغفران.. وحينما بلغت القافلة مشارف مصر وأصبحت على مقربة من النيل طلب مالك من يوسف أن يستحم فى ماء النيل ـ وبأمر من الله العادل خرجت سمكة كبيرة من الماء وحالت دون رؤية الخلائق جسد يوسف الطاهر «وكان فوقه قبه من النور جاءت من عند الله

العزيز[١]،، فرأى كل أهل مصر وما حولها نورا مثل نور الشمس[٢].. ثم أحضر جبريل الأمين ثيابا من الجنة ليوسف فزادته حسنا على حسنه مما أوقع مالك بن ذعر فى حيرة من أمره فقد رآه فى ثياب غير التى أعطاها له[٣]. ومع الشاعر ننتقل إلى ساحة العرض التى ازدحم فيها أهل مصر للمزايدة على ثمن يوسف وتبارى الجميع فى رفع ثمنه. ولكن عزيز مصر ضاعف ثمنه مرة واحدة. وحين تَمَّ البيع أراد مالك بن ذعر أن يفوز بتاج يوسف الذهبى، لكنه حين مد يده ليأخذ التاج من فوق رأسه[٤] شلت يده فى مكانها بأمر الله وانكسرت عظامه من الخوف وأخذ يبكى ويولول واستغاث بيوسف طالبا منه أن يدعو الله أن يشفى يده، فلما استجاب الله دعاءه رفض أن يتقاضى فى يوسف من العزيز أكثر مما دفعه لاخوته قبل ذلك... وحمل العزيز يوسف إلى بيته وأوصى امرأته زليخا[٥] به خيرا فوجهت همتها لرعايته والسهر على راحته بصورة فاقت كل الحدود...

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى الحديث عن بلوغ يوسف واكتمال نضجه مما لفت نظر زليخا وحَوَّل قلبها إلى عشقه ومن ذلك قوله:

فاعلم أنه اشتد عوده وبلغ مبلغ الرجال   جديرا بتاج الملوك[٦]

لكن عشق زليخا ليوسف واهتمامها الزائد به لم ينسه والده المكلوم، فكان يوسف يخرج كل أسبوع إلى الطريق المؤدية إلى كنعان أملا فى لقاء من يستفسر

---

(١) ببا لايكى قبه از نور نهز * بيامهد بتقد يروب عزيز

(٢) همه مردم مصر وآن بوم وبر   يكى نور ديدند جون نور خور

(٣) يقدم الثعلبى فى كتابه «قصص الأنبياء» وصفا لرحلة يوسف إلى مصر قائلا: إن مالك ذعر كان يسمع تسليم الملائكة على يوسف صباح ومساء وهو فى طريقه إلى مصر وانه كان ينظر فيرى غمامة بيضاء تظلله وتسير فوق راسه وتقف على راسه إذا وقف (الثعلبى: قصص الأنبياء ص ١٢٤) ومن ذلك يتضح ان شاعرنا قد نقل هذه الصورة الوصفيه من الثعلبى وغيره من كتب التفسير وقصص الأنبياء.. وفى فقرة اخرى يقول الثعلبى : فلما قدموا إلى مصر امر مالك يوسف أن يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع». (المرجع السابق ص ١٢٤ وما بعدها...

(٤) بفرمان يزدان شدش خشك دست   زيمش همه استخوانها شكست

(٥) لم يرد ذكر لا سم هذه المراة لا فى القرآن ولا فى التوراه لكن روايات المفسرين تطلق عليها اسماء مختلفة فمرة تسميها «راعيل» أو زاحيل او إمراة فوطيفار «او» إمراة سيده «كما فى التوراه وإمراة العزيز كما جاء فى القرآن الكريم، وكتب اخرى تسميها «زليخا» وهو الأسم الذى اشتهرت به فى أغلب كتب القصص...

(٦) جنان دان كه بالغ شد ومرد شد   بتاج كيهان سخت در خورد شد

منه عن أبيه... وتصادف أن التقى يوسف باعرابى قادم من كنعان فسأله عن أحوال يعقوب فأخبره بأن يعقوب يقيم فى بيت الأحزان لا يكف عن البكاء «فقد كان له ابن جميل كان يتعلق به ويهواه صباح مساء وقد أكل الذئب ذلك الابن فاضحى يعقوب حليفا للألم والأسى» ولما عرف يوسف أن اباه قد كف بصره من كثرة البكاء عليه اطلع البدوى على حقيقة أمره وحمّله رسالة إلى يعقوب يشرح له فيها كل ما ألم به. ويعود يوسف إلى بيت العزيز فيجد زليخا وقد تهيأت لاستقباله ومطارحته الهوى، لكن يوسف الطاهر الدين ينصحها بالاقلاع عن المعاصى فهى تعرض المرء لغضب الله من ناحية، ولسيف الملك من ناحية أخرى». ولكن زليخا لم تقتنع بكلام يوسف ولم تأبه لنصحه ووعظه وباحت فى نهاية الأمر لمربيتها بدفين سرها. ونصحتها المربية بالعمل بأمرين : أولهما أن تصبر عاما آخر وثانيهما أن تأمر بقدر من الذهب وذلك لكى تبنى لها قصرا وتكسو جميع جدرانه الداخلية وسقفه وأرضه بالمرايا، كى تظهر صورتها أمام يوسف فى كل اتجاه.

ولما انتهى بناء القصر، طلبت اَلمرَبيَّة من زليخا أن تلبس ثوبا شفافا تسلب به لب يوسف.. ويبين الشاعر كيف استدعت زليخا يوسف وكيف أخذت تستعرض جمالها أمامه، وأنه كان يدير وجهه فى اتجاه آخر فيرى صورتها فى كل صوب.. وعادت تبين له أنها على استعداد لأن تُكَفِّرَ عن خطيئته، فعندها من الأموال والكنوز ما لا يدخل فى عداد الحصر، وعندما كاد يتغلب هوى يوسف على عقله إذا بيد تمتد من ركن القصر وتشد أذنه وقد كتب عليها بوضوح: إن خالق الكون يراك».. ولما لم يتنبه يوسف ظهر له جبريل من أحد الأركان فى صورة يعقوب الطاهر وقال ليوسف : يا كنز الحكمة احفظ جسدك من النار واصغ إلى يعقوب الحزين ولا تصفر وجهى بهذا الاثم، فارتعد يوسف وولى هاربا[1]... وحاولت

(١) يبدو تأثر الشاعر هنا بما ورد فى كتب التفسير وقصص الأنبياء من اسرائيليات فى مسألة الهم والشاهد وننقل هنا فقرة مما أورده الفيروز ابادى فى تفسيره يقول: «وأما البرهان الذى رآه يوسف وكان سبب الرحمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه فقيل مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال آخرون.. انفرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه. وقال آخرون: لما جلس يوسف من المرأة مقعد الرجل من امراته إذا كف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم ومكتوب عليها «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» ـ فقام يوسف هاربا وقامت راعيل وراءه واتبعته فادركته قبل خروجه من الباب فجذبته بقميصه من قبل ظهره فقدت قميصة والفى سيدها وهو زوجها اطفير جالسا عند الباب مع ابن عم راحيل «محمد بن يعقوب الفيروزابادى: تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس : ص ٦١.

زليخا الامساك به فقدت قميصه من دبر فأفلت الزمام من زليخا وأخبرت العزيز أن يوسف حاول الاعتداء عليها وهى فى خلوتها وطلبت منه أن ينزل به من العقاب ما هو جدير به... ويبين الشاعر كيف انطق الله طفلا رضيعا ببراءة يوسف مجريا على لسانه قوله تعالى»: «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين» فأسرع العزيز فى الحال وتفحص القميص فتأكد من براءة يوسف ولام زليخا على خزى صنيعها.. لكن زليخا حاولت الدفاع عن نفسها مدعية أن يوسف قد استعان على إثبات براءته بالسحر.. فانطق ذلك الطفل الرضيع لإثبات التهمة عليها... وينتهى الأمر بافتضاح أمرها لدى زوجها وأمام نساء مصر.. وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف الاحتفال الذى اقامته زليخا لنسوة مصر بهدف الانتقام منهن بعد أن لاكت السنتهن ماحدث بينها وبين يوسف ومراودتها له ثم تمنعه وهروبه منها. وينتهى الاحتفال على نحو ما جاء فى القرآن الكريم «وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» إلا أن الشاعر يأبى إلا أن يضيف من خياله الشعرى صورة أخرى نرى فيها زليخا وهى تعترف لنسوة مصر بعشقها وولهها ليوسف طالبه» عونهن على استمالة يوسف لمبادلتها الحب والعشق،.. ويتجه وفد النسوة إلى يوسف فى محاولة لاقناعه بما طلبت زليخا بل انهن حاولن استمالته إليهن، لكن يوسف نصحهن بالاقلاع عن هذه المحاولات مبينا لهن أن قلبه معلق بربه.. وعاد الوفد يجر أذيال الفشل والهزيمة ولم يكن أما مهن إلا أن يطلبن من زليخا أن تجعل من السجن مقرا ليوسف عسى أن يتحول قلبه إليها بعد العناء الذى يلقاه فيه... وفكرت زليخا فى حيلة جديدة تكون مبررا لإدخال يوسف السجن، فاتجهت إلى رفيقاتها لينصبن معا شركا للايقاع بيوسف... فما كان منها إلا أن مزقت ثيابها وأخذت تصرخ وتولول وأسرع العزيز إليها سائلا عن سبب ذلك، فازدادت صراخا وهياجا وادعت أن يوسف حاول الاعتداء عليها مرة أخرى واتهمت العزيز بالتقصير فى حقها، خاصة وأن عندها من شهد على صدق اقوالها... ولما سمع العزيز شهادة النسوة استشاط غضبا وأمر من فوره بالقاء يوسف فى السجن... ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن حب السجناء ليوسف

وثقتهم فيه لما رأوا فيه من طيبة وخلق كريم وحب للخير وعبادة دائمة للواحد القهار.

وتصادف أن دخل معه السجن فتيان : هما ساقى الملك وصاحب طعامه.. وذات ليلة رأى الأول فى منامه أنه يعصر للملك خمرا والملك يشرب من يده ولما قص على يوسف هذه الرؤيا بشره يوسف بقرب خلاصه من السجن وبعودته إلى سابق منزلته عند الملك. ورأى الثانى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه.. وفسر له يوسف ذلك بأنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه. وحاول الأخير التنصل من هذه الرؤيا إلا أن يوسف أجابه بأن الأمر قد انتهى: جرى قضاء الله بهذا.. ولا فائدة الآن من الكلام.. ثم طلب يوسف من الساقى أن يُذكِّرَ الملك بأمره.. وهنا يبعث الله بجبريل معاتبا يوسف على توجهه بطلب العون من مخلوق مثله.

وهكذا مكث فى السجن سبع سنوات إلى أن هبط عليه جبريل مرة أخرى وبَشّره بقرب الخلاص وبلوغ أعظم الآمال.. والشاعر هنا يبدو متأثرا بما ورد فى كتب التفسير حول مدة سجن يوسف(١).

---

(١) من الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين فى مدة سجن يوسف وفى سبب لبثه فى السجن بضع سنين وذلك عند تفسير قوله تعالى : وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين اية ٤٢.

قد ذكر ابن جرير والثعلبى والبغوى وغيرهم أقوالا كثيرة فى هذا ، فقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين وتُركَ يوسف فى السجن سبع سنين وعذب بختنصر فحول فى السباع سبع سنين «وقال مالك ابن دينار: لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك وقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف، وقال يارب انسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة ولن اعود. وقال كعب الأحبار: قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول من خلقك قال الله عز وجل، قال فمن حببك إلى أبيك ؟ قال الله، قال فمن علمك تاويل الرؤيا قال الله، قال، فمن نجاك من البئر قال الله، قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء؟ قال الله، قال : فكيف استشفعت بآدمى مثلك ؟ فلما انقضت سبع سنين جاءه الفرج من الله فرأى الملك ما رأى من الرؤيا العجيبة وعجز الملأ عن تفسيرها وتذكر الساقى يوسف.

ويعلق محمد ابو شهبة على ذلك بقوله : واغلب الظن عندى أن هذا من الاسرائيليات، فقد صورت سجن يوسف على أنه عقوبة من الله لأجل كلمة قالها فالبلاء بالسجن للانبياء ليس عقوبة وانما هو لرفع درجاتهم وليكونوا اسوة وقدوة لغيرهم. ونقطة أخرى وهى تفسير البضع فالبضع من الثلاث إلى التسع أو إلى العشرين من غير تحديد للمدة فجائز أن تكون سبعا وجائز أن تكون تسعا، وجائز غير ذلك ما دام ليس هناك نقل صحيح عن الرسول..

محمد ابو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص ٣١٥ ومابعدها ـ القاهرة ١٩٧٣م

وصدق الله وعده ليوسف وذلك حين رأى ملك مصر رؤياه الشهيرة والتى يتحدث عنها الشاعر متتبعا فى ذلك المنهج القرآنى الكريم. فالملك يرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخريابسات. ثم يطلب من المفسرين تأويل رؤياه، ولكنهم عجزوا عن فهم مغزاها، وانتهى تعبيرهم إلى اعتبارها أضغاث أحلام وما هم بتعبير الأحلام بعارفين.. وهنا يتذكر الساقى يوسف ومهارته فى هذا الباب، فيسرع اليه بأمر الملك.. وفى السجن يعبر يوسف الرؤيا للساقى تلك التى سبق وأن أعلمه جبريل الأمين بشأنها ومغزاها. فعاد الساقى إلى الملك وأعاد على مسامعه تأويل يوسف. فأمر الملك باحضار يوسف من السجن.. لكن يوسف رفض الخروج من السجن قبل أن تظهر براءته، ويتأكد الملك أن ما نسبته زليخا ونسوة المدينة إليه محض افتراء. وبعد أن وقف الملك على جلية الأمر، أمر فأحضر يوسف على عربة ملكية مذهبة وفى معيته علية القوم، وأحسن الملك استقباله واستجاب لطلبه فجعله على خزائن البلاد.. ثم يذكر الشاعر بعد ذلك أن الملك وحاشيته قد دخلوا فى الإسلام على يد يوسف، وأن الملك أمر أن يخلفه يوسف على العرش بعد موته:

وقد مكنا ليوسف كثيرا فلم يكن فى الأرض مثله شخص آخر
وتحقق له كل ما يريد وتم له منا مراد قلبه[1]

فلما مات الملك اعتلى يوسف العرش ولم يكن يلقب فى ذلك الوقت إلا بالعزيز فقد أعزه الله بتلك الصورة[2].

ويمضى الشاعر فيتحدث عن القحط الذى أصاب البلاد، وكيف جاء اخوة يوسف إلى مصر مع من جاءها من مختلف أرجاء الأرض طلبا للزاد، فلما مثلوا بين يدى العزيز أخذ يسألهم عن أحوالهم، فما كان منهم إلا أن قصوا عليه حكايتهم دون أن يعرف حقيقته أى منهم وأكد عليهم يوسف أنه لن يمدهم بالزاد إذا لم يحضروا أخاهم بنيامين.. ولما عاد الركب إلى أرض كنعان وأبلغوا والدهم بما طلبه يوسف منهم، خاف يعقوب أن يفعل أبناؤه ببنيامين ما فعلوه بيوسف.

---

(۱) نموديم تمكين يوسف بسى جودر زمين نيست ديگر كسى
بود هرگجا راى كاش بود مراد دل ازتما مش بود
(۲) كس آنكه نخواندش جزاو راعزيز خداوند كردش بدا نسان عزيز

فأخذ عليهم من العهود والمواثيق ما يضمن حفاظهم عليه ورعايتهم له، ثم حملهم رسالة إلى عزيز مصر.

ومرة ثانية يعود أبناء يعقوب إلى مصر وبرفقتهم بنيامين، ويستقبلهم يوسف فرحا بشقيقه. ثم إنه أمر عماله فوضعوا السقاية فى رحل بنيامين. ثم أعلن عماله نبأ سرقتها، وبذلك نجح يوسف فى استبقاء السارق لديه عقوبة له على سرقته.. وذهبت محاولات الإخوة العشر لاستعادة بنيامين أدراج الرياح.. واضطر شمعون إلى البقاء فى مصر وطلب من إخوته أن يخبروا والدهم بما حدث من أمر اخيهم، وأكد أنه لن يبرح مصر إلا إذا أمره والده بذلك أو أن يحكم الله وهو خير الحاكمين»... ويعود الركب حزينا قلقا إلى كنعان، ويزداد يعقوب هما على همه بعد أن علم من أبنائه بما جرى على بنيامين.. فيبعث برسالة أخرى إلى عزيز مصر يرجوه ألا يزيد من آلا م قلبه، فقد تألم وحزن بما فيه الكفاية لفقد يوسف.. وعند ما عاد أخوة يوسف إلى مصر سلموا العزيز رسالة يعقوب الحزين.. فلما قرأها يوسف طلب منهم أن يصارحوه بحقيقة ما فعلوه بيوسف مبينا لهم أن لديه جاما ذهبيا يكشف له الحق من الباطل.. فشرع شمعون فى سرد قصه الذئب، فضرب يوسف الجام بقضيب ثم قال لهم إن الجام يبلغنى أن شمعون، كاذب فيما يدعى، ومضى يوسف يحكى لهم ما فعلوه به، وكيف ألقوه فى الجب.. ولما أصروا على انكارهم أخرج لهم يوسف وثيقة بيعه التى وقعوها بأيديهم لمالك بن ذعر، فتأكدوا أن عزيز مصر هو يوسف وعلا وجوهم الخجل والندم، وخروا له ساجدين طالبين العفو والصفح والغفران.. وبسماحة الأنبياء عفا يوسف عنهم. وبعث بهم إلى كنعان مرة أخرى ليحملوا قميصه إلى والده فيلقوه على وجهه فيرتد اليه بصره.. ثم بعث يوسف بقافلة عظيمة إصطحبت والده إلى مصر وخرج آلاف المصريين يتقدمهم يوسف وقواد جيشه لاستقباله والترحيب به فلما دخلوا إلى مصر رفع أبويه على العرش[1].

بعد ذلك يعود الشاعر إلى الحديث عن زليخا وهرمها وانحناء ظهرها وفقد بصرها، واستمرارها على حبها القديم ليوسف ومناجاتها لطيفه ليل نهار.. فعندما سمعت دق الطبول وتحرك المواكب لاستقبال آل يعقوب سألت جاريتها عن

---

(١) اختلف فى الذين رفعهما يوسف على العرش وأجلسهم عليه. فقال بعضهم كان أحدهما أبوه يعقوب والاخر أمه راحيل. ولكن الصحيح أن الأخرى كان خالته ليا» وكانت أمه راحيل قد ماتت من قبل...

هذا الموكب فاخبرتها أنه موكب يوسف عزيز مصر، فتعجبت زليخا وراحت تقص لجاريتها حكايتها معه، وكيف تغيرت الأمور فصار هو ملكا وصارت هى بغير جاه أو سلطان..

وأسرعت زليخا إلى صنمها وتوسلت إليه أن يعيد إليها بصرها وشبابها وجمالها، فلما لم يستجب لدعائها حطمته وأمرت جاريتها أن تأخذ بيدها إلى طريق يوسف.. لما سمعت وقع حوافر خيله راحت تناديه بأعلى صوتها، فأمر الله الريح أن تحمل صوتها إلى أذن يوسف، فلما سمعها أمر خادمه فجاء بها إلى حضرته الملكية.. ويمضى الشاعر إلى الحديث عن إستقبال يوسف الحافل لآل يعقوب فى قصره، وسجود الجميع ليوسف تحقيقا لما جاء فى رؤياه المباركة.. ولما فرغ يوسف من استقبال والده بعث فى طلب زليخا التى حكت له قصتها وكيف حطمت صنمها وأشهدت يعقوب على اسلامها وطلبت منه أن يدعو الله ليحقق لها أربع حاجات :

- الأولى: ألا يتركنى فى الكفر... ويخلصنى من براثن الشيطان
- ويمن على بالإسلام.. ويخرجنى من الألم إلى الراحة
- الثانية: أن يعيدنى شابة كما كنت من قبل
- الثالثة: أن أكون بكرا بخاتم الله.. ذات جسد طاهر وقوام متين..
- الرابعة: أن يكون يوسف زوجى.. وأن يحبنى قلبه ويهوانى..
- ومن هذه الحاجات الأربع.. تحققت حاجة إذ تطهرت روحى من الكفر
- ودخلت فى الإسلام ودين الله... وصار الحظ والسعادة دليلى آخر الأمر
- والآن تلزمنى هذه الحاجات الثلاث - وأرجو أن يحققها لى الله(١).

يكى آنكه در كفر نكذارم ... زچنكال ديوان برون آورم
بدارد بباسلام آرزانسيم ... زرنج آورد سوى آسانسيم
دوم آنسكه از سرجوانم كند ... بد انسان كه بود م جنانم كند
سه ديكر كه باشم بمهر خداى ... درستى وپاكى تن من بجاى
جهارم كه يوسف بود شوى من ... دلش مهربان وهوا جوى من
ازاين جار حاجت يكى شد درست ... كزانـد يشة كفر جانم بشست
رسيدم باسلام ودين خداى ... مرا عاقبت بخت شد رهنماى
كنون اين سه حاجت همى بايدم ... كه ازداد كستر روا آيدم

ويقول الشاعر: وفى الحال نزل جبريل الأمين على يعقوب وأبلغه استجابة الله الكريم لمطالب زليخا، وأن يبارك زواج يوسف منها..

وهكذا تم زواج يوسف من زليخا «وأصبح هوى قلبه حارا جياشا، ولكنه أخفى ذلك حياء.. وكان حبه يزداد من آن لآن، وتجاوز قلبه الحد. لكن زليخا تحولت بحبها إلى الله، فأعرضت عن يوسف وكأنها لم تره ولم تقاسى حبه أبدا، ولم يكن فى قلبها حرارة العشق قط، ولم تتهيأ لوصل يوسف، وكانت ليل نهار على قدميها متعبدة أمام رب العالمين»[1].

وحار يوسف فى أمر زليخا وضاق صدره لتحولها عن حبه: فكان دائما حزينا مطرقا عابس الوجه «إلى أن أردكته رحمة رب العالمين ونزل عليه جبريل الأمين وطلب منه أن يتجه إلى يعقوب ليدعو الله له ليصلح ما بينه وبين زليخا. ويمتثل يوسف للنصيحة ويستجيب المولى لدعاء يعقوب فيعود حب زليخا إلى سابق عهده.. وزادها يوسف عزا ومكانة... وأرجعها كما كانت سيدة لمصر وأجلسها على عرش ذهبى ووهبهم الله ثلاثة أولاد.. ومرت عشرة أعوام من السعادة على يوسف وزوجته انتقل بعدها يعقوب إلى دار القرار، ودفنه يوسف - حسب وصيته - إلى جوار أخيه عيصا. ثم إنه وَزَّع ملكه على اخوته ومنح كل واحد منهم حكم إقليم..

وتمر السنوات وينتقل يوسف إلى دار القرار، ويجلس مكانه أفرايم السعيد ويبسط يديه بالعدل والعطاء..

---

(١) دلش را هوا كرم وجوشنده كشت — ولى يوسف از شرم بوشنده كشت
زمان تازمان مهرش افزون شدى — همى دل ازانـدازه بيرون شدى
جنان بد كه كفتى خود اوراندید — نه هركز بدل بار مهرش كشيد
دلش را نبود كرمى عشق هيچ — نكردى زيوند يوسف بسيج
شب وروز بيوسنه بودش بباى — عبادت كنان بيش كيهان خداى
همى بود بيوستسه باد رد وغم — سرا فكنده در بيش وجهره دزم

ويختم الشاعر منظومته بالحديث عن نهاية كل حى:

لايولد شخص إلا ويموت ... ويودع فى التراب الأسود
هكذا فعل ربنا فى الحياة الدنيا ... وهكذا يكون حكم خالق الروح
فكل من يولد من بنى آدم ... لا يخلد فى الدنيا
ولو كان ملكا للعالم أجمع ... ولو كان نبيا طاهرا مفضلا[1]

******

(١) نزايد كس الا كه مرده شد ... بخاك سيه درسپرده شود
چنين كرد يزدان ما در جهان ... چنين است حكم خدائى روان
هر آنكس بيدا شود زآدمى ... نماند فراوان بروى زمى
اكر پادشاه همه كشور است ... وكر پاك شايسته بيغمبراست

الباب الثالث

القصة فى مجال التحليل الفنى

الفصل الأول

رؤية تحليلية للمنظومة المنسوبة للفردوسى

يتفق الباحثون والنقاد على أن حاجة الإنسان إلى رواية الأحداث التى تقع فى حياته ودفع الآخرين إلى مشاركته والتجاوب معه فيما يشعر به وهو يعيش حياته بأفراحها وأحزانها وآلامها غريزة إنسانية موغلة فى القدم. ربما رجعت فى قدمها إلى العصور التى استطاع فيها الإنسان نقل تجاربه إلى الآخرين بالإشارة والصوت ثم باللغة.

وانطلاقا من هذه النظرية عُدَّت الأشكال الروائية والقصصية نشاطًا إنسانيًا مغرقًا فى القدم، صاحب تطور المجتمع الإنسانى فى صوره المختلفة وفى مراحل تطور حياته على مر العصور والأزمان.

وتعد القصة[1] بمفهومها وشكلها الأدبى الحديث فنا حديث النشأة يهدف إلى معالجة الواقع الإنسانى - النفسى والاجتماعى - من خلال وصف الحياة والأشخاص وما يدور بينهما من صراعات وما يعتمل فى نفوسهم من مشاعر وأحاسيس وانفعالات تُكَّونُ فى مجموعها مجموعة من الأحداث مرتبة ترتيبًا سببيًا تنتهى إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث فى إطار أو هيكل فنى له بداية ووسط «عقدة» ونهاية.

(١) القصة عبارة عن مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهى تتناول حادثة أو عدة حوادث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها فى الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض. ويكون نصيبها فى القصة متفاوتًا من حيث التأثير والتأثر.
(محمد يوسف نجم : فن القصة، ص٩، بيروت ١٩٥٦م)

والقصة التى بين أيديناتتصل بالفن القصصى بسبب وثيق حيث يتوافر لها عدد من العناصر الفنية التى قررها نقاد هذا الفن(١)وأول هذه العناصر اعتمادها على فكرة استقاها الشاعر من القرآن الكريم وهى حسد أخوة يوسف له وحقدهم عليه بعد أن قصَّ عليهم رؤياه الأحد عشر كوكبًا. وكان جل اعتماد الشاعر لصياغة هذه الفكرة فى قالب قصصى قائمًا على شخصية يوسف عليه السلام وما تزخر به من أحداث تاريخية معروفة ومقروءة فى التوراة والقرآن الكريم وقصص الأنبياء. كما كان ذلك دافعًا له إلى اختيار اسم يوسف عنوانًا لهذه القصة حتى يضمن لها منزلة رفيعة بين القصص التاريخية باعتبارها تدور حول حياة نبى كريم. كما وضع اسم زليخا ضمن هذا العنوان كى يضمن لها رواجا شعبيًا على اعتبار أن زليخا تلعب دورًا هامًا فى حياة يوسف داخل الإطار العام للقصة.

هذا ويرى نقاد هذا الفن أن مقدمة القصة تعتبر عنصرًا هامًا من عناصرها الفنية إذ أن لها دورًا مؤثرا فى الإرهاص بما سيقع من أحداث ولهذا نجد شاعرنا بعد أن بدأ قصته بحمد الله والثناء عليه يتطرق إلى الحديث عن تأثير هذه القصة على النبى محمدﷺ وعن علاقتها بما سيقع لسبطيه (الحسن

(١) يقسم النقاد الفن القصصى إلى الفنون التالية:-

أ - الأقصوصة: وهى قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبًا من حياة لا كل جوانب الحياة، فهو يقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته...

ب - القصة: وهى التى تتوسط بين الأقصوصة والرواية وفيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما يعالج فى الأولى ولا مانع هنا من أن يطول الزمن وتمتد الحوادث ويتوالى تطورها فى شىء من التشابك.

ج - الرواية: وفيها يعالج المؤلف موضوعًا كاملاً أو اكثر زاخرًا بحياة تامة واحدة أو أكثر فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألم بحياة بطل أو الأبطال فى مراحلها المختلفة.

د - الحكاية: فهى سوق واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكى قواعد الفن الدقيقة، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه، والحكاية عادة ما تكون منقولة من أفواه الناس.

(محمود تيمور : فن القصص، صـ٩١، مصر ١٩٥٤م)

اما عن أنواع القصص فمنها القصص الرومانتيكية : وهى تلك التى تدافع عن القضايا الاجتماعية وتحمل الطابع العاطفى المشبوب الثائر. والقصص الواقعية: وهى التى تعنى بالتحليل النفسى للأشخاص. والقصص التاريخية: وهو النوع الذى يتناول حياة شخصية تاريخية تبرز من خلالها حياة هذه الشخصية وذلك من خلال الاحتفاظ بمظاهر الحقيقة التاريخية التى عاشتها هذه الشخصية. وهذا النوع الأخير هو الذى يعنينا فى هذا الفصل، إذ يمكن لنا أن نصنف قصة يوسف ضمن هذا النوع.

(محمد يوسف نجم: القصة فى الأدب العربى الحديث، صـ٢٠٦، ٢٠٧ بيروت ١٩٦١م

والحسين) من ظلم وجفاء رابطًا بين ما وقع ليوسف من ظلم على يد إخوته وما سيقع لسبطى الرسول من ظلم مشابه له.

وإذا كان "الحدث" هو الركن الأساسى فى الفن القصصى على اختلاف ألوانه فإن حادثة المؤامرة على قتل يوسف تشكل اللبنة الأساسية التى اعتمد عليها الشاعر فى بناء أحداث قصته وقدم لهذه الحادثة بمجموعة من الحوادث التمهيدية التى تمثلت فى الرؤى الثلاث التى رآها يوسف ويعقوب والتى كانت نتيجتها اشتعال نار الحقد فى قلوب الاخوة تجاه يوسف، حتى جاءت رؤيا الأحد عشر كوكبًا بمثابة حافز ودافع إلى انتقال الشاعر بالقصة من مرحلة وصف الأحاسيس الإنسانية المتباينة إلى مرحلة الفعل، وذلك فى صورة ترتيب مؤامرة للتخلص من يوسف انتهت بالقائه فى الجب، ثم بيعه عبدًا، وإدراكًا من الشاعر لأهمية العناية بالسياق الدرامى للأحداث، نراه يبذل جهدًا طيبًا فى ترتيب أحداث قصته فى تسلسل منطقى أدى إلى تفاعلها وتشابكها فى وحدة موضوعية دفعت بأحداث القصة إلى "الذروة" التى تشكل أدق عناصر القصة فى فنونها المختلفة. ولهذا نرى الشاعر ينقل مسرح الأحداث من بيت العزيز إلى حيث يوسف فى السجن، وقد سُدت الأبواب فى وجهه بعد أن أنساه الشيطان ذكر ربه، فلبث فى السجن بضع سنين إلى أن تذكره ساقى الملك حين رأى الملك رؤياه "السنبلات والبقرات السبع" وحار المفسرون والمنجمون فى تأويلها. وكان إبراز الشاعر لدور يوسف فى تفسير رؤيا الملك - باعتبار ذلك ملمحًا أساسيًا من الملامح الرئيسية لشخصية يوسف اتجاها منه إلى حل عقدة القصة والاتجاه بها نحو "النهاية" التى هى آخر عناصر البناء الفنى للقصة.

وعند محطة النهاية نلتقى بيوسف وقد اعتلى عرش مصر يتبوأ من الدنيا حيث يشاء، ويقدم عليه اخوته طلبًا للغلة، فيحتجز أخاه بنيامين فى دين الملك، إلى أن يعترف اخوته بجريمتهم فى حقه. ويلتئم شمل أسرة يعقوب حين ينتقل الجميع إلى مصر حيث العزيز "يوسف" ويسجد الجميع له.. وبذلك تتحقق الغاية التى وضعها الشاعر للقصة.

هذا... وقد وفق الشاعر فى توظيف العناصر الأخرى للبناء القصصى فاهتم بخلق مجموعة من الشخصيات المساعدة "اخوة يوسف، والده، زليخا. نسوة مصر، العزيز، أصحاب القافلة، صاحبى السجن، المربية" وذلك كى تخدم الشخصية المحورية "يوسف"، حيث ساهمت بمجموعة من الأفعال والأحداث التمهيدية والمساعدة. إضافة إلى دورها الهام فى إثراء "الحوار" الذى هو جزء هام من مكونات الشخصيات بما يعكسه من مواقف لها داخل الاطار العام للقصة.. كما حرص الشاعر على تصوير الانفعالات النفسية لإبطال قصته وإعطائها الدور المناسب للمساهمة فى تطوير أحداث القصة والوصول بها إلى غايتها المنشودة.

ويحمد للشاعر اختياره "الشعر" أداة لصياغة أحداث قصته على اعتبار أن لغة الشعر هى لغة العاطفة القادرة على بعث صور ايحائية قادرة على تصوير النفس الإنسانية وإبراز مكنوناتها وانفعالاتها[1]. فالجملة الشعرية لها رنينها وجرسها وايقاعها الموسيقى السريع النفاذ إلى أعماق النفس البشرية.. إضافة إلى أن الشعر يستعين بالموسيقى الكلامية التى هى أقوى الطرق الايحائية، فالموسيقى طريق السمو بالأوراح والتعبير عما يعجز التعبير عنه. خاصة وأن قصة يوسف قصة ذات طابع إنسانى تلعب فيها العواطف والانفاعلات دورًا رئيسيًا فى تطوير أحداثها.

يضاف إلى ذلك أن طول أحداث القصة وانتقالها بين بيئات وأزمنة مختلفة وتمثيلها لفترة تاريخية طويلة يجعل من الشعر الأداة المناسبة لتصوير مثل هذه الأحداث والانتقال بين أجواء مختلفة وأزمنة تاريخية متباعدة.

....

هذا... ويجمل بنا أن نقدم تحليلاً تفصيليا للعناصر الفنية التى قام عليها البناء الفنى لقصة يوسف وزليخا... وأول عناصر هذا البناء هو عنوان القصة[2].. عنوان قصتنا هو "يوسف وزليخا" وقد أحسن الشاعر صنعًا حين

---

(١) احمد الشايب : الأسلوب، صـ٦٢، مصر ١٩٧٦م.

(٢) يرى إبراهيم يونسى أن عنوان القصة هو عنصر هام لازم لكل قصة فهو الذى يميزها عن سائر القصص ويلفت نظر القارئ إليها ويدفعه إلى الإقبال على اقتنائها وقراءتها.
ابراهيم يونسى: هنرداستان نويسى، صـ ٩٨، طهران ٢٥٣٥.

اختار هذين الاسمين عنوانا لقصته ليخبرنا بأن أحداث القصة ستدور حول هاتين الشخصيتين "يوسف" النبى الكريم، "وزليخا" زوج العزيز.. وهو اختيار موفق من الشاعر[1]، إذ أن سيدنا يوسف شخصية تاريخية ودينية يهم الناس - فى كل زمان ومكان - قراءة تفاصيل ما حدث له من محن وابتلاء وخطوب. كما أن اختيار هذين الاسمين عنوانًا للقصة يوحى للقارئ بأن هناك شخصية أخرى تشارك سيدنا يوسف أحداث حياته.

كما أن هذا العنوان يأتى منسجما مع النهاية التى وضعها الشاعر للقصة على نحو ما سيرد فى السياق..

والعنصر الثانى من عناصر البناء الفنى هو «مقدمة القصة»[2]. وقد بدأ الشاعر مقدمة قصته بحمد الله والثناء عليه وعلى رسوله محمد وأهل بيته. ثم يبلغنا بعد ذلك بأن الله - جل وعلا - قصَّ على رسوله قصص الرسل والأنبياء السابقين، وأن النبى لم يتأثر بواحدة من تلك القصص كما تأثر بقصة يوسف عليه السلام، وذلك بعد أن علم من جبريل - عليه السلام - بما سيقع على سبطيه «الحسن والحسين» من ظلم وقسوة وجفاء. واتخذ الشاعر من تلك المقدمة مدخلا إلى قصة يوسف ليربط بين ما حدث ليوسف من ظلم على يد اخوته وذويه وما أنبأ به جبريل رسول الله بما سيحل بسبطيه من ظلم وجفاء...

---

(١) يرى إبراهيم يونسى فى كتابه "هنرداستان نويسى" أن أضعف عنوان لأى قصة، هو الذى يكون اسما لشخصية بطل القصة. ونحن نخالفه الرأى فى ذلك. ذلك لأن أغلب القصص التاريخى - مثل قصة يوسف - تدور احداثها حول شخصية تاريخية ودينية معروفة ومن الأفضل أن يحمل العنوان اسم بطل القصة، إذ أن ذلك يعطيها جاذبية وشهرة أكثر ويغرى القارئ بإقتنائها والاقبال على قراءتها. خاصة وأن سيدنا يوسف وردت قصة حياته فى العهد القديم والقرآن الكريم. والناس على مر العصور ومن مختلف الأجناس والطبائع - تواقين إلى معرفة تفاصيل حياته..

(إبراهيم يونسى : هنرداستان نويسى، صـ١٠١)

(٢) تعد المقدمة ركنًا أساسيًا من أركان القصة. ويرى نقاد هذا الفن أن هيكل القصة بفنونها المختلفة يقوم على ثلاثة أعمدة: "مقدمة ووسط ونهاية" ويعدد يونسى وظائف المقدمة فى القصة على النحو التالى: -

ا) إثارة الرغبة لدى القارئ. ب) تبدأ بها حادثة القصة والغاية منها. ج) إلقاء الضوء على مضمون القصة. د) التعريف بشخصيات القصة أو الشخصية الأصلية فيها.. هـ) تنقل جو القصة.

(المرجع السابق: صـ١٠٥)

وقد أحسن الشاعر صنعًا حين اختار هذه المقدمة التى جعلت القارئ يتأثر وتتحرك مشاعره مشاركة لمشاعر النبى فى تأثرها وحزنها وألمها على ما سيحدث ـ وما حدث بالفعل ـ لسبطيه من بعده. وأثار بذلك عنصر التشويق عند القارئ ليسارع إلى قراءة أحداث قصة يوسف عليه السلام كما أحسن اختيار الأسلوب الذى عرض من خلاله تلك المقدمة[١] وذلك حين اختار آيات من القرآن الكريم ـ من سورة يوسف ـ ليشعر القارئ أنه مقبل على قراءة قصة ذات وقائع حقيقية حدثت ووردت فى الكتاب الكريم، وسمعها النبى نفسه من جبريل عليه السلام. كما أنه استطاع من خلال تلك المقدمة أن يقدم لنا نبذة تمثل "مدخلاً" للفكرة الأساسية للقصة والجو العام الذى سيعرض القصة من خلاله..، وكذلك نوعية القصة ـ باعتبارها قصة تاريخية ذات وقائع حقيقية ومحددة ولها شخصيات حقيقية ورد ذكرها فى القرآن الكريم.. واستمرارا فى حرص الشاعر على أن يضفى على مقدمة القصة جوًا من الصدق فقد ذكر لنا أنه انما يقدم هذه القصة توبة وندما على ما أضاعه من عمره فى نظم قصص الفرس وحكاياتهم التى كانت بمثابة نوع من الحمق ضيع فيه زهرة شبابه.

من هنا جاء اختياره لفكرة القصة[٢] والتى استقاها من القرآن الكريم وهى حسد إخوة يوسف له وحقدهم عليه بعد أن قص عليهم رؤياه الأحد عشر كوكبًا. وكان جُل اعتماد الشاعر ـ لتحقيق هذه الفكرة ـ قائمًا على شخصية يوسف باعتبارها الشخصية المحورية التى تدور حولها المؤامرة التى دبرها اخوته لتحقيق مرادهم فى التخلص منه وابعاده عن حياتهم ليخلوا لهم وجه أبيهم ويصبحوا من

(١) يرى إبراهيم يونسى أن الكاتب يجب أن يختار أسلوبًا ذا كلمات مشوقة وجذابة ومؤثرة يصوغ من خلاله مقدمة قصته حتى تكون تلك المقدمة بداية لأحداث القصة ومؤثرًا صادقًا ومختصرًا لما سيمر بالقارئ من احداث.

(المرجع السابق : صـ ١٠٦)

(٢) يرى نقاد فن القصة أنه لابد لكل قصة ـ بمختلف فنونها ـ من هدف تسعى إلى تحقيقه وغاية تكتب من أجلها. وهذه الغاية هى الفكرة التى يدير الكاتب قصته حولها. وترد الفكرة بصورة ضمنية خلال احداث القصة.

(محمد يوسف نجم : فن القصة، صـ ١٤، ٢٥ ـ ١٥)

بعده قوما صالحين. لهذا رأينا الشاعر يوظف "حسد الاخوة" توظيفًا دراميا بعد أن جسده فى مجموعة من الحوادث التمهيدية[1] فى القصة بحيث أصبح جزءًا رئيسيا من الفكرة الأساسية للقصة.

وأول الحوادث التمهيدية التى لعب فيها «الحسد» دورًا رئيسيًا هو حادث مائدة اسحق[2] وما نتج عنها من حقد وحسد وعداوة بين الأخين مما اضطر يعقوب إلى الهرب ليلا من موطنه فى أرض كنعان والإقامة عند خاله لابان بأرض الشام.

وتشكل الرؤى[3] التى حدثت فى هذه القصة عنصرًا هامًا من عناصر البناء الفنى للقصة، إذ أنها - فى مجموعها - تُكَوِّن سلسلة من الحوادث التمهيدية والفرعية - والتى ساهمت بشكل مباشر - فى تطور أحداث القصة فى مراحلها

---

(١) الحوادث التمهيدية : هى مجموعة من الأحداث المساعدة يلجأ إليها المؤلف لتوسيع قاعدة الحدث الرئيسى. ويجب أن تتصل حلقات الحوادث الفرعية بالحادث الرئيسى للقصة وتكون تمهيدًا له ومنسجمة فى مجموعها مع السياق العام للقصة.
(المرجع السابع صـ٤٧)

(٢) نشأت هذه العداوة - كما جاء فى سفر التكوين - بسبب المائدة التى أعدها يعقوب عليه السلام وأسرع فى تقديمها إلى والده اسحق. فاعتقد اسحق - لضعف بصره - أن هذه مائدة عيصا، خاصة وأن الأم غطت جسد يعقوب بشعر ماعز ليبدو كثيف الشعر مثل عيصا. وحين ذلك دعا له اسحق واستجاب الله لدعائه وشمل يعقوب ببركته وفضله. ولما علم عيصا بالأمر اضمر فى نفسه الحقد والعداوة ليعقوب. مما دفع يعقوب إلى الهرب إلى الشام حيث أقام عند خاله لابان وتزوج بابنتيه "ليا" و "راحيل".
(سفر التكوين : الاصحاح السادس والعشرون والسابع والعشرون)

(٣) الرؤيا الأولى: إذا رأى يعقوب فى منامه عشرة ذئاب ضارية وقد التفت حول يوسف وقام أحدهم بخطفه واخفاه فى باطن الأرض.

ب) الرؤيا الثانية: جاءت هذه الرؤيا بمثابة إنذار ليعقوب بما سيكون عليه يوسف من شأن عظيم وما سيحيق به من جراء ذلك من بلاء ومحن. وقد رأى يوسف أنه واخوته يلهون فى الصحراء ومع كل منهم عصا، وأنهم ألقوا عصيهم على الأرض فاختلطت العصى معًا، ثم نهضت فجاة واصطفت فى طابور وسجدت جميعها أمام عصا يوسف.

ج) الرؤيا الثالثة: رأى يوسف فيها نفسه وهو يعمل مع اخوته بالتحطيب وأنهم كانوا يجمعونه حينا ويكسرونه حينا آخر، فربط كل منهم حزمته ورفعها فوق رأسه كالدرع، وفجأة صار حمل يوسف مزهرًا مثل البستان فى الربيع ونبتت منه مائه الف زهرة مسكية بلون شقائق النعمان تفوح منها رائحة الكافور والعود. وفجأة سجدت أحمال أخوته أمام حمله المزهر.
(التوراة، سفر التكوين ت ٢٦، ٢٧، طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة)

المختلفة، كما كانت عنصراً فعالاً فى تكوين مجموعة من ردود الأفعال عند شخصيات القصة.. وقد أورد الشاعر ـ نقلاً عن التوراة ثلاث رؤى قبل رؤيا الأحد عشر كوكبا(١). وقد أحسن الشاعر صنعا بتقديم الرؤى الثلاث حتى لا يفاجئنا بالحديث مباشرة عن رؤيا يوسف الرئيسية وإنما مهد لذلك بعرض الرؤى الثلاث، وما تولد عنها من مشاعر إنسانية متباينة بين اشتداد خوف يعقوب على يوسف من ناحية، وازدياد حقد الأخوة عليه من ناحية أخرى، ثم شروعهم فى تنفيذ مؤامرتهم للتخلص منه.

ب) رؤيا صاحبى السجن: تشكل هذه الرؤيا علامة بارزة فى حياة يوسف، فبعد هذه الرؤيا تحول يوسف إلى دوره المنوط به كنبى مرسل وراح يدعو أصحاب السجن إلى الايمان بالله الواحد الأحد القهار.

ج) رؤيا ملك مصر: وكانت هذه الرؤيا بمثابة فتح جديد فى حياته إذ أعلن الملك ـ عقب نجاح يوسف فى تفسير هذه الرؤيا ـ براءته وطهارة ذيله مما نسب إليه ظلمًا من قبل زوجه العزيز ونسوة مصر، وخرج يوسف من ظلمة السجن ليتقلد منصب العزيز وليمكن الله له فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

هذا... وبالإضافة إلى الدور الذى لعبه عنصر الرؤى فى تطور الحدث الدرامى للقصة ـ باعتباره يشكل مجموعة من الحوادث التمهيدية والفرعية ـ فإن هذا العنصر جاء متفقا مع الطابع الدينى للقصة، حيث عادة ما تفسر الرؤى على أنها من الأشياء القريبة من أمور الوحى والتى لابد أن تصدق وتقع فى الحياة كما أن هذه الرؤى وما أنبأت عنه من صدق يوسف وعلمه وفضله وتوفيقه فى تفسيرها تعد علامة من علامات نبوته وسمة من السمات التى اتسمت بها شخصيته، والتى اكتسبت نوعًا من القداسة فى الأقوال والأفعال.

وهكذا كانت الرؤى الثلاث ليوسف ويعقوب سببا فى إثارة حقد الإخوة ومحركًا لتدبير مؤامرتهم للتخلص منه.

---

(١) تعتبر الحادثة العصب الرئيسى فى بناء القصة بفنونها المختلفة. وتنقسم الحادثة إلى نوعين. حادثة أو حوادث أصلية وحادثة أو حوادث فرعية. والحادثة الأصلية هى الحادثة التى يعد وجودها عنصرًا أساسيًا وجوهريًا فى بناء هيكل القسة.

(إبراهيم يونسى هنرداستان نويسى صـ١٤٣)

وتمثل حادثة المؤامرة اللبنة الرئيسية فى بناء أحداث القصة فمن خلالها شرع المؤلف فى بناء القواعد الرئيسية لهيكل قصته.

وقد حرص الشاعر فى عرضه لحادثه المؤامرة على رسم صورة توضح تردد الاخوة وحيرتهم حول الطريقة التى يريدون اتباعها فى التخلص من يوسف، ونراهم فى هذه الصورة وهم يرددون الأمر بين جانبين : جانب القتل وجانب الالقاء فى الجب. وندرك من سياق الأحداث أن قد رجح الأمر الأخير. ثم نلحظ الجريمة وقد بدأت تأخذ شكلها العملى. فهم يحتالون على أبيهم لحمل يوسف للعب معهم بعد أن أكدوا له حرصهم على المحافظة على يوسف وهو يخاف أن يأكله الذئب، وهم يقسمون أن هذا لن يكون ولن يحدث وهم عصبة أولو قوة. ثم يمضون بأخيهم حيث أرادوا وخططوا. وفى العشاء يعودون إلى أبيهم باكين وزاعمين أن الذئب أكل يوسف.. وقد حرص الشاعر على إبراز صورة للجو العام للمؤامرة. فنراهم فى هذه الصورة وقد حرصوا على التخفى فى ظلمة الليل كى لا يفضح ما إرتدوه من أقنعة زائفة وباطلة. كما بينت الصورة خوف يعقوب من أن يأكله الذئب. والتجاوب بين خوف يعقوب والاعتذار ـ الذى قدمه الاخوة ـ مهارة فى التناول الفنى للحادثة وُفق المؤلف فى عرضها فى صورة شعرية متقنة تثير مشاعر الحزن فى نفس القارئ وتدفعه إلى مشاركة يعقوب فيما حل به من حزن وألم على فقد يوسف. واستكمالا لوصف الصورة التى رسمها الشاعر لمؤامرة الاخوة نراهم وقد ذهبوا إلى الصحراء مرة أخرى واصطادوا ذئبًا لطخوا فمه بدم كذب وعادوا به إلى والدهم لإثبات صدق دعواهم. إلا أن الله جلت قدرته كشف زيفهم وبطلان دعواهم. فاستجاب لدعاء يعقوب وانطق الذئب وحاوره يعقوب وعلم منه الحقيقة كاملة. وقد حرص الشاعر على تضمين قصته ما دار من حوار بين يعقوب والذئب، والذى اتضح من خلاله أنه ذئب مسكين ضاع ولده فى الصحراء فَقَدِمَ أرض كنعان بحثًا عنه حتى أوقعه مصيره التعس بين أيدى أبناء يعقوب، ليقف فى النهاية بين يدى يعقوب متهمًا بجريمة هو برئ منها. ونقرأ من دفاعه قوله:

ـ إن الله سبحانه وتعالى حرمٌ علينا أجساد الرسل الطاهرة

- إننى إذا رأيت خرافك فى الصحراء   لا أسـيـر حـولـهـا أبـدًا
- وإذا كـنت لا أنـظـر إلى خـرافك   فكيف يمكننى أن أمزق قلبك وعينيك وروحك[1]

******

وقد حرص الشاعر على عرض هذه الصورة الشعرية الطريفة التى وردت فى الكتب التى تناولت قصص الأنبياء[2] وذلك ليقدم من خلالها معادلا موضوعيًا[3] لحزن يعقوب على فقد ولده فى صورة حيوان مفترس أنطقه الله ليشارك يعقوب حزنه وألمه على فقد ولده، خاصة وأن هذا الذئب فقد ولده وجاء إلى صحراء كنعان بحثًا عنه. ويبكى الإثنان معًا مصيبتهما بعد أن أنس يعقوب له ودعا الله أن يرد عليه ولده الغائب.

ثم ينتقل الشاعر بعد حديثه عن لقاء يعقوب مع الذئب البرئ إلى الجب الذى ألقى يوسف فى غيابته ليلقى مصيره المقدر له. ويحرص الشاعر على السير[4] بسياق القصة سيرته الطبيعية على النحو الذى جاءت عليه فى كتب قصص الأنبياء. هذا ويجمل بنا أن نوجز ما تبقى من أحداث رئيسية تُكَوِّنُ السياق العام للقصة، وهى على النحو التالى: ـ

- خروج يوسف من البئر بواسطة أصحاب القافلة وبيعه عبدًا لهم.
- مالك ذعر ـ صاحب القافلة ـ ينقله إلى مصر ويبيعه على عزيز مصر قطفير.
- اهتمام زوجة العزيز بتربيته إلى أن بلغ أشده واستوى عوده وافتتانها به ومراودته عن نفسه..

---

(١) خـدوانـد كـرده است بـرمـا حـرام   تن بـاك يـبـغـمـبـران والـسلام
- من كَـركَـوسـفـنـد تـوبـينـم بـدشت   نـيـارا به بـيـرامـنش هـيج كـشت
- جـودر كـوسـفـنـدت هـمى نـنـكـرم   دل وديـده وجـانت راجِـو نـخـورم

(١) هذه الكتب هى: قصص الأنبياء للثعلبى (ص١٢٢) وقصص الأنبياء للكسائى (ص١٦٠)
(٢) المعادل الموضوعى: هو أن يوجد الكاتب أو الشاعر شخصية ثانوية أو حادثة فرعية لها ظروف مشابهة لظروف بطل القصة الرئيسى وتمثل نوعًا من التسرية لبطل القصة فيما يحيط به من مشاكل ومحن وأحزان (مجدى وهبة : معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب ص٣٧٠ (طبع بيروت ١٩٨٤م)
(٣) السياق : هو ترتيب مجرى القصة حسب تتبع الحوادث فيها إلى أن تصل إلى الذروة ثم إلى الحل (نقلا عن احمد أبو سعد : فن القصة صـ١٩١٤، بيروت ١٩٥٩.

- رفض يوسف مساومة نسوة مصر وزوج العزيز وتفضيله الاقامة فى السجن.

- رؤيا صاحبى السجن وتفسيرها والدعوة إلى وحدانية الله.

- رؤيا ملك مصر وتفسيرها وإعلان براءة يوسف وتقلده منصب العزيز.

- انتشار المجاعة فى أطراف الدنيا وقدوم اخوة يوسف إلى مصر طلبا للغلة وعودتهم إلى كنعان لاحضار بنيامين تلبية لطلب يوسف.

- عودة الاخوة إلى مصر واحتجاز يوسف لبنيامين بعد اتهامه بسرقة صاع الملك.

- عودة الإخوة إلى مصر مرة ثالثة وإعلان يوسف عن شخصيته واعتراف الاخوة بجريمتهم.

- قدوم أسرة يعقوب إلى مصر وسجودهم أمام يوسف ورفع أبويه على العرش.

- زواج يوسف من زليخا ووفاة يعقوب ثم وفاة يوسف..

*****

وهكذا يتضح لنا من السياق السابق للأحداث وتسلسلها الدرامى مدى حرص الشاعر على السير بأحداث قصته إلى "ذروتها" الطبيعية والمنطقية[1].. كما كانت هذه الأحداث فى مجموعها تمثل سلسلة مترابطة الحلقات تُسَلِّمُ كل حلقة منها ما تحمله من أحداث شقيقتها لتصعد بها نحو القمة أو الذروة، إلى حيث يوسف وقد لبث فى سجنه بضع سنين بسبب نسيانه ذكر ربه.. ثم يأخذ خط الأحداث بعد ذلك فى النزول من القمة فى اتجاه الحل[2]. وذلك حين رأى الملك رؤياه

---

(١) الذروة: هى أدق عناصر القصة وخاصة تلك القصص التى تعتمد اعتماداً رئيسياً على الشخصية الواحدة. فمثل هذا النوع من القصص يحتاج إلى ذروة قوية تعتمد على لحظة فاصلة فى حياة الشخصية. وهذه اللحظة تمثل الحدث الهام والمصيرى فى حياة الشخصية والذى من خلاله تصل القصة إلى الحل. على أنه يجب ان تكون الذروة مختصرة وتؤدى إلى حل منطقى وطبيعى يتسق مع الأحداث التى مرت بها الشخصية (إبراهيم يونسى: هنرداستان نويسى، صـ٤٨٢، ٤٨٣)

(٢) هو آخر ما تصل إليه القصة ونتيجة نهائية للذروة التى وضعها المؤلف للقصة. ويتضمن حل القصة تحقيق الفكرة او الغاية التى قامت عليها أحداث القصة.
(احمد أبو سعد : فن القصة، صـ١٥).

"السنبلات والبقرات السبع" وتَذَكَّرَ ساقيه مهارة يوسف فى تفسير الرؤى، فأرسل الملك فى استدعائه ليفسر رؤياه. وأخذ خط الأحداث فى الانحدار فرأينا يوسف يعتلى منصب العزيز وتتحقق رؤياه فيسجد له أبواه وأسرته، وبهذا يصل بنا المؤلف إلى حل عقدة القصة والذى كان مطلبا أثار اهتمام القارئ وظل يتابع أحداثها تطلعًا للوصول إليه.

وحتى يكتمل شمل أسرة يعقوب وترفرف السعادة على الجميع نرى الشاعر وقد وضع زليخًا بعد أن هَرِمَتْ فى طريق يوسف مرة ثانية. وأعاد الله عليها شبابها وجمالها بطلب من يعقوب وتزوجت بيوسف وعاش الجميع تحت سقف واحد مؤمنين وموحدين إلى أن اختار الله يعقوب إلى جواره وتبعه يوسف فيما بعد. وقد جاءت نهاية القصة منسجمة مع إطارها العام باعتبارها قصة تلعب فيها المشاعر الانسانية دورًا هاما ومؤثرًا فى حركة الشخصيات وأفعالها.

هذا... وقد مر بنا ـ من خلال سياق القصة ـ كيف لعبت الانفعالات النفسية ـ بأنواعها[1] المختلفة ـ دورًا هامًا فى تشكيل حياة بطل القصة المحورى "يوسف"، وبالتالى فإن لها وزنها وثقلها وتأثيرها فى تطور أحداث القصة وسياقها العام. وقد لاحظنا فى القسم الأول من أحداث القصة ـ كيف لعبت المشاعر الإنسانية دورًا هامًا فى حياة يوسف.. فقد كان حب والده له وإيثاره بعطفه وحنانه سببًا رئيسيا فى تحريك مشاعر البغض والحسد فى قلوب اخوته نحوه، ودفعهم هذا الحقد إلى تدبير مؤامرة للتخلص منه. وما ترتب على ذلك من أحداث انتهت ببيعه عبدا إلى عزيز مصر. ثم فقد يعقوب بصره حزنًا وكمدا عليه.. وفى المرحلة الثانية من حياة يوسف كانت المشاعر الإنسانية التى امتلأ بها قلب زليخا من حب له وافتتان بجماله وفتوته دافعًا إلى محاولاتها المستمرة لمطارحته الهوى ودفعه

(١) إذا كانت الذروة تشكل عنصرًا هاما ورئيسيًا فى بناء القصة الفنية فإن الانفعالات الإنسانية هى "ملح" القصة الذى لا غنى لها عنه. ذلك انه لا يوجد شخص على وجه البصيرة يستطيع أن يعيش بدون أحاسيس مختلفة مثل الألم والخوف والسعادة والحب والحسد. فالإنسان يتركب من مجموعة من الأحاسيس المتناقضة التى تؤثر فى سلوكه وتصرفاته نحو الآخرين.
(إبراهيم يونسى : هنرداستان نويسى، صـ١٧٦).

إلى عصيان ربه، وما تبع ذلك من تشهير به وبأخلاقه فى مجتمع مصر، ثم ايثاره السجن منجى وملجأ وطاعةً لله. وقد وفق الشاعر فى إبراز هذه المشاعر المتباينة حتى ظهر لنا تأثيرها الواضح فى تطوير أحداث القصة ودفعها نحو الذروة الدرامية لها، وابراز الجوانب النفسية لشخصيات القصة.

هذا.. وتحفل قصة يوسف وزليخا بعدد كبير من الشخصيات التى[1] تؤدى أدوارها التى رسمت لها فى إطار التسلسل الدرامى لأحداث القصة. وشخصية يوسف هى الشخصية المحورية التى تدور[2] حولها وتقوم على كتفيها أحداث القصة. وتنعكس ردود أفعال الآخرين على ما يصدر عن هذه الشخصية من أفعال وأقوال، ولما تتصف به هذه الشخصية من مواصفات حسية ومعنوية خاصة. فلقد كان يوسف منذ صغره جميل الطلعة كالقمر ليلة البدر يُرَىَ تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر[3]. وكان هذا الجمال - الذى أسرف الشاعر فى وصفه - أحد أسباب حب والده له وحسد اخوته وحقدهم عليه، مما حرك فى نفوسهم مشاعر البغض والضغينة والكره نحوه فاندفعوا إلى القائه فى الجب ثم بيعه عبدا. وكان هذا الجمال نفسه سببًا آخر لتحريك مشاعر العشق والهوى فى نفسية زليخا تجاه يوسف، فاندفعت هى الأخرى - بدافع من غرائزها ومشاعرها المتلاطمة إلى رسم الخطة تلو الأخرى لمطارحته الهوى. حتى كان ما كان من افتضاح أمرها بين أهلها وقومها. ولولا ما طبعت عليه نفس يوسف من الايمان بالله والخوف من عقابه لما آثر السجن ووحشته إرضاء وطاعة لخالقه وبارئه.

---

(١) يقصد بها كل شخصية وقعت منها أحداث وصدرت عنها عبارات وافكار ادت دورًا ايجابيًا فى القصة. ويوجد فى كل قصة شخصيات رئيسية تكون محور اهتمام القارئ لما تؤديه من أدوار هامة تساهم مساهمة ايجابية وفعالة فى تطور أحداث القصة. والنوع الثانى من الشخصيات هو الشخصيات الثانوية أو الشخصيات المساعدة وهى شخصيات تظهر وتختفى بحسب ما تؤديه من ادوار بسيطة تساعد على إبراز الشخصيات الرئيسية فى القصة. ولابد أن يقوم بينهم جميعًا رباط يوحد اتجاه القصة ويدعم الفكرة أو الأفكار الجوهرية فيها.
(الغنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث صـ٥٢٢، ٥٢٣).

(٢) يرى إبراهيم يونسى أن القصة الجيدة هى التى تقوم على شخصية أصلية واحدة تكون محور اهتمام الكاتب وتتمركز فيها أحداث القصة وتخدمها مجموعة من الشخصيات الفرعية.
(ابراهيم يونسى : هنرداستان نويسى، ص٢٨٢)

(٣) الثعلبى : قصص الأنبياء، صـ١٢٤.

وإلى جانب الصفات الحسية التى تتميز بها هذه الشخصية، فهناك الصفات المعنوية التى اختص الله بها يوسف عن سائر خلقه ممن تعامل معهم داخل إطار هذه القصة. فقد اختصه الله بعلم تفسير الرؤى. وكان لهذه الخاصية تأثيرها الهام فى مجريات أحداث هذه القصة على نحو ما مر بنا من قبل.. ويوسف شخصية تتميز بالصبر على تحمل المكاره والصعاب والايذاء من الغير، من قبيل «محنة الاتهام بالسرقة من قبل عمته، ومحنة التعذيب والعطش فى الصحراء من قبل اخوته ومحنة الجب وظلامه والخوف من المصير المجهول، ومحنة العبودية وقد التف الناس حوله فى أحد ميادين مصر يزايدون على ثمنه ثم محنة امرأة العزيز ومراودته عن نفسه واستعصامه بخالقه وأخيراً محنة السجن ومواجهة المجاعة التى حلت بمصر بعد أن مَنَّ الله عليه بمنصب العزيز"

هذا عن الشخصية الرئيسية فى القصة.. أما عن الشخصيات الثانوية فهى كثيرة نظراً لضخامة أحداث القصة وتعدد أزمنتها وأمكنتها.

ففى أرض كنعان "البيئة الأولى التى نشأ فيها يوسف" هناك شخصيات عديدة تظهر على مسرح الأحداث لتؤدى أدوارها المنوطة بها كلما دعت الحوادث إلى ذلك. فيظهر الاخوة والوالدة والعمة فى أرض فلسطين حيث كان يقيم يوسف معهم، ويختفون حيث رحل، وتظهر السيارة بقيادة مالك بن ذعر كوسيلة لانتقال يوسف من البدو إلى الحضر فى مصر ويمضون إلى غير رجعة بعد أن باعوه على عزيز مصر. ويظهر العزيز وامراته وواحد من أهلها ومربيتها ونسوة المدينة كل يؤدى دوره المرسوم له حين يكون مسرح الأحداث بيت العزيز، ثم يختفون بانتقال يوسف إلى السجن، وهناك يظهر ساقى الملك وخبازه ويتركه أحدهما إلى غير رجعة ويعود الآخر إلى الظهور مرة ثانية حين يرى الملك رؤياه. ويظهر الملك على مسرح الأحداث فترة تنتهى بتعيين يوسف عزيزاً لمصر وإعلان براءته أمام المجتمع المصرى ويحضور زليخا ونسوة المدينة ويختفى الملك ونسوة المدينة وامرأة العزيز ليظهر أخوة يوسف من جديد ويبقون على المسرح حتى ينتقلوا إلى مصر ومعهم يعقوب.. تعود زليخا للظهور من جديد وهى عجوز شمطاء إلى أن قبل الله دعاء يعقوب لها فيعود إليها شبابها وجمالها وفتنتها وتتزوج بيوسف وتتجه إلى الزهد والاستغراق فى حب الله، ثم يتجه قلبها ثانية إلى حب يوسف ويعيشان معًا إلى أن يرحلا عن الدنيا الفانية.

وقد وفق الشاعر فى الاستفادة من عنصر الحوار[1] ونجح فى توظيفه دراميا لتطوير احداث القصة وحسن التعبير عن مواقف شخصياتها. وكان نجاح الشاعر فى هذا المجال راجعًا إلى عدة عوامل نوجزها فيما يلى: ـ

أ) أنه ركز اعتماده على عنصر الحوار فى التعبير عن المواقف المهيجة للشجون والمحركة للعواطف الإنسانية مما ولد عند القارئ شعورًا من التعاطف الإنسانى مع شخصيات القصة.

ب) اختار الشاعر فنين من فنون البلاغة ملائمين لطبيعة القصة وهما التلميح والاقتباس، فقد اقتبس آيات من سورة يوسف فى القرآن الكريم ووضعها على لسان شخصيات القصة، وخاصة فى المواقف المؤثرة، من قبيل حادث المراودة ومشهد اعتراف زليخا بجريرتها أمام الملك، واعتراف اخوة يوسف ـ بجريمتهم فى حقه.. ومن الجمل الحوارية التى اقتبسها الشاعر من القرآن الكريم قوله على لسان يعقوب بعد أن فسر ليوسف رؤياه الثالثة: ـ

ـ وسوف تكون مجتبى من الدهر ولك فى الدهر رب العالمين
ـ وسوف يعلمك علم تفسير الأحلام وسوف يصبح قلبك متبحرا فى هذا الباب
ـ وسوف يتم نعمته عليك كاملة وعلى أهل بيتى يا صاحب السمة الطيبة
ـ كما كان آباؤك فى السابق وكانوا قبلك وفى مكانك[1]

---

(١) الحوار جزء هام من الأسلوب التعبيرى فى القصة، وهو صفة من الصفات العقلية، لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان من أهم الوسائل التى يعتمد عليها الكاتب فى رسم الشخصيات، وبواسطته تتصل شخصيات القصة اتصالاً صريحا مباشرًا. ويجب أن يكون الحوار طبيعيًا سلسا رشيقا مناسبا للشخصية وللموقف كما يجب أن يندمج فى صلب القصة لكى لا يبدو للقارئ وكانه عنصر دخيل عليها متطفل على شخصياتها، كما يجب أن يحقق فائدة ملموسة فى تطوير الأحداث وتقوية عنصر الدراما فيها وكذلك فى رسم الشخصيات والكشف عن مواقفها من الحوادث..
(محمد يوسف نجم : فن القصة، ص١١٧، ١١٨)

(١) ترا مجتبى ازروزگار همان كونرا هست بروردگار
بياموزدت علم تعبير خواب در باب گردد دلت زرف ياب
شود نعمتش برتو يكسر تمام ابراهل بيت من نيكنام
بدانسان كه بودند آباى تو كه بيش ازتو بودند برجاى تو

وهى اقتباس لقوله تعالى فى القرآن الكريم "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم". «سورة يوسف آية٦»

ج) استغلال الشاعر لعنصر المناجاة للتعبير عن المواقف المهيجة للعواطف الانسانية التى تموج بها أحداث القصة. ومثالا على ذلك المشهد الذى يقف فيه يوسف وحيداً فى الصحراء الموحشة مناجيا ربه وشاكيا له ظلم اخوته وقسوتهم عليه. ومن ذلك قوله:

ـ يــا أعـدل الـعـادلـين	ويـا مـزين الـنـجـوم فى الـسـمـاء
ـ انك حـافظ كل مـخـلـوق	وتـسـمع نجـوى المـنـاجـين
ـ فمـاذا أقول فأنت العليم البصير	وإنك الا له الـواحـد الـبـصـيـر
ـ فـاعف عن ذلك الـعـبـد الـعـجـوز	وسـامـحه ولا تـآخـذه عـلى قـوله

د) ابتعاد الشاعر عن السرد التقليدى المتعارف عليه فى مثل هذا النوع من القصص التاريخى، تلك التى تعتمد على سرد الحوادث دون التعمق فى المواقف والأحداث، والذى يولد السأم والملل فى نفس القارئ ويعوق التسلسل الدرامى للأحداث.. وقد استعاض الشاعر عن أسلوب السرد باستخدام أسلوب "الحوار" بين شخصيات القصة..

هـ) تأكيد الشاعر فى افتتاحيات الفصول على أنه يروى قصة واقعية عن رواة صادقين مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه..

أما عن أسلوب الشاعر فى التناول الفنى للقصة، فقد حرص ذلك[1] الشاعر على أن يقدم القصة فى إطار انسانى ذى طابع شعبى يضمن به رواجها بين الناس. ومن المعروف أن التوراة وكتب القصص القرآنى وكتب التفسير قد جعلت للقصة مذاقًا شعبيًا محببًا لدى العامة والخاصة على السواء. بينما أكسبها القرآن الكريم منزلة دينية وأدبية رفيعة، وجعل منها نموذجا ومثلا لا ينسى فى العظة والاعتبار والصبر على المكاره وانتصار الحق على الباطل.. ومن هنا كان حرص الشاعر على الاستفادة من كل تلك المصادر بالقدر الذى يخدم البناء الفنى

---

(١) الأسلوب: هو الطريقة الفنية التى يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التى بين يديه لتحقيق أهدافه الفنية. والوسائل التى يمتلكها الكاتب هى الشخصيات والحوادث وجمعها فى عمل فنى متكامل.
(محمد يوسف نجم: فن القصة، صـ١١٣)

للقصة ويضمن لها وضعا أدبيًا مقبولا لدى مختلف الناس. ولتحقيق هذا الهدف اختار الشاعر أن يبدأ القصة من حيث بدأت في التوراة مصورًا مراحل الصراع الإنسانى بين الخير والشر. فقدم لنا الصراع بين "عيصا ويعقوب" على الفوز ببركة اسحق. وفرار يعقوب إلى الشام خوفًا على حياته. وانتقل الصراع فيما بعد إلى أولاد يعقوب أنفسهم إلى أن انتهى ببيع يوسف عبدًا فى مصر. واتجه الشاعر بعد ذلك إلى الغوص فى أعماق نفسيات أبطال قصته لإخراج ما يموج بداخلها من مشاعر وأحاسيس انسانية قبل الأحداث التى تجرى حولهم. ولهذا نراه يخصص مساحة واسعة من رقعة العرض لبكائيات يعقوب فى بيت الأحزان حتى ابيضت عيناه كمدًا وحسرة وألمًا على فراق يوسف. كما قدّم مساحة واسعة للمشاهد التى يقف فيها يوسف مناجيا ربه شاكيًا له ظلم اخوته وقسوتهم عليه. كما حرص الشاعر على تضمين قصته مشهد بكاء يوسف عند قبر أمه شاكيًا لها قسوة اخوته وظلمهم وتجبرهم. كما عمل الشاعر على وصف مشاعر الخوف والقلق التى انتابت يوسف داخل البئر إلى أن هبط عليه جبريل وأشاع فى نفسه الطمأنينة والسكينة.. ولما أوقفه فى ساحة البيع فى مصر حرص على أن يضع أبياتًا على لسانه تثير فى النفس مشاعر الشفقة والرحمة بهذا الطفل المظلوم. ومن ذلك قوله:-

- من يشترى غلاما يتيما أسيرا لا معين له فى الدنيا
- من يشترى غلاما حزينا كاسف البال كانت قدمه فى القيد حتى أمس
- من يشترى غلاما ضال الطريق حبالاً به سوء القدر(1)

ولما انتقل يوسف من بادية كنعان إلى معيشة مرفهة فى قصر زليخا لم ينس أحزانه على فراق والده، فكان يخرج ليلاً إلى الصحراء ويقف فى ظلمتها مناجيا ربه وشاكيا له قسوة الحياة ووحشتها بعيدًا عن أهله وذويه.

---

(1) - كه خرد غلامى يتيم واسير كه كسى نيستش درجهان دست كير
- كه خرد غلامى ذليل وغريب كه كسى نيست مردرد اورا طبيب
- كه خرد غلامى كريزان بهاى نه باكيزه مفزونه شايسته راى

هذا وقد حرص الشاعر على أن ينقل لنا كل هذه المواقف الإنسانية لأبطال قصته داخل إطار مأساوى حزين. ويحمد له أنه لم يكن مجرد راوٍ لأحداث تصور وقائع تاريخية مجردة، بل إنه كان كثيرا ما يحدد موقفه من شخصيات قصته ويتعاطف مع جوانب الخير فى تلك الشخصيات وخير مثال على ذلك تعاطفه مع احزان يعقوب ويتجلى ذلك فى قوله:

- ومع أن عينيه صارت بلا نور من ذلك الألم   فإنه كان حقا معذورًا فى ذلك
- فالرجل الذى يفقد ابنا مثل يوسف   يفقد بصره من ذرف الدم[1]

وفى مشهد آخر يعقب على موقف يعقوب من الأعرابى الذى أوصل إليه رسالة من يوسف، فيقول:

- إذا كنت تريد الحسن فى الدارين   وبلوغ وعود الله
- فلا تحم إلا حول الطيبين الأطهار   ولا تبتعد لحظة عن خالق الدنيا[2]

******

هذا.. ومن العناصر الايجابية فى أسلوب الشاعر فى هذه المنظومة استغلاله لشخصية يوسف وما تمثله من مكانه دينية - باعتباره نبيًا مرسلا - لتوجيه النصح والارشاد إلى بنى البشر عامة. فالنصح يستحب ويقبل من الأنبياء والرسل. بالإضافة إلى أن يوسف هو الشخصية المحورية التى تدور حولها أحداث القصة والتى ظهرت فى مراحل حياتها المختلفة فى صورة «مأساوية» تثير فى النفس الشفقة والرحمة وتحمل الإنسان على التعاطف معها فى مواقفها المختلفة داخل أحداث القصة.. كما حرص الشاعر على أن تتسم الأحداث الرئيسية لقصته بالصدق والموضوعية وقد تم له ذلك بفضل أمانته فى نقل الأحداث من مصادرها الدينية سواء فى التوراة أو القرآن الكريم أو كتب التفسير المختلفة. إلا أننا نعيب عليه أسلوبه فى التناول الفنى لحادث المراودة بين يوسف وزوج العزيز. فقد اتبع

---

(۱) - كرش ديده زآن درد بن نور بوذ   روا بود حقا ومعذور بود
- كسى كش جو يوسف ازاو گمشود   زخون راند نش ديدها كمشود

(۲) - اكر نيكخواهى بهرد وسراى   رسيدن بدانوعده هاى خداى
- بجز كرد باكان ونيكان مكَرد   مشو يكزمان ازجهما ندار فرد

الشاعر الاسرائيليات التى شاعت وراجت ظلما وافتراء على موقف يوسف فى هذه الحادثة، إذ ذهب مذهب أصحاب الاسرائيليات فيما أدعوه زاعمين بأن يوسف هم بارتكاب المعصية مع زليخا وقعد منها مقعد الرجل من امرأته.. ومن ذلك قوله: ـ

ـ وحين جاء الهوى إلى الباب كالغبار الأسود	صار العقل متهما وكبه على رأسه
ـ فاشتعلت نار فى قلبه	فأحرق حياءه كله
ـ فلما مال قلبه مع هواه	حل الرجل بسرعة ثلاثة أربطة من عقدة إزاره[1]

كما نعيب عليه كذلك وصفه المفرط فى الحسية لجسد زليخا ومفاتنها وطريقتها فى غواية يوسف.

* * * * * *

هذا... ومن السمات الأخرى لأسلوب هذا الشاعر حرصه على أن تنتهى القصة نهاية سعيدة وذلك بعد أن سيطر جو مأساوى على كثير من فصولها وأحداثها، فزوج زليخا بيوسف بعد أن أعاد الله عليها شبابها وجمالها وحسنها، وبعد أن تركت الدنيا واتجهت إلى الزهد، فتح الله طاقة حب فى قلبها فأقبلت على الحياة مع يوسف ورزقها الله بالذرية الصالحة.. وقد مر بنا فى تحليلنا الفنى للقصة كيف انصب اهتمام مؤلف المنظومة على الوصف الحسى لشخصيات القصة.. وإذا كان الشخص هو ابن بيئته فيما يصدر عنه من أفعال وأقوال تجاه أحداث حياته، فإن تصوير هذه البيئة يعد ركنا هاما وعاملا أساسيًا فى تصوير الشخصية نفسها.. ولهذا فإنه يعاب على هذا الشاعر عدم اهتمامه بتصوير البيئة[2] التى عاشت فيها شخصيات القصة، رغم ما لهذا العنصر من

---

(١) ـ هوا جون سيه كرد آمد بدر	خرد متهم شد فكندش بسر
ـ جِنان آتش بردلش برفروخت	كه مرشرم اورا سرار بسوخت
ـ جودل برهوا جستنش ميل كرد	سه بنده ازكره زود بكشاد مرد

(٢) نعنى بالبيئة مجموعة العوامل الثابتة والطارئة التى تحيط بالفرد وتؤثر فى تصرفاته فى الحياة وتوجهها وجهة معينة. فالإنسان لم يعد سيد نفسه بل هو عضو فى أسرة كبيرة متشعبة وآلة ضخمة قوية هى يد الطبيعة أو يد القدر أو يد المجتمع وبيئة القصة هى حقيقتها الزمانية والمكانية وكل ما يتصل بوسطها الطبيعى وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم فى الحياة.
(محمد يوسف نجم: فن القصة، صـ٢٢، ٢٣)

أهمية فى البناء الفنى للقصة بفنونها المختلفة[1]. ذلك أن جوهر القصة لا يتم بمجرد إبلاغها إلى ذهن القارئ بأوجز العبارات، ولكنه ينبغى أن يمر من خلال حكاية كل حال من الأحوال التى يجمل ذكرها بحيث يخرج من مجموعها هيكل يُرْسَمْ وأشخاص تتحرك وتتكلم[2].

وقد اتفق نقاد الأدب على أن تصوير الواقع الخارجى له دوره الهام فى التشكيل الروائى للقصة بحيث يتآزر تصوير الواقع الخارجى "الزمان والمكان والأشياء" فى إلقاء الضوء على واقع الشخصية النفسى[3]. وقد مر بنا فى هذه القصة مجموعة من الأماكن تمثل بيئة ومسرحًا لعدد من أحداث القصة وتَنَقَّل بينها بطل القصة فى مراحل عمره المختلفة وتغير خلالها تكوينه الجسدى والنفسى، كما تغيرت طبيعة عمله. لكننا لم نحس بذلك ولم نلمسه إلا من خلال العرض التاريخى للشاعر. ورغم أن البيئة المكانية فى هذه القصة وما صاحبها من أجواء متابينة ومناظر مختلفة كان يمكن أن يكون لها تأثيراتها وردود أفعالها على بطل القصة وشخصياتها الثانوية. إلا أن هذا الشاعر تجاهلها تجاهلا تاما. فقد خرج يوسف من أرض كنعان «بطبيعتها البدوية» وانتقل إلى مصر «بطبيعتها الحضرية» بل إن الشاعر أنزل يوسف نهر النيل ليستحم فيه ولم يخطر بباله أن يصف هذا النهر وتضاريسه وما يحيط به من طبيعة خلابة. وحين انتقل يوسف إلى قصر العزيز ـ الذى يختلف كلية عن البيئة التى نشأ فيها يوسف فى كنعان، لم نلحظ لذلك أثرًا يذكر فى القصة. وكان قصر المرايا الذى أقامته زليخا هو المكان الوحيد الذى حظى باهتمام الشاعر فوصفه فيما لا يزيد عن سبعة أبيات..

---

(١) يرى الغنيمى هلال أن الوصف العام لمجالات الأحداث لا يجب أن يكون منعزلا عن الحوادث والشخصيات فى القصة، إذ أن هذا الوصف يقسر الحالات والدوافع النفسية.

(الغنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث، صـ٥٢٥)

(٢) دأب الافرنج فى كل نقطة من نقط الوصف على أن يشبعوها اشباعا فيتخيل الكاتب فى كل نقطة من نقط الوصف أن الطبيعة واقفة أمامه حية تتكلم ويكون قلمه إذ ذاك كالفرشاة فى يد المصور الحاذق فلا تفوته أقل حركة يكون لها أثرًا أو غاية فى مجموع المؤلف، ولذلك يخرج السفر من بين يديه وهو كالصورة المتحركة لا ينقصها عن محاكاة الطبيعة غير الصوت والحس..

(احمد الهوارى : نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث ص٧٢، مصر ١٩٨٢م)

(٣) احمد الهوارى : نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث، صـ٦٢.

أما عن تصويره للجو التاريخى للقصة وما يتصل بهذا الجو من ظروف وعادات تؤثر فى أخلاق الشخصيات وتوجه تيار الحوادث، فقد لاحظنا أن الشاعر تعرض لذلك من خلال بعض حوادث متناثرة من القصة منها على سبيل المثال تصويره للصراع بين عيصا ويعقوب باعتبارها عادة من العادات التى عرفت عن أسرة يعقوب وكان لها تأثيرها فى الصراع داخل هذه الأسرة. كما صور لنا حادثة تاريخية أخرى عن زواج يعقوب با بنتى خاله "ليا" و راحيل. وكانت الحادثة التاريخية الثالثة التى استلهمها الشاعر من التاريخ هى قصة اتهام يوسف بالسرقة من قبل عمته وواستبقائه عبدًا عندها لمدة سنة طبقًا للعادة والعرف فى ذلك الزمان. وكان لهذه الحادثة أثرها فى نفسية يوسف بعد أن شاعت عنه وذاعت بين الناس ورددها اخوته على مسامعه وهو فى منصب العزيز..

* * * * * *

ولنا أن نتساءل فى نهاية هذا العرض التحليلى للقصة هل تحققت وحدة[1] الحدث الدرامى للقصة؟ وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نتذكر أن فكرة القصة قامت على تحقيق رؤيا يوسف "الأحد عشر كوكبا" وتحقيق هذه الفكرة وما تبعها من صراع بين اخوة يوسف وما نتج عن ذلك الصراع من مؤامرة للتخلص منه يمثل وحدة عضوية لهيكل البناء الفنى للقصة، وتنحصر هذه الفكرة فى الصراع بين الخير والشر، الخير الذى يمثله يوسف ويعقوب، والشر الذى يمثله الأبناء العشرة إضافة إلى زليخا ونسوة المدينة.

وتدخل الحوادث الفرعية (حادثة الصراع بين عيصا ويعقوب _ حادثة المراودة حادثة الهم) ضمن الكيان العضوى لموضوع القصة..

---

(١) يقصد بوحدة الحدث تركيز الحقائق حول حقيقة واحدة جوهرية أو فكرة عامة أو شخصية أساسية تتعلق بها الحقائق والأفكار والشخصيات الأخرى، وينتج عن ذلك وحدة الاهتمام ووحدة الشعور بالموضوع أو الشخصية، ثم تتقدم القصة فى الحركة لتضاعف الشعور والاهتمام بالموضوع بعرض الحوادث أو بوصف صداها فى الأبعاد النفسية للشخصيات.

(الغنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث : صـ٥١٠)

وقد تجلت وحدة الحدث فى القصة فى ترتيب أحداثها لتحقيق الغاية من القصة وتحقيق فكرتها التى قامت على حلم فى مخيلة يوسف عليه السلام وتحول هذا الحلم إلى حدث وواقع حى له هيكل تمثل فى شكل مؤامرة الأخوة وما انتهت إليه هذه المؤامرة من نتيجة مرجوة لدى أولاد يعقوب "ابعاد يوسف ليخلوا لهم وجه أبيهم" ثم واصل الحدث تطوره نحو ذروته التى عرضناها فى الدراسة الفنية للقصة.. إلى أن تحقق حلم يوسف واعتلى عرش مصر وسجد له أبواه وأهله، وتحققت فى النهاية فكرة انتصار الخير على الشر.

****

الفصل الثانى

أوجه البلاغة فى لغة المنظومة

كتب الشاعر قصة يوسف وزليخا باللغة الفارسية الإسلامية[1] التى تتوافر فيها الكلمات العربية نظرًا لارتباط القصة بأصل دينى فى التوراة والقرآن الكريم. ومن المتعارف عليه بين علماء اللغة أن كثرة استخدام اللغة العربية ووفرة الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية يعد مقياسًا للرقى الأدبى عند الفرس. وعلينا أن نضع فى الاعتبار ونحن نؤكد ريادته فى هذا المجال انه - أى الشاعر - كان ينقل عن مصادر أغلبها عربية، وإن كان بعضها مترجما إلى اللغة الفارسية مثل كتابى "تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى". ومن هنا كان نقله للأفكار التى وردت عند أصحاب كتب التفسير منطقيًا ومنسجمًا مع طبيعة موضوع القصة. ولهذا رأينا الشاعر ينقل مشاهد بأكملها من بعض كتب التفسير وكتب القصص القرآنى مستخدما جملا فارسية نصف كلماتها عربية الأصل[2].

---

(١) لما دخلت فارس فى الدين الإسلامى أقبل الفرس على تعلم اللغة العربية تاركين لغتهم ومعتقداتهم القديمة. واستمر النشاط الأدبى فى فارس خلال القرنين الأولين للإسلام - أى السابع والثامن ومنتصف التاسع. وتطور الأمر وظهرت الدول الإسلامية الإيرانية كالطاهرية والصفارية والسامانية ليتم ظهور اللغة الفارسية الإسلامية التى استعارت من اللغة العربية أبجديتها. بل وأخذت منها الكثير من المفردات التى لا تزال حتى الآن تمثل نسبة كبيرة من تلك اللغة.

(السباعى محمد السباعى : النثر الفارسى: صـ٥)

(٢) يبلغ عدد الكلمات العربية فى كل صفحة من صفحات المنظومة ما يزيد على الكلمات العشر. ومن ذلك قوله فى أحد أبيات القصة: =

هذا وقد صاغ الشاعر القصة بأسلوب يغلب عليه السهولة والوضوح فى أغلب مشاهد القصة. وكان ذلك راجعا إلى استخدامه للجمل القصيرة. إضافة إلى استغلاله فنون البلاغة المختلفة وتوظيفها فى ثنايا القصة...

ويجمل بنا أن نقدم فى هذا الفصل ألوانًا من فنون البلاغة التى استخدمها الشاعر فى صياغة مشاهد القصة على النحو التالى:

١) فن الترصيع:[١] يكثر الشاعر من استخدام هذا الفن وذلك فى مثل قوله:

- زكَيتى هرآنكس كه دانا تراست   دربايه ومايه بالا ترست

ومعناه:

- وفى الدنيا فإن كل صاحب علم   له المنزلة الرفيعة والشأن العظيم

الشاهد "بايه" و مايه"..

وقوله:

- زبان زنان همه مصر باك   ورا برده صبر كردند جاك

ومعناه:

- فقد مزقت ألسنة نساء مصر   حجاب صبر زليخا

والشاهد : فى كلمتى "زبان" و "زنان"

وقوله:

- بسى كَوهر داستان سفته ام   بسى نامه باستان كفته ام
- ببزم وبرزم وبكين وبمهر   يكى اززمين ويكى از سبهر

= كريم است وجان آفرين وحكيم   سميع وبصير وحليم وعليم
- ومعناه: كريم وخالق الروح وحكيم   سميع وبصير وحليم وعليم

(١) معناه فى الفارسية نظم الجواهر، ويكون بأن يقسم الشاعر العبارات فى النظم أو النثر إلى أقسام بحيث تتساوى فيها كل كلمتين وتتفقان فى الوزن والروى.
(الرادويانى: ترجمان البلاغة: ت د. محمد نور الدين، ص٦٦، مصر ١٩٨٧م)

ومعناه:

- كم صنفت من جواهر الحكايات | وكم ألفت من الكتب القديم
- عن المجالس والحروب والبغضاء والحب | عن الأفلاك وعن الأرض

وقوله:

- توئى بى شريك و توئى بى مثال | توئى حى داور توئى بى زوال

ومعناه:

أنت بلا شريك لك ولا مثال | وأنت الحى الباقى

٢) الجناس التام(١)

وذلك فى مثل قوله:

- سر انجام كفت اى همايون عزيز | ذليلان عالم بعزت عزيز

الشاهد: فى كلمتى "عزيز" و "عزيز" فالأولى يقصد بها عزيز مصر والثانية بمعنى عزيز فى الدنيا.

ومعنى البيت:

وقال فى النهاية: أيها العزيز المبارك | إن أذلاء العالم أعزاء بالعزة

وكذلك قوله:

- زبيم خداوند شرم بدر | برون جست يوسف زخانه بدر

ومعناه:

- من خوف الله ومن الخجل من أبيه | قفز يوسف من البيت إلى الباب

فقد جانس الشاعر بين كلمتى "بدر" بمعنى «الأب» و "بدر" بمعنى الباب:

---

(١) ويكون هذا الفن بوجود كلمتين أو أكثر متشابهة الصورة فى النطق والكتابة ولكنها مختلفة فى المعنى. ويجب أن تكون هذه الكلمات متفقة فى التركيب وفى الحركات دون زيادة أو نقصان.

(رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر، ت الشواربى صـ٩٤، مصر ١٩٤٥م)

وقوله:

ـ گشادست برتودرکاخ وکنج نبایدت بردن بی گنج رنج

ومعناه:

ـ باب الخزانة والقصر مفتوحان لك ولا يلزمك أن تعنى نفسك من أجل المال

فقد جانس الشاعر بين «كلمتى «كنج» بمعنى «الخزانة» والأخرى بمعنى «المال»

ومنه قوله:

ـ كه داند كه ازشرم جونبود جون كه ازشرم ورخسارى شد جون خون

ومعناه:

كيف كان حاله من الخجل لقد صار خده من الخجل مثل الدم

وقد استخدم الشاعر كلمة "جون" بمعنيين الأولى بمعنى "كيف" والأخرى بمعنى "مثل".

وقوله:

نگفتم زبانم خود اين داستان نبودى بدين هوش هم داستان

ومعناه:

إن لسانى لم يقل هذه الحكاية ولم تكن أنت بهذا الفعل موافقا لى

وقوله:

گرامى ترت بودم ازجان خويش نبودت زمن هيچكس بيش بيش

ومعناه:

وكنت عندك اغلى من روحك ولم يكن لديك أحد أكثر اعزازا منى

فقد استخدم الشاعر كلمة بيش بمعنى "كثير" ومرة أخرى بمعنى "من قبل"

٣) الجناس الناقص[١]

وذلك فى مثل قوله:

- كـواهـى هــمـى داد روشـنـدكش   كه دركَل نـهـان كشت خـواهـد كَلش

ومعناه:

- وأدرك بـــــــوضـــــــوح   أن وردته سوف تختفى فى التراب

فقد جانس الشاعر بين كلمتى "كِل" بمعنى الطين و"كُل" بمعنى "الورد" وكذلك قوله على لسان يعقوب مخاطبًا أبناءه:

- بـانـدرز مـانـتـان بـنـد هـوش دل   كـنـون لا جـرم كَل فـروشـد بـكِل

ومعناه:

- ولم تـنـتـبه عـقـولـكم وقـلـوبـكم   فلا جرم أن الزهـرة دفنت فى التراب

٤) التجنيس الزائد:[٢]

وذلك فى قوله:

- زيـيـغـمِـبـرانت كـنـيم اخـتـيـار   شـــود نـــامه نـــام تـــو آشـــكـــار

ومعناه:

- وسـنـخـتـارك رسـولا من رسـلـنـا   وسـتـظـهـر رسـالـتك ظـهـورًا بـيـنـا

والشاهد: هو فى لفظ "نام" بعد أن زاد عليه حرف الهاء

وقوله:

- زمـانى عـبـادت هـمـى كَسـتـريـد   بـنـزديك آنـكـو عـبـاد آفـريـد

(١) هو كالتجنيس التام فى اتفاق الحروف، ولكنه يختلف عنه فى اختلاف الكلمات المتشابهة فى الحركات. مثاله: جبة البرد وجنة البرد، وفى الفارسية: راه كشنده وكرماه كشنده ومعناه قاطع للطريق قاتل للكرام".
(المرجع السابق : صـ٩٥).

(٢) ويسمونه التجنيس المذيل ويكون بتجانس الكلمتين فى الحروف والحركات، ولكن إحدى الكلمتين تنتهى بحرف زائد.
(المرجع السابق صـ٩٦)

ومعناه:

- وقـضى مـدة فى الـعـبـادة مـسـتـقـريـا لمن خـلق الـعـبـاد

والشاهد: فى كلمتى "عباد" و "عبادت"

وكذلك قوله على لسان زليخا:

- بـدورهـر كـسـز روى فـراز كه اى رويت از نـيـكـوئى بى نـيـاز

ومعناه:

- فـقـالـت لـكل واحـدة يا من وجوهكن مستغنية بالحسن

والشاهد: فى كلمتى: "روى" و "رويت"

التجنيس المكرر[1]:

ومنه قوله واصفا حالة يعقوب بعد فقد يوسف:

- دگـر بـاره نـامـرده جـون مـرده شـد روان دربـيـش زار وبـرمـرده شـد

ومعناه:

- مـرة أخـرى أصبح كـالميت بـغـيـر مـوت وضـعـفـت الـروح وذبـلـت

والشاهد: هو فى كلمة "مرده" حيث وردت بمعان مختلفة فى نفس البيت

التجنيس المطرف:(٢)

ومنه قوله على لسان يعقوب مخاطبًا ابناءه:

- يـكى حجت است اين ز كـرك تـبـاه نـكـويـد چـنـين مـرد بـاراى وراه

---

(١) ويسمونه ايضًا "المردد" او المزدوج ويكون بان يجعل الكاتب او الشاعر فى نهاية الأسجاع او اواخر الأبيات لفظين متجانسين ويجب ان يكون هذان اللفظان متتالين ويجوز أن يكون فى صدر اللفظ الأول منهما زيادة. ومثاله فى الفارسية: -
«فلان زار ونزار است» ومعناه فلان حزين وهزيل»..

(٢) ويكون هذا النوع باتفاق الكلمتين المتجانستين فى جميع حروفهما ما عدا الحرف الأخير منهما. ومثاله فى الحديث النبوى: «الخيل معقود فى نواصيها الخير» ومثاله فى الفارسية: "دل كريم از آزار آزاد باشد" ومعناه: قلب الكريم يخلو من الأذى.
(المرجع السابق: صـ٩٨ : ٩٩)

والشاهد: هو فى كلمتى "راى" و "راه"

ومعناه:

- هذه الحجة عن الذئب فاسدة لا تصدر عن صاحب راى ودراية

ومنه كذلك قوله:

بچاه اندرون مرده زود برآرد زوى مرك ناچار دود

الشاهد: فى كلمتى "زود" و "زوى"

ومعناه:

وفى داخل البئر سوف يموت وحده بسرعة ولا بد أن يصعد منه دخان الموت

وكذلك قوله:

- نشستن برخشك بالان بود نه بالاى أورخت آلوان بود

ومعناه:

- وأن يكون جلوسه على بردعه خشنة مجردة من الألوان

والشاهد: هو فى كلمتى «بالاى» و «بالان»

التجنيس المركب[1]

ومنه قوله:

- أز آغازتا من ترادیده ام نه ازدل بکامم نه ازدیده ام

ومعناه:

- ومنذ أن رأيتك فى البداية وأنا لست سعيدة بقلبى ولا قريرة بعينى

---

(١) وذلك بأن تكون إحدى اللفظتين المتجانستين - أو كلتاهما - مركبة. وينقسم إلى قسمين، القسم الأول: تتشابه فيه الكلمتان فى اللفظ وفى الخط والقسم الثانى: تتشابه فيه الكلمات فى اللفظ وتختلفان فى الخط وفى هذه الحالة يسمى بالتجنيس المفروق. ومثاله فى النثر العربى كنت أطمع فى تجريبك، مطايا الجهل تجرى بك. ومثاله من النثر الفارسى "من مرده نيم ولكن مرد نيم "ومعناه" أنا لست ميتا ولكنى لست انسانا"
(المرجع السابق صـ٩٧)

والشاهد: هو فى كلمتى «ديده ام» بمعنى «رأيتك» و «ديده» بمعنى «عين»

التجنيس المفروق:

ومنه قوله:

ـ هم أز مـــام وهـم بـــاب زاده ايم بمـــهـــر بـــبـــيـــونـــد آزاده ايم

ومعناه:

ـ أنت شـقـيـقـتى من الأم والأب يـربط الحب والأصل بـيـنـنـا

والشاهد: هو فى "زاده ايم" و "آزاده ايم"

وكذلك قوله:

ـ بكّستر يكى فرش خوب ازبهشت مـلـون جـو بـسـتـان ارديـبـهـشـت

ومعناه:

وابسط فـرشـا جـمـيلا من الجـنـة مـلـون مثل حديقة فى شـهـر ارديبهشت

تجنيس الخط:(1)

يسرف الشاعر فى استخدام هذا اللون من البلاغة إسرافًا شديدًا، ربما لسهولته ولهذا فإن الأمثلة عليه كثيرة فى القصة على النحو التالى:

من ذلك قوله:

ـ سـبك خـوانـدار ويـرا جـواب كه من ساخت خواهم يكى نغز خواب

والشاهد: فى كلمتى "جواب" و "خواب"

ومعناه:

ـ فأجابه مشرف الخان فى الحال أنـنى سـاصـنع حـلـمًا جـمـيلاً

وقوله:

ـ بجاهش فروهشت شمعون بخشم برون كرد آب حياراز جشم

---

(1) ويسمونه أيضًا المضارعة أو المشاكلة، ويكون بتشابه الكلمتين المتجانستين فى الخط مع اختلافهما فى النطق، ومثاله فى الفارسية "شب تاريك وراه باريك، ومعناه الليل مظلم والطريق ضيق".
(المرجع السابق صـ١٠٢)

ومعناه:

- وانـزله شـمعون إلى البئر بحـقد   وأفرغ العين من ماء الحياة

والشاهد: هو فى كلمتى "خشم" و "جشم"

وكذلك قوله:

- جه مرد زبر دست وجه زير دست   بدند آنزمان سريت برست

ومعناه:

- كـان النـاس فى ذلـك الـزمـان غنيهم وفقيرهم وعظيمهم وحقيرهم عبدة للأصنام

والشاهد: هو فى كلمتى "زير" و "زبر"

وقوله:

- چو آگاه شد كه ازچه نالد همى   دلـش راچـه تـيـمار بالـدهـمـى

ومعناه:

- وحين علم مما يشتكى الذئب   وأى جـرح أصـاب قـلـبـه

والشاهد: هو فى لكمتى "نالد" و "بالد"

وكذلك قوله:

- مكو نقش ديباى زربافته است   جـوره بـرتـن كَل رخى تافته است

ومعناه:

- لا تقل ما أحسن نقش الديباج المنسوج بالذهب   حـيـث يـكون مـلقا على ذى وجـه وردى

والشاهد: هو فى كلمتى "بافته" و "تافته"

وقوله:

- ببايد كه بادى همين داسـتان   بـكَوئيد اى پاك بـاك دل راسـتان

ومعناه:

أيها الرفاق ذوو القلوب الطاهـرة   يجب أن تقولوا لى تفسيرا لهذه الحكاية

والشاهد: هو فى كلمتى "راستان" و "داستان"

وكذلك قوله:

- بياراست آن روى آراسته   زنور جهان دار بيراسته

ومعناه:

- وزينت ذلك الوجه المزين والمحلى   بنور ملك العالم المزين

والشاهد: هو فى "بياراست" و "آراسته" و بيراسته"

"الأسجاع"

ا) السجع المتوازى[1]:

يشكل هذا النوع من البلاغة ركنا أساسيًا من فنون البلاغة التى اعتمد عليها الشاعر فى صياغة القوالب البلاغية لمنظومته، حتى أن أغلب عروض الأبيات وأعجازها يعتمد اعتمادًا رئيسيًا على السجع المتوازى ولذلك فالأمثلة عل هذا اللون من البلاغة وفيرة وفرة لأحد لها، نختار منها ما يلى: -

- بدان بى رهان گفت كاين نيست روى   نبايد زميدان جنين برد كوى

ومعناه:

- وقال لهؤلاء الضالين   إنه ليس معقولاً أن يتم الأمر هكذا

والشاهد: هو فى كلمتى : "روى" و "كوى"

وكذلك قوله يصف حادثة اسقاط يوسف فى البئر:

- رسن را بكردند درجه دراز   همى رفت درجاه ماه از فراز

ومعناه:

- وطولوا الحبل فى البئر   وكان القمر ينزل من أعلى إلى أسفل

(١) وذلك إذا وجدت فى جملتين أو أكثر كلمات متفقة فى الوزن وعدد الحروف والروى. مثالها من الحديث النبوى "اللهم اعط منفقًا خلفًا واعط ممسكًا تلفا". ومثاله فى الفارسية: "كوى باخته واسب تاخته"، ومعناه "العب الكرة وأجرى الفرس"

والشاهد: هو فى كلمتى "دراز" و "فراز"

وكذلك قوله:

ـ بآب اندرش جايكَه ساز خشك　　همه جاه را براز بوى مشك

ومعناه:

ـ واجعل موضعه على الماء يابسا　　واملأ البئر كله من عطر المسك

والشاهد: هو فى كلمتى "خشك" و "مشك"

وقوله:

ـ زبانها همه شد ستايش كَرش　　روانها همه شد روايش كرش

ومعناه:

ـ فالألسن كلها صارت مثنية عليه　　والنفوس كلها صارت مطيعة له

والشاهد: هو فى كلمات "زبانها" و "روانها" و «ستايش" و "روايش"

وكذلك قوله:

ـ دهان ازدل عاشقان تنكتر　　لب ازسرخ ياقوت رنكَتر

ومعناه:

ـ وفمها أضيق من قلب العاشقين　　وشفتها أكثر حمرة من الياقوت الأحمر

والشاهد: هو فى كلمتى "تنكَتر" و "رنكَتر"

وقوله:

ـ دويستان اوجون دوسيمين انار　　اكر سرو سيمين آورد نار بار

ومعناه:

ـ ونهداها مثل رمانتين　　إذا كان السرو الفضى يثمر الرمان

والشاهد: فى كلمتى "نار" و "بار"

- السجع المطرف[1]:

ومنه قوله فى وصف زليخا:

- دو ساقش بسان دو سيمين ستون　　　بـــدان ايســـتاده كـــه بـيـسـتون

ومعناه:

- ساقاها مثل عمودين من الفضة　　　واقـف عليـهـما جـبل بيـسـتون

والشاهد: فى كلمتى "ستون" و "بيستون"

وقوله:

- رضـــاى خـداى جـهان آفـرين　　　نـــيـابـنـد دركـــار هـــاى جـنـيـن

ومعناه:

- إن رضـــاء الله خـــالـق العـــالم　　　لا يـظفر به فى مـثل هــذه الأعـمال

والشاهد: فى كلمتى "آفرين" و "جنين"

وكذلك قوله:

- هــواى تــودر كــور يــارم بــود　　　نـــكـهـدار وانـــده كَـــسارم بـــود

ومعناه:

- إن هـواك سـيكون مصباح قلبى　　　وحـــــــــارســـى وأنـــــيـــسى

والشاهد: هو فى كلمتى "يارم" و "كسارم"

وكذلك قوله:

- ســـر انـــجام كَفتا بآن سيمتن　　　كـــه أى ديـــده دايـــه خـــويـشـتـن

---

(١) وذلك إذا وجدت فى آخر جملتين أو أكثر كلمات متفقة الروى ولكنها مختلفة من حيث الوزن وعدد الحروف. ومثاله من القران الكريم "ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا"

ومثاله فى الفارسية "فلا نرا كرم بسياراست وهنر بى شمار" ومعناه "فلان مكارمه كثيرة وأفضاله لا تحصى" (المرجع السابق صـ١٠٦)

ومعناه:

ـ وفى النهاية قالت لتلك الفضية البدن   يا قـــــرة عـــين مـــربـــيـتـك

والشاهد: هو فى كلمتي "سيمتن" و "خويشتن"

وكذلك قوله:

ـ بشـد دايـه وخـوانـد كـا آوران   مـهـنـدس تـنـى جـنـد زيـرك سران

ومعناه:

ـ فمضت الداية واستدعت الصناع   وعددا من المهندسين والخبراء المهرة

والشاهد: فى كلمتى "آوران" و "سران"

وقوله فى وصف قصر المرايا الذى اعدته زليخا للقاء يوسف:

ـ هـمه سقف وديـوارها وزمـين   بـبـوشـيد بـرتـخـتـه آبـكـين

والمعنى:

ـ وأن يغطى سقفه وجدرانه وأرضه   بـــألــــواح الـــبـلـــور

والشاهد: هو فى كلمتى "زمين" و "آبكين"

السجع المتوازن[1]:

ومنه قوله:

ـ نـداند كـس آغـاز وانـجام أو   جـهـان هـست بـر عـدل وأحـكام أو

---

(١) ويكون بأن ترد فى أول الجملتين أو فى آخرهما أو فى أول المصراعين أو آخرهما كلمات تتفق من حيث الوزن ولكنها تختلف فى حروف الروى. ومثاله من كتاب الله: "وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم" وقوله فى الفارسية:

ـ شاهى كه رخش اورا دولت بود دليل   شاهى كه تيغ اورا نصرت بود فسان

ومعناه:

ـ أنه ملك تصبح السعادة دليلا لجواده وسلطانه   ويـصـبـح النـصر حـكاية لسـيفه

«المرجع السابق صـ ١٠٦ و صـ ١٠٧»

ومعناه:

- لا يعلم أحد بدايته ولا نهايته والعالم قائم على عدله واحسانه

والشاهد: هو في قوله "آغاز" و "انجام" و "عدل" و "أحكام"

وكذلك قوله:

- دل باك تو عادل ومنصف است اگر عاشق چهره يوسف است

ومعناه:

- إن قلبك الطاهر يكون عادلا ومنصفا إذا كان عاشقا لوجه يوسف

والشاهد: هو في قوله "عادل" و "عاشق"

وكذلك قوله:

- منور شد ايوان ز ديدار او منقش هواز دورخسار او

ومعناه:

- فنور الايوان بوجهها وتزين الهواء بخديها

والشاهد: هو في كلمتي "منور" و "منقش"

وكذلك قوله:

- منور منقش معطر بجشم بيامد دكر با زآنشوخ جشم

ومعناه:

- وجاءت هذه الجريئة مرة أخرى وهي تبدو للعين منورة منقشة ومعطرة

والشاهد: هو في كلمات "منور" و "منقش" و "معطر"

وكذلك قوله:

- هم ازمام وهم باب هم زاده ايم بمهر بسويند آزاده ايم

ومعناه:

- انت شقيقتي من الأب والأم يربط بيننا الحب والأصل

والشاهد: هو فى كلمتى "مام" و "باب"

الاشتقاق[1]:

هذا الفن من البلاغة شحيح فى المنظومة وعلى هذا فإن الأمثلة عليه قليلة فى المنظومة. ومن ذلك قوله عن المولى عز وجل:

- تـوانى زنـاجـيز جـيز آفـريد　　　هـم ازتـو شود جـيـزها نـابـديـد

ومعناه:

- وتستطيع أن تخلق الشئ من العدم　　　وتـنـعدم الأشـياء بـقـدرتـك

والشاهد: فى هذا البيت بين كلمات "چيز" و " چيزها" و "ناچيز"

وكذلك قوله عن دخول عدد كبير من أهل مصر فى دين الله أفواجاً عدا زليخا التى جلست حزينة . ويصف ذلك قائلاً:

- بـجـزآنـز لـيخـاى انده زده　　　بـدان غـمـزده جـاى ما تم زده

ومعناه:

- عدا زليخا تلك المسحوقة فى الحزن　　　حـزيـنـة فـى ذلـك المـأتـم

والشاهد: هنا بين كلمات "انده زده" و "غمزده" و "ما تم زده"

وكذلك قوله عن يوسف:

- خـدايش رهـانيد ازبى رهـان　　　رهـا كـرد ازكـيد بدخـواه جان

---

(١) ويسمونه الاقتضاب، ويعتبره أصحاب البلاغة نوعا من التجنيس ويكون بأن يورد الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه ألفاظًا متقاربة الحروف فى النطق. وأمثلة الاشتقاق فى كتاب الله كثيرة منها قوله "يا أسفى على يوسف وقوله جل وعز" وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين". وفى الفارسية قول الشاعر "اگر بدره رساند همى ببدر منير مبادرات كن وخامش مناش جندينا".

ومعناه:

إذا أوصلتك البدرة إلى البدر المنير　　　فـبـادر إليـه ولا تـصمت هكذا

المرجع السابق صـ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

ومعناه:

ـ ونجـاه الله مـن هـؤلاء الضـالين   وخـلـص روحــه مــن كـيـد المنـتـقـمـين

والشـاهـد: فـى هـذا البيت بين كلمات "بى رهـان" و "رهـانيد" و "رهـاكرد"

المقلوبات(١):

ومنها:-

أ) مقلوب الكل(٢):

وذلك فى مثل قوله:

ـ بـگـــفـتـار وكردار يار تـونيسـت   بــــجــــزنـــيــكوئى راى وكـار تونيست

ومعناه:

ـ فانه لا نظير لك فى القـول والسلوك   إلا الـــرأى الصـائـب والعـمـل الطيب

والشـاهـد: فـى كلمتـى "يار" و "راى"

وكذلك قوله:

ـ دكـَـر روز بـامــرد خـواندار گفت   كـــه أى بــاخـــرد يــار وبــا راى جفت

ومعناه:

ـ وفى اليوم التالى قال الرجل للمشرف على الخان   أيـــهـا العـــــاقل صـــاحب الـــــرأى

والشـاهـد: فـى كلمتـى "يار" و "راى"

ب) مقلوب البعض(٣):

ومنه قوله

ـ سـتم ديـده يـعقوب كردش نكاه   درآن كَـــركَـــش جـــاره بـــى كـــناه

---

(١) هى جملة من الصناعات الغريبة البديعة التى يتخذونها فى النظم والنثر وتدل على قوة الشاعر وسلامة طبعه وخاطره.

(٢) ويكون بأن يجعل التقديم والتأخير فى جميع حروف الكلمة من أولها إلى آخرها مثل "سك" بمعنى "كلب" و"كس" بمعنى شخص" و "ريش" بمعى "ذقن" و "شير" بمعنى "آسد"

(٣) ويكون بان توجد فى النظم أو النثر كلمتان أو اكثر يكون فيهما تقديم وتاخير فى بعض الحروف بحيث لا يشمل ذلك الاختلاف، الحروف كلها مثل "رقيب" و "قريب" وشاعر و "شارع"، وفى الفارسية "رشك" بمعنى "حسد" و "شكر" بمعنى "سكر"

ومعناه:

- فنظر يعقوب المظلوم إلى ذلك الذئب المسكين البرئ

والشاهد: هو فى كلمتى "نكّاه" و "كَناه"

وكذلك قوله:

- جوشد خوردنى جمله شستند دست بنزديك يعقوب يوسف نشست

ومعناه:

- فلما انتهوا من الطعام غسلوا جميعا أيديهم وجلس يوسف بجوار يعقوب

والشاهد: هو فى لكمتى "شستند" و "نشست"

"رد العجز على الصدر"(١):

ومنه قوله على لسان يعقوب مخاطباً ومعاتبا ابناءه على تقصيرهم فى حق يوسف

- بدادى شما يوسفم بباد بدادى زبد مهرى خويش داد

ومعناه:

- لقد سلمتم يوسف للريح وافنيتموه من سوء محبتكم

والشاهد: فى "دادى" و "داد"

وكذلك قوله:

- بدر شادمان بد بمهر بسر بسر شادمان بد بمهر بدر

(١) يعتبر هذا الفن من العلوم المختارة والصناعات المحببة المقبولة فى باب البلاغة. والعجز هو آخر البيت، والصدر هو أوله، والبيت المردود عجزه على صدره يسميه الفرس المطابق أو المصدر. وتكون هذه الصنعة بأن يذكر الشاعر فى أول كلامه المنثور أو بيته المنظوم لفظة معينة، ثم يذكرها ثانية فى آخر العبارة أو البيت، ومنه قوله:

- طلب ملكهم فسلب ما طلب ونهب ما لهم فوهب ما نهب

وفى الفارسية: گوهر شناس داند قدر كوهر "ومعناه" الصائغ يعرف قدر الجواهر".

«المرجع السابق صـ١١٠، ١١١»

ومعناه:

- كـان الـوالد سـعيدا بالأبن　　كـمـا كـان الابن سـعـيـدا بالأب

وكذلك قوله على لسان العزيز موجها لومه إلى زليخا:

- زكـيـد شـما خـيـزد آفات ما　　عـظـيـم اسـت يـكـباره كـيـد شـما

ومعناه:

- مـن كـيدكن تـنـشأ آفـاتـنا　　إن كـيـدكـن عـظـيـم

المتضاد[1]:

ومنه قوله على لسان يوسف مخاطبا اخوته:

- بـدان آب جـندان بيابى ثواب　　كـه ازكـشـتن مـن نـبـيـنى عـذاب

الشاهد: فى كلمتى "ثواب" و "عذاب"

ومعناه:

أنك ستجد فى ذلك الماء الكثير من الثواب　　ولا تـجـد مـن قـتـله إلا العـذاب

وقوله:

بدر سـخت بيراست وجشمش تباه　　سـفـيـدى نـدارد هـمـى ازسـيـاه

ومعناه:

والـوالد هـرم ضـعـيـف　　لا يـمـيـز بـيـن البـيـاض والسـواد

والشاهد: فى كلمتى "سياه" و "سفيد"

وقوله:

تـن وجـان سبردم بحكم خداى　　بـسـخـت وبـسـت وبه بـند وكـشـاى

(١) يكون هذا الفن بان يذكر الكاتب او الشاعر فى نثره او نظمه الفاظًا يكون الواحد منها مضادًا للآخر مثل "حار" بارد "والنور والظلمة"، وفى الفارسية "سرد" و "كرم" و "شيرين" و "تلخ"
(المرجع السابق صـ١١٧، صـ١١٨)

ومعناه:

ـ سلمت الروح والجسد لأمر الله وحكمه في الضعف والشدة والقيد والحرية

الشاهد: في كلمات "سخت" و "سست" و "بند" و "كشاى"

وكذلك قوله:

ـ توكل كنم برخداى جهان كه أو بس مرا آشكار ونهان

ومعناه:

ـ وأتوكل على رب العالمين فهو وحده كافيني في السر والعلن

والشاهد: في كلمتي "آشكار" و نهان"

وقوله:

ـ بآرمكاه شد همه دام ودد بخفتند هر جانور نيك وبد

ومعناه:

ـ وهجعت كل الحيوانات المفترسة والأليفة ونام كل كائن حي طيب وشرير

والشاهد: في كلمات "دام" و "دد" و "نيك" و "بد"

الاعنات[1]:

ومنه قوله على لسان يعقوب بعد أن أحضر له أولاده قميصا ملطخا بالدم

ـ گرامیتر ازمال وجيز من است كه اين بوشش آن عزيز من است

ومعناه:

ـ فهو أعز من مالي وأشيائي إذ أنه لباس عزيزي

(١) ويسمونه أيضًا لزوم ما لا يلزم، ويكون بأن يتكلف الكاتب أو الشاعر شيئًا ليزين به كلامه ولا يكون هذا الشيء لازما ويستقيم الكلام ويتم بدونه، كأن يلتزم في آخر الأسجاع أو آخر الأبيات حرفًا قبل حرف الروى أو الرديف، بحيث إذا لم يلتزمه لم يكن هنالك ضرر من ذلك، لأن غرضه من التزامه لم يكن إلا تنميق الكلام وتزيينه. ومثاله تاء "كتاب" و "عتاب"، وقاف "نقم" و "رقم" فلو انه جعل كلمة "كتاب" مقفاة مع كلمة "صواب" لجاز ذلك ولجاز أن يجعل كلمة "رقم" مقفاة مع كلمة "علم"

«المرجع السابق صـ١١٩»

والشاهد: هو فى استخدامه الضمير "من" لتزيين الكلام وجعله أكثر قبولا

وكذلك قوله واصفا حال يعقوب وتقواه:

- زمانى نبد كونبد باخداى   اگريد نشسته اگر بد بياى

ومعناه:

- كان دوما مع الله   سواء كان واقفا أو جالسًا

والشاهد: فى هذا البيت هو استخدامه حرف الباء فى "باخداى" و "بباى"

وكذلك قوله واصفًا عمة يوسف:

كه اوبد همواره دين دارتر   بكار خدائى كرفتارتر

ومعناه:

- فقد كانت دائمًا اتقى النساء   وأحرصهم على عبادة الله

والشاهد: هنا هو فى استخدامه أداة التفصيل "تر" وكان من الممكن الاستغناء عنها.

تضمين المزدوج[1]:

ومنه قوله:

- چب راست بيش وبس وزير وزبر   زليخاى بت روى سر بسر

ومعناه:

- كانت زليخا الجملية الوجه تُرى فى كل جهة   يمينا ويسارا وأماما وخلفا وتحتا وفوقا

الشاهد: فى كلمتى "بيش وبس" و "زير" و"زبر"

---

(١) ويكون بأن يورد الشاعر أو الكاتب فى عباراته او أبياته لفظين او اكثر مزدوجين وذلك بمراعاته لحدود الأسجاع والقوافى. ومثاله من القرآن الكريم؛ "وجئتك من سبأ بنبأ يقين" وقول النبى: "المؤمنون هينون لينون"، وفى الفارسية" هزاران جنبر از عنبر بروى روز بر بندى. ومعناه "إنك تمقد على صفحة النهار (اى وجهك الصبيح) كثيرا من الفلالات العنبرية" (المرجع السابق صـ١٢١).

وكذلك قوله:

- نـه بـنشستى كش يريدن بود   نـه بـيوسـتـنى كـش بـريدن بـود

ومعناه:

- اسـتـقرارا لا طيـران بعده   والتـصـاقـا لا قـطـع بـعده

الاستعارة[1]،

ومن ذلك قوله على لسان الشاعر يشكو قسوة الدهر عليه واشتمال راسه شيبا:

- زمن دست كَيتى بدزديد مشك   بـجايـش بـراكـنده كـافـور خشك

- بـرآمد زنـاكاه بـاز سـفيد   كَسـستـند زاغـانم ازجـان امـيد

ومعناه:

- وقـد سرقت منى يد الدهر المسك   ونـثـرت مـكانـه كـافـورا يـابسا

- وفـجأة ظـهر الـعقاب الأبيض   وقـطـعـت غـربـانى الأمـل من الروح

وكذلك قوله على لسان والدة يوسف حينما احست بدنو اجلها:

- چـودست أجـل شـاخ من بشكند   بـن وبـيـخ جـانـم زتـن بـركـند

ومعناه:

- وعـنـدما تكسر يد الأجل غصنى   وتـقـتـلع جـذور روحـى مـن جسدى

وقوله على لسان زليخا من حديثها مع يوسف:

- جـو فـردا فـلك تاج برسر نهد   جـهـانـرا زنـور روشـنائي دهـد

ومعناه:

- وغداً حين يضع الفلك التاج على الرأس   ويـوزع الضـياء عـلى العـالم من جديد

(١) الاستعارة فى اللغة طلب العارية، ومعناها اصطلاحا ان يكون للفظ معنى حقيقى فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقى إلى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية.. ومثالها فى القرآن الكريم: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة" ومثال آخر "واشتعل الراس شيبا" وفى الفارسية "خاك عمل ازعنبر معزولى به" ومعناه: «تراب العمل خير من عنبر البطالة والعزل" (المرجع السابق صـ١٢٢، ١٢٣)

وكذلك قوله:

- زبانه زدش آتـشـى بـرجـكر كـه دودش بـر آمـد سـوى مغزسر

ومعناه:

- واندلعت ألسـنة النار فى كبده ونـفـذ دخـانـهـا إلى رأسـه

مراعاة النظير[1]:

وذلك فى قوله:

- بس ازخانان خاستش سيم وزر همان سـرخ يـاقوت ولعـل وكَهر
- هـمان دق مـصرى وديباى روم كـه هـم جـون بـهارى بدش نقش بوم
هـمان عنبر وعود وكافور ومشك فـروهـشـت بـركـونه خـاك خشك

ومعناه:

- ثم طلب من الخزينة الذهب والفضة وكـذا اليـاقوت الأحـمر والمـرجان والجـواهر
- روكذا الحرير المصرى والديباج الرومى لـذى أرضـيـته ونـقـشه مـثل الربـيـع
- وكذا العنبر والعود والكافور والمسك وضـعـها أمـامه على وجه التراب اليابس

وكذلك قوله

- أكـر بـاخـدايت بود راى وهوش زيـان ودل ودانـش وجـشم وكـوش

ومعناه:

- فإذا كان رأيك وعقلك مع الله وكذا اللسان والقلب والادراك والعين والاذن

وقوله على لسان أولاد يعقوب ووعدهم إياه بالاهتمام بيوسف:

- بـجـان ودل وديـده با بـويـم بـدان ره كـه اومـان نـمايد رويـم

---

(١) ما تدخله هذه الصنعة يسمونه أيضًا بالمتناسب.. وتكون بأن يجمع الشاعر فى بيت من أبياته جملة اشياء من جنس واحد كالشمس والقمر والسهم والقوس، والشفة والعين والوردة وزهرة الفل.
(حدائق السحر صـ١٣٠)

ومعناه:

ـ وسنكون معه بالنفس والقلب والعين ونسير فى الطريق الذى يشير علينا به

وكذلك قوله عن يوسف عليه السلام ومكانته عند ابيه:

ـ كرامى همى داشت اورا بدر بديبا وديـنار وزر وكهر

ومعناه:

ـ كان الوالد يعزه ويكرمه بالديباج والدينار والدر والجواهر

وقوله واصفا الحزام الذى تمنطق به يوسف عند عمته:

ـ كيانى يكى هفت جشمه كمر بياقوت وفيروزه ودرو زر

ومعناه:

ـ فهو حزام كيانى ذا عيون سبعة مرصع بالياقوت والفيروز والدر والذهب

وقوله على لسان اخوة يوسف محاولين اقناع يعقوب بالسماح ليوسف بالذهاب معهم إلى الصحراء:

ـ ببايد زمانى تفرج كند ببازى ولهو وطرب دم زند

ومعناه:

ـ يجب أن يتفرج فترة من الزمن ويقضى الوقت فى اللعب واللهو والطرب

(فقد جمع الشاعر بين اللهو واللعب والفرجة والتنزه والطرب)

* * * * * *

"تأكيد المدح بما يشبه الذم"[1]

ومنه قوله على لسان زليخا عن جمال يوسف عليه السلام:

ـ چوآتش رخش بر فروز همى وليكن هوش وصبر سوزد همى

---

(١) يكون ذلك بأن يؤكد الكاتب أو الشاعر مدحه لشئ بأن يذكر شيئًا آخر فى مناقبه ومحامده بطريقة تجعل السامع يظن أنه يريد أن يذمه وان يرجع عن مدحه "ومثاله" هم بحار العلم إلا انهم جبال الحلم "وفى الفارسية قولهم: " فلان مردى فصيح است جزآنكه خط نيكو دارد" ومعناه "فلان فصيح القول إلا أن خطه جميل"

(المرجع السابق صـ١٢٢)

ومعناه:

وإذا كانت نار وجهه تضئ دائمًا   فإنها تحرق العقل والقلب

وقوله:

ـ رخش ديدنش جانش براو مردمك   دهان بسته ليكن تمامى نمك

ومعناه:

ـ وجهها عين روحها عليه كانسان العين   وفمها فستقة ولكنها ملحة

ويصف جمال يوسف قائلاً:

ـ دو جشمش جو جشم كوزنان سياه   وليكن براز اشك بيكّاه وكّاه

ومعناه:

ـ وعيناه سوداوان مثل عين الوعل   ولكنهما مليئتان بالدموع بين لحظة وأخرى

وكذلك قوله فى وصف جمال يوسف:

ـ كه تابنده خورشيد برزمى   ولى صورتش صورت آدمى

ومعناه:

ـ فقد كان شمسا منيرة على الأرض   لكن وجهه وجه إنسان

"الالتفات"[1]

منه قوله على لسان يعقوب مخاطباً أولاده ليحافظوا على يوسف ومبديا خوفه عليه.. ويقول لهم:

ـ شما راز هوش غافل بود   ورانوش زهر هلاهل بود

ومعناه:

ـ ويغفل عقلكم عنه   ويكون شرابه السم الهالك

(١) تكون هذه الصنعة بأن تنتقل العبارة من المخاطبة إلى المغايبة أو من المغايبة إلى المخاطبة، وكلا النوعين موجود فى القرآن الكريم، فمثل الانتقال من المخاطبة إلى المغايبة قول تعالى: "حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم" ومن المغايبة إلى المخاطبة قوله تعالى "مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين" (المرجع السابق صـ١٣٤).

وقول يعقوب لأولاده:

ـ بـواجب نـداريـد را نـكاه شود   روز روشــــن بــــراوير ســــيـــاه

ومعناه:

ـ ولا تراعوا الواجب فى الحفاظ عليه   ويـصبح النـهار المضئ ليلاً مظلمًا عليه

وكذلك قوله على لسان يعقوب معاتبا خاله لا بان حينما زوجه بليا بدلا من راحيل:-

ـ كَــشادم زيـان كَل زتو خواستم   بـدان كـَل مــن ازرنــج دل كاســتم

ـ نــدادى كـلم كـآب دادى بـروز   كـه ديـدنــش بـودى مـرا دلـفــروز

ثم ينتقل من المغايبة إلى المخاطبة قائلا لخاله:

ـ كـه ليـبـانـيد هـيج دردفـترم   جــه ديـدى كــه كردى ورا هـمـسـرم

والمعنى:

ـ فـحدثتك وطـلبت مـنك الوردة   وأردت أن أقـلـل مــن هـمومـى بـها

ولـم تـعطنى وردتـى اليـانعة نهارًا   والتـى كـانت رؤيـتـها مـبهجة لقـلبى

فـلم تـكن لـيا فى خاطرى قط   فـلماذا ارتـأيت حـتـى جـعلتها زوجتى

وكذلك قوله على لسان يوسف راجيا أخاه انقاذه من العطش:

ـ بـجـواى بـرادر تـو درمان مـن   كــه هـــر دم بــرآيد زتــن جـان مـن

ومعناه:

ـ فـأبحث أيها الأخ عن عـلاج لى   فإن روحى تخرج من الجسد مع كل نـفس

"التشبيهات"[1]:

القسم الأول: التشبيه المطلق:[2]

ومنه قوله فى وصف زليخا:

ـ همه كَيسويشى بكَوهر بيافت كه همچون   شــب تـيـره ســتاره زرويـش بـتـافـت

---

(١) تكون هذه الصنعة بأن يشبه الكاتب او الشاعر شيئا بشئ آخر فى صفة من صفاته. وأجمل التشبيهات وأكثرها قبولا لدى الطباع هى التى إذا انعكست وشبه فيها المشبه به بالمشبه فإن الكلام يستقيم مع صحة المعنى وسلامته مثل تشبيه الطرة بالليل، فإنهم إذا شبهوا الليل بالطرة كان التشبيه كذلك مقبولا وجميلا.

(٢) ويكون بتشبيه شئ بشئ آخر بواسطة أداة التشبيه وبدون شرط أو عكس أو تفضيل (المرجع السابق صـ ١٢٨، ١٢٩)

- چو ابريشمى تيره وتافته   جو مشكين كمند كَهر بافته

ومعناه:

- ورصِّعَتْ جدائلها بالجواهر   فاصبحت وكأنها ليل تسطع فيه النجوم

- مثل الحرير الأسود المجدول   وكأنه الوهق المسكى المجدول بالجواهر

وقوله فى وصف يداها:

- دودستش زبس ياره انكَشترى   در خشان جو خورشيد وجون مشترى

ومعناه:

- وقد تألقت يداها مثل الشمس وكوكب المشترى   من كثرة ما بهما من الجواهر والخواتم

وقوله فى وصف زليخا:

- دو نركس ولى رنك أو همچو قير   زالماس بركَرد اورسته تير

- دورخ همچو كَلزار حزم بهشت   درخشنده چون ماه ارديبهشت

- جو خورشيد تابان ز برج حمل   بسنديده چون عقل وهوش وامل

- جوكَل بر نهاده بر اطراف ماه   دل جادوى بابلى زآن تباه

- بزير لبش در ستاره نهان   جو خورشيد بد ستاره عيان

ومعناه:

- ونرجستان ولكن لونهما مثل القار   وقد نما حولهما سهم من الماس

- خداها مثل روضة ورد الجنة الناضرة   متألقان مثل شهر ارد يبهشت

- وكأنها ورد قد وضع حول القمر   وقد هلك منها قلب الساحر البابلى

- وتحت شفتاها نجمة خفية   كأنها الشمس فوق النجم عيانا

بَ) التشبيه المشروط[1]:

ومنه قوله فى وصف زليخا:

- زنخ جون يكى سيب كَرد از بلور   اكَر سيب رويد زتابنده حور

---

(١) ويكون بتشبيه شئ بشئ آخر بشرط من الشروط، فيقولون لو كان هذا لكان ذاك وقولهم: "هو كالبدر فى ارتفاع قدره وكالبحر فى اتساع صدره لو أن البحر لا يتغير ماؤه والبدر لا ينتقص ضياؤه". وفى الفارسية قولهم: "فلان جون شيراست اكَر شير عقل دارد، وجون ابراست اكَرابر كَوهر بارد". ومعناه: "فلان كالأسد لو كان للأسد عقل، وكالسحاب لو كان للسحاب من الجواهر وبل"

(المرجع السابق صـ١٤٢)

ومعناه:

- وذقنها تفاحة مستديرة من البلور   إذا كان التفاح ينبت من الحور الوضاء

وكذلك قوله فى وصف زليخا:

- دوبستان أو جون سرو سيمين انار   اگرسرو سيمين آورد نار بار

ومعناه:

- ونهداها مثل رمانتين فضيتين   إذا كان السرو الفضى يثمر الرمان

ج) تشبية الكناية[1]:

ينتشر هذا النوع من التشبيه فى ثنايا القصة انتشار الأسماك فى مياه المحيطات والأنهار، ولذلك فالأمثلة عليه وفيرة وفرة مطلقة نختار منها قوله على لسان راحيل وهى تحتضر:

- بناليد وكفت آه در دو دريغ   كه خواهد شدن ماه عمرم بميغ

ومعناه:

- فناحت وقالت وا سفاه واحسرتاه   إن قمر عمرى سيختفى بين السحاب

وقوله واصفا احتضار راحيل:

- كه خورشيد عمرش بچند آن شكوه   همانكَه فرورفت خواهد بكوه

ومعناه:

- إن شمس عمرها بكل ذلك الجلال   سوف تغرب خلف الجبال

وقوله واصفا حزن يوسف بعد لقاء عاصف مع زليخا:

- دوجشمش يكى ابرشد سيل بار   ناكَه درياى خون شد ازاو در كنار

---

(١) وتكون هذه الصنعة بان يكنى عن "المشبه" بلفظ "المشبه به" بغير أداة من ادوات التشبيه، ومثاله ما قالوه فى وصف قصيدة من القصائد : عرضت على تلك الغادة الحسناء والخريدة العذراء، ومثاله فى الفارسية قولهم: "فلان در رزمكَاه آمد، برشير شرزه نشسته، وكَرزه مارى دردست كَرفته" ومعناه: جاء فلان إلى الموقعة وقد ركب أسدا هصورا وأمسك فى يده ثعبانا فتاكا".
(المراجع السابق صـ١٤٢، ١٤٣)

ومعناه:

- وأمطر سحاب عينيه حتى انحدر منهما نهر ملئ بالدم

وقوله يصف حالة يوسف وقد عذبه اخوته وأهانوه فى الصحراء:

- همى سوخت بروى دل سنگسخت كه بس ممتحن بود وبس تيره بخت
- كه داند كه يوسف زغم چون گريست ستاره زدرد دلش خون گريست

ومعناه:

- وكان يحترق عليه قلب الحجر الصلد فقد كان شديد المحنة وسئ الحظ
- من كان يعرف كيف بكى يوسف من الغم لقد ذرف النجم من ألم قلبه دما

وقوله يصف بداية يوم جديد فى حياة يوسف:

- دگر روز چون گنبد لا جورد براكند برخاك ياقوت زرد

ومعناه:

- وفى اليوم التالى حينما نثرت القبة اللازوردية الياقوت الأصفر على الأرض

وكذلك قوله يصف هبوط الليل على زليخا وهى حزينة بعد أن تركها يوسف:

- هميگفت ازاين گونه تا روى خاك شد ازفرش زر بافته جمله باك
- فلك شمع تابان بدريا فكند جهانرا بسيج زر آفشان بكند
- ببوشيد گيتى برند سياه بهجران خورشيد گيتى بناه

ومعناه:

- وكانت تقول كلاما من هذا القبيل حتى تعرى وجه الأرض كله من الفراش الذهبى
- والقى الفلك بالشمعة المضيئة فى البحر وجرد الدنيا من متاعها الناشر الذهبى
- فاكتست الدنيا بالحرير الأسود لهجران الشمس ملجأ العالم

ومن قوله فى وصف شَعْرِ زليخا:

- فروهشته بر سرو سيمين طراز برنگ شب تيره شد تيره ياز

ومعناه:

ـ وقـد تدلى على السروة الفضية   شعرها الذى فى لون الليل المظلم وطوله

د) "تشبيه الاضمار"[1]

ومنه قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف فى محاولة لاستمالته إليها:

ـ شـدى سبز ونيكو ازخود بر من   دريـغ روانـسرا وجـانرا بـكار آمـدى

ـ هـميدارى ازخود بـر من دريـغ   فـرورفـته خـواهـم جـومـه زيـر ميغ

ومعناه:

ـ واخـضـر عـودك وأثـمـر   وصـرت نـافـعا لـنـفـسك وروحـك

ـ وتـضـن بـنـفـسك علىّ وا أسفًا   سأخـتـفى مـثـل القمر تحت السحاب

فـظاهر العـبارة على لسان زليخا هـو أنها ستختفى من حياة يوسف نهائيًا، لكن الشاعر يقصد أنها مثل القمر فى جماله وأنها ستعاود المحاولة مع يوسف بوصاله

هـ) تشبيه التفضيل[1]:

ومن ذلك قوله يصف أنف زليخا

ـ يـكى بـينى اوجـو سـيـمـين   ولـى بـشـت او هـمـچـو تـيـغ درم

ومعناه:

ـ وأنـفـها مـثـل القلم الفـضـى   ولـكـن ظـهره مـثل السـيـف المسـلط

---

(١) تكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئًا بشىء آخر بحيث يبدو من ظاهر العبارة أن المقصود شىء آخر وليس هذا التشبيه، بينما الذى يقصده الشاعر فى ضميره هو نفس هذا التشبيه. ومنه قول الشاعر:

ـ إن كـان وجهك شمـعا   فـمـا لجـسـمـى يذوب

(٢) وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئًا بشىء آخر، ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به، ومثاله فى قول الفرخى

ـ بقد كوئى سروست درميان قبا   بروى كوئى ما هست بر نهاده كلاه

ومعناه: .وكأنما قـد المحـبـوب   شـجرة سـرو التـفـت فى قباء

(المرجع السابق) صـ١٤٧، ١٤٨)

ويصف فم زليخا وما به من جمال فيقول:

ـ دهـان أزول عـاشـقـان تنگتر   لب سـرخ يـاقـوت بـارنـگـتـر

ومعناه:

ـ وفمها أضيق من قلب العاشقين   وشفتها أكثر احمرارًا من الياقوت الأحمر

ومنه قوله فى وصف جمال يوسف:

ـ دو رخسار أو همجون بهاربهشت   نـگـارنـده هـم جـون نـگار بـهـشـت

ـ چو شمع سبهرى وليكن نه شمع   هـمـه حسن عـالم أو گـشـتـه شـمـع

ومعناه:

ـ وخـداه مـثـل ربـيـع الجـنـة   مـلـونـيـن مـثـل لـون الجـنـة

ـ مثل شمع الفلك ولكنهما ليسا بشمع   فـكـل حـسـن الـعـالم مـجـموع فيـهما

فقـد فـضّل الشـاعر جمال يوسف عـلى شـمع الجـنة فـبعد أن شبهه بهذا الشـمـع جـعله يفوقه جمـالا بـعد أن جعل حسن العالم مـجموعـا فى هـذين الخدين.

وكذلك قوله فى وصف جمال يوسف حين أطل على أهل مصر:

ـ هـمـه مـردم مصر وآن بوم وبـر   يـكـى نـور ديـدند چـونـور خـور

ـ فـروزنـده از جـبـهش نور باك   هـمـه نـور خـورشـيد راگـرده چـاك

ومعناه:

ـ وكل أهل مصر وما حولها رأوا نورا   مـثـل نـور الشـمـس

ـ جـبـيـنـه مـضئ بـنـور خالص   غـطـى وحـجـب نـور الشـمـس

وفى بيت آخر يقول نفس المعنى:

ـ زيـس حسـن بى غايت نـور تاب   خـجـل بـود ازاو قـرصـه آفـتـاب

ومعناه:

- ومن جماله الأخاذ وشدة ضيائه كـان قـرص الـشـمـس خـجـلا مـنـه

"سياقة الأعداد"(١)

ومنه قوله عن زليخا واهتمامها برعاية يوسف:

- خودش بود مادر خودش بد بدر خـودش مـهـريـان دايـه بـر هـنـر
- خـودش بود خادم برستوار وار خـودش كـار سـاز وخـودش كَـوشـدار

والمعنى:

- كـانـت أمـه وأبـوه ومـربـيـتـه العـامـرة بالفـضـائـل
- وكانت هى بنفسها خادمه المطيع وهـى وكـيـلـتـه وجـاريـتـه

وكذلك قوله يصف ارتفاع قدر يوسف عند العزيز وسيطرته على كل شىء فى القصر:

- هـرآنجه آمدى سوى كَنج شدى سـراسـر بـفـرمـان يـوسـف بدى
- سـراى ودر وبـنـد ومهـر ونكَين بـدر انـدر كـف يـوسـف بـاك ديـن

ومعناه:

- وكل ما كان يدخل إلى الخزانه أو يخرج منها كـان كـلـه بـأمـر يـوسـف
- فالدار والباب والسجن وفص الخاتم كـلها فى كـف يـوسـف الطـاهـر الدين

"تنسيق الصفات"(١)

ومنه قوله فى وصف الذات الالهية:

- يكـى فـرد وجبار وحى وصمد نـه شـبه ونـه هـمـتا نـه جـفـت وولد

---

(١) وتكون هذه الصنعة بأن يسوق الكاتب أو الشاعر فى نثره أو نظمه، عددا من الأسماء المفردة على نسق واحد، بحيث يكون كل واحد من هذه الأسماء له معنى قائم بذاته، يكون كذلك اسما لشىء آخر.

(١) وتكون هذه الصنعة بان يذكر الكاتب أو الشاعر شيئًا بجملة أسماء او صفات متوالية ومثاله من القرآن "هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن"
(المرجع السابق صـ١٤٩، صـ١٥٠)

ومعناه:

- هو الواحد الفرد الجبار الحى الصمد لا شبيه ولا نظير ولا زوج ولا ولد له

ومنه كذلك قوله على لسان .. ـف باكيا عند قبر أمه وشاكيا لها سوء حاله:

- غريبم اسيرم نزند وذليل ندارم سوى نيك بختى دليل

ومعناه:

- اننى غريب وأسير وحزين وذليل وليس عندى دليل إلى الحظ الطيب

وقوله واصفا حال زليخا بعد أن وهن عظمها واشتعل رأسها شيبا:

- ضعيف ونزار ست وكور است وبير نژند وحزين وذليل واسير

ومعناه:

- ضعيفة هزيلة عمياء شمطاء بائسة حزينة ذليلة أسيرة

وقوله فى موضع آخر عن هرم زليخا وشيبتها:

- زليخا بدانخانه اندركه بود ضعيف ودوتا بير وكور وكبود

ومعناه:

- وكانت زليخا فى ذلك المنزل ضعيفة وعمياء وهرمة ومحدود بة الظهر وزرقاء

وكذلك وصفه لحال يعقوب بعد فراق يوسف عنه:

- بدر خسته بى كناه غريب وذليل ونزند وتباه

ومعناه:

- أب متعب بلا ذنب وغريب وذليل وحزين وبائس

ومنه قوله على لسان يوسف عليه السلام وهو يعدد صفات ربه وبارئه:

- كريم است وجان آفرين وحكيم سميع وبصير وحليم وعليم

ومعناه:

- إنه كريم وخالق الروح ورحيم وسميع وبصير وعليم وحليم

ومنه وصفة لجمال زليخا وتعدد علامات الجمال فى شكلها:

- نـگـارى سخنگوى وسرو روان بـــــهـار دل وشـــمـع جـــان وروان

- بلاى خـرد بـود وآسيب جان ربـــانـــيـــده دل هـــلاك روان

والمعنى:

- صورة جميلة ناطقة وسروة ممشوقة ربـيـع القـلب وشمع الروح والنفس

- إنـها بـلاء العقل وشقاء الروح ســالـبة للقـلب وهــلاك للـنـفس

«اعتراض الكلام قبل التمام»[1].

ومنه قوله على لسان يوسف مخاطبًا زليخًا:

- اگـر بـاتو - اى بـانوى كامگار هـمـى گـفـتـم انـدر نـهان آشـكار

ومعناه:

- إذا طال حديثى إليك - أيتها السيدة الفاضلة ســـــرا وعـلانـيـة

الشاهد: فى البيت هو عبارة "أيتها السيدة الفاضلة" وهو حشو متوسط يستوى ذكره مع عدم ذكره.

ومنه كذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف:

- دراين نيست اى جان ودل - آزمودن كه سوى تو دل شد مرا رهنمون

ومعناه:

- فليس فى هذا تجربة - يا روحى وقلبى - فإن قلبى هو الذى قادنى إليك

والشاهد: هو عبارة "أيها الروح والقلب" وهو حشو متوسط مثل سابقه.

---

(١) يسميه أرباب الصناعة بالحشو ويكون ذلك بأن يبدأ الشاعر معنى من معانيه فى بيت من أبياته ثم يأتى بكلام آخر قبل أن يتم هذا المعنى، ثم يعود ثانية فيتم معناه الأول. وهو على ثلاثة أنواع "قبيح ومتوسط ومليح" (المرجع السابق صـ١٥١)

ومنه كذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف:

- دگر آنكه گفتى تو - اى مهر وماه - كـه بـانـوى مـصـر وهـمتاى شاه

ومعناه:

- ثم ان ما قلته أنت - أيها الشمس والقمر إنى سـيدة مـصـر وقـريـنة المـلك

والشاهد هنا: عبارة "أيها الشمس والقمر".

وقوله على لسان يوسف عن مناقب العزيز:

- بخـاصة عـزيز آن سبهر هنر كـه هـرگز نـدار نـدمـرا جـز بسر

ومعناه:

- وبخاصة العزيز سماء الفضل ذاك الـذى لا يـرانى غـيـر ولـده

والشاهد: فى هذا البيت هو عبارة: "سماء الفضل ذاك" وهى حشو متوسط[1]

المبالغة:[2]

ينتشر هذا الفن فى ثنايا المنظومة انتشارًا شديدًا، حتى لكأن الشاعر يعتمد عليه اعتمادًا أساسيًا فى وصف جمال يوسف وزليخا. ولهذا فالأمثلة عليه كثيرة ومتنوعة. نختار منها قوله فى وصف جمال زليخا وشدة حسنها:

(١) هو تساوى ذكر اللفظة الزائدة وعدم ذكرها، فلا تكون مستقبحة غاية القبح ولا مستحسنة غاية الاستحسان، ومثاله قول الشاعر:

- وأنت، لعمر المجد، أشرف من حوى على رغم آناف العدى، قصب المجد

وفى الفارسية قول الشاعر:

- زهجر روى تو، اى دل رباى سيمين تن دلـم نـديم ندم شد تـنم عديل عنا

ومعناه:

. لهجرك، يا سالب القلوب، يا فضى الجسد أصبح قلبى نديما للندم وجسدى قرينا للعناء

(المرجع السابق، صـ ١٥٢)

(٢) هو أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته ولا تقتصر فى العبارة على أدنى منازله وأقرب مراتبه. ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: "يوم تورنها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها" "سورة الحج، آية٢ "ولو قال كل امرأة لكان بيانا حسنا وإنما خص المرضعة للمبالغة لأن المرضعة أشفق على ولدها وتشتمل المبالغة على ثلاثة أنواع هى: المبالغة - الاغراق - الغلو.

(ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى: كتاب الصناعتين، ص٣٧٨، مصر ١٩٧١م)

- توكَفتى يكى حور بد بى كَمان   برون جسته ازجنت غيب دان
- مراد روان بود وآرام دل   هواى تن وديده وكام دل .
- همه نعمت وكش ناز بود   ز دل دين زتن هوش مير بود
- خدائى يكى نور بد آخته   بدين صورت وسيرتش ساخته

والمعنى:

- تظن أنها حورية من غير شك   قد فرت من عالم الغيب
- كانت مراد الروح وراحة القلب   وهوى الجسد والعين وسكينة القلب
- كانت كلها نعمة وحسن ودلال   تسلب الدين من القلب والعقل من الجسد
- وكأن الله قد أخذ شعاعا من النور   وجعله على تلك الصورة والسيرة

ومنه أيضًا قوله يصف جمال يوسف حين نزل يستحم فى نهر النيل:

- بماليد اندام وبكَذار موى   شد آنرود سرتا بسر مشك موى
- همه رود مشكين شد زبوى أو   جهان باك روشن شد از روى أو
- جوتن شسته بد يوسف باك دين   بدوحله آورد روح الأمين
- زنور خداوند بيراسته   بدان حله شد يوسف آراسته
- جو بوشيد أو آن بهشتى ثياب   بهشت برين شد رخش بى حجاب
- بيفزود برنور رخسار أو   همى خيره شد زديدار أو

والمعنى:

- ودلَّكَ جسده ومشَّط شعره   فصار النهر كله مسكى الرائحة
- وصار النهر كله مسكيا من رائحته   كما صارت الدنيا مضيئة من وجهه
- وحين انتهى يوسف الطاهر الدين من غسل   جسده أحضر الأمين حلة من الجنة

- وصار يوسف بتلك الحلة مزينا من نور الله الدائم
- وحين لبس كسوة الجنة صارت الجنة بغير حجاب أمام وجهه
- فزاد نور وجهه وصارت الشمس فى حيرة من رؤيته

وكذلك فى قوله فى جمال زليخا:

- زفرق سرش تا بانكشت باى چو نورى بد ازنورهاى خداى

ومعناه:

- وهى من فرق رأسها حتى أخمص قدمها كأنها نور من أنوار الله

وقوله كذلك واصفًا جمال يوسف حين خلع عنه اخوته قميصه ليلقوه فى الجب:

- سر انجام بيرهنش بر كشيد شد اند ام يوسف سرا اسر بديد
- شنيدم كه جون كند بيرهنش بديد آمد آن بيكر روشنش
- يكى نور اندآم آن دلكشاى بيوست تا ساق عرش خداى
- فزون شد ازنور هفت آسمان در خيره شد هم زمين وزمان

ومعناه:

- وفى النهاية خلعوا قميصه وظهر جسد يوسف كاملاً
- وسمعت أنه حين خلع قميصه ظهر ذلك الجسد المنير
- فانبثق شعاع من ذلك الجسد الحبيب وامتد حتى بلغ عرش الله
- فعم الضياء السموات السبع من نوره وغشيت الحيرة الأرض والأفلاك

ويكرر الشاعر نفس المعنى فى موضع آخر واصفا جمال يوسف حين أطل على زليخا فى قصرها، فيقول:

- ازاو نور بگرفت كاخ وسراى فروزنده شد تابعرش خداى

ومعناه:

- وفاض منه النور على البيت والقصر فأضاء حتى بلغ عرش الله

****

الاغراق(١):

ومنه صف الشاعر جمال يوسف وكيف شبع منه أهل مصر حين طلع عليهم صباح أحد أيام المجاعة. ويصف ذلك قائلاً:

- بس از سجده تازه وخنده باك چنين كفت كاى مردم مصر باك
- بيائيد هر بامداد انجمن زمانى ببينيد ديدار من
- كه سيرى دهد تان زرحمت خداى شما رانمايد زرحمت خداى
- بگفت اين وانبوه خرم شدند بيكباره بى شغل وبى غم شدند
- ازاو باز گشتند خشنود وشاد شده فكرت آب ونانش زياد
- زدندى يكى تخت زرين بدان نشستى برآن يوسف كامياب
- يكى برقع از روى برد اشتى جهان را بديدار بنگاشتى
- جنان سير گشتند ازآن آب وناى كه دلشان نه اين خواستى ونه آن

والمعنى

- وبعد السجود صار نشيطًا سعيدا ومسرورًا وقال يا أهل مصر الطيبين
- تعالوا معا كل صباح وانظروا لحظة إلى وجهى
- فستشبعون من رحمة الله تعالى ويبعد عنكم المشقة والتعب
- قال هذا وسعد الجميع وصاروا فجأة بلا غم ولا قلق
- وبسببه عادوا جميعًا سعداء فرحين وقد زاد خبزهم وماؤهم
- ورفع برقعا عن وجهه لترى الدنيا طلعته
- وهكذا شبعوا عن الخبز والماء فلم تطلب قلوبهم لا هذا ولا ذاك

(١) تكون هذه الصنعة بالمبالغة فى صفة شئ من الأشياء بحيث تصل بها إلى أقصى الغاية، ومثالها ما قالته سكينة بنت الحسين بن على حينما زينت بنتها بثوب جديد "قائلة" والله ما البسته إياها إلا لتفضحه". ومثالها فى الفارسية قولهم: "اى سگ ودريغ اين نام برتو "ومعناه" أيها الكلب ويا ضيعة هذا الاسم عليك". ومنها كذلك قوله جل وعلا "وبلغت القلوب الحناجر" الأحزاب آية "١٠"

(رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر، صـ١٧٥)

"الغلو"[1]:

ومنه قوله فى وصفه قصر يوسف:

- آزآن بردها جون گذشتی برون برندت بفردوسی یزدان درون

ومعناه:

- حينما تخرج من تلك الستر يأخذونك إلى داخل فردوس الله

وقوله عن القبة التى داخل قصر يوسف:

- يكى قبه اندر ميان سراى بهشتى بمعنى بهشت خداى

ومعناه:

- وهناك قبة وسط القصر جنة بكل خصائص جنة الله

ومنه كذلك قوله يصف جمال زليخا حين رأت نفسها فى قصر المرايا:

- بتن خويشتن ديدش ز سر تا بباى بدانسان كه بد آفريد ش خداى

- وگر برگذا شتى بمرده جنان شدى زنده ازبوى وى در زمان

- وگر ديدى اورا فرشته بخواب ببيوند او زود كردى شتاب

ومعناه:

- ورأت ذاتها من رأسها إلى قدمها على ذلك النحو الذى خلقه الله

- بحيث لو مرت على ميت لصارحيا من رائحتها فى الحال

- ولو رآها ملك فى المنام لسارع معجلاً إلى وصلها

وكذلك قوله على لسان زليخا مخاطبة نساء مصر عن إعجباها بجمال يوسف وقولها عنه:

- اگربوى وى مرد گان بشنوند هم اندر زمان باك زنده شوند

---

(١) هو وصف الشئ بما يستحيل وقوعه عقلا وعادة فإذا افضى إلى الكفر كان قبيحًا مردودًا.

(عبد القادر حسن: فن البديع صد٨٠. طبع فى مصر وغير معروف سنة الطبع)

ومعناه:

- إذا شـــم عـبـــيـــره المــوتــى فـــانـــهـم يـحـــيـــون فى الحـــال

"الجمع"(1):

ومن ذلك قوله يصف زليخا وما به من جمال:

- دهـان ازدل عـاشـقـان تـنـكـتـر لـب از ســـرخ يـاقـسوت رنـكـتـر

ومعناه:

- وفمها أضيق من قلب العاشقين وشفتاها أكثر احمرارا من الياقوت الأحمر

والشاهد: هنا أن الشاعر قد جمع بين فم المحبوبة "زليخا" وقلوب العاشقين فى صفة واحدة وهى الضيق.

ومنه قوله فى وصف جمال زليخا:

- ســـرو بـــاى او جـــون بت آذرى جـــوار زنـك مـــانـى وجـــان بـسرى

والمعنى:

- رأسها وقدمها مثل الصنم الآذرى مـــثل ارژنـــك(2) مـــانـى وروح الحـور

والشاهد: فى هذا البيت جمع الشاعر بين رأس الحبيبة فى الصفة وروح الحوار

وكتاب ارزنك مانى فى صفة واحدة..

"المردَف"(3)

يستخدم الشاعر هذا الفن فى ثنايا أبيات المنظومة بصورة تساوى استخدامه لفن السجع المتوازى، ورغم صعوبة بناء هذا الفن، إلا أن الشاعر يعتمد عليه فى تزيين وتنميق أبيات المنظومة.

---

(1) تكون هذه الصنعة بأن يجمع الشاعر بين شيئين او اكثر فى صفة واحدة وهذه الصفة تعرف عادة باسم "الجامع" (حدائق السحر صـ178)

(2) أرژنك مانى: اسم كتاب مانى الملون والمصور. ويطلق على كل كتاب مزدان بالنقوش الجميلة، ويقال بل تطلق على مانى نفسه: المعجم الذهبى: محمد التونجى.

(3) الرديف عبارة عن كلمة أو أكثر تأتى بعد حروف الروى فى الشعر الفارسى، فيسميه أهل الصنعة بالشعر المردف. وأكثر أشعار العجم مردفة. وثبات طبع الشاعر وقدرته على بسط الكلام يثبتان بقدرته على عقد الرديف المستحسن. ويسمى "بعض أهل الصنعة الرديف بالحاجب" ويطلقون على الشعر المردف كلمة "المحجوب" وقال البعض إنما المقصود بكلمة "الحاجب" وهو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت، بينما المقصود بالرديف الكلمة التى تأتى بعد القافية.

(المرجع السابق صـ184)

ومن ذلك قوله على لسان يوسف يشكو لأمه ظلم اخوته له:

- كريزنده ودزد خواندند باز   بتيز آتشم در نشاندند باز

ومعناه:

- فدعونى ثانية ابقًا ولصًا   وأجلسونى على النار المحرقة مرة ثانية

والشاهد: هنا فى كلمة "باز" حيث أوردها الشاعر بعد حروف الروى فى شطرى البيت وكذلك قوله:

- كه نه بودش ورا تارنه   همه نور بيوسته ونار نه

ومعناه:

- لم يكن فيها لحمة ولا خيط   فقط كانت قطعة واحدة من النور لا من النار.

والشاهد: هنا هو فى كلمتى "نه" و "نه" حيث جاء بهما بعد حرف الروى

هذا.. وإذا أخذنا بالرأى الثانى القائل بأن "الرديف" هو "الحاجب" وأن الحاجب هو اللفظة التى يذكرونها قبل القافية فى كل بيت وأن المقصود بالرديف الكلمة التى ترد بعد القافية، فإننا نجد امثلة كثيرة لهذا الفن البلاغى فى أبيات المنظومة . ومن ذلك قوله:

- نه بنشستنى كش بريدن بود   نه بيوستنى كش بريدن بود

ومعناه:

- استقرار لا طيران بعده   والتصاقا لا قطع بعده

والشاهد: هنا هو فى كلمتى "بريدن" بمعنى "طيران" و "بريدن" بمعنى قطع..

وكذلك قوله:

- جو عبرى يكى بنده پر بها   نهادى همى داردش بر بها

والمعنى:

- كل شخص يقدر ثمنا   لعبد عبرى غالى القيمة

والشاهد: فى البيت أن كلمة "بر" فى البيت هى الحاجب حيث ذكرت فى مصراعى البيت. وكلمى "بها" هى القافية. وبذلك يعد هذا البيت محجوبًا.

وكذلك قوله على لسان يوسف مخاطبًا زليخًا:

ـ نه توآن زليخاى كردن كشى   كه برماه وخورشيد كردن كشى

ومعناه:

ـ السـت أنـت زليخا الطاغية   التى كانت تتعالى على الشمس والقمر؟

ومن أمثلة الشعر المردف قوله:

ـ چو فرخنده يوسف بميدان رسيد   فروغ ازرخش سوى كيوان رسيد

ومعناه:

ـ وحين وصل يوسف السعيد إلى الميدان   انبثق شعاع النور من وجهه إلى السماء

وكذلك قوله واصفا جمال يوسف:

ـ دو رخسار أو چون بهار بهشت   نگار نده همچون نگار بهشت

والمعنى:

ـ وخداه مثل ربيع الجنة   ملونين ومزدانين مثل لون الجنة وزينتها

وكذلك قوله:

ـ ازآن رنج وسختى ستاده همه   بيارب زبانها كشاده همه

ومعناه:

ـ وهم جميعا مشدوهين من ذلك الألم والشدة   وداعين بالستنهم "يا رب"

وقوله:

ـ برايشان چه رنج وعذاب آورم   كه طوفان ز آتش درآب آورم

ومعناه:

ـ فكم سآتيهم من العذاب والألم   سآتيهم فى الماء بطوفان من النار

"الكلام الجامع"(١):

ومن ذلك قوله بعد وفاة ملك مصر واسناد الملك إلى يوسف:

ـ چنين فرجام كارجهان   نباشد خرد مند بار جهان

---

(١) تكون هذه الصنعة بأن يحاول الشاعر الا يترك أبياته خلوا من الحكمة والموعظة وشكاية الزمان.
(المرجع السابق: صـ١٨٦)

جهان گريكى بكردون برد   هم آخر بخاكش فرو آورد

ومعناه:

- وهكذا نهاية أمر الدنيا   فالعاقل لا يصاحب الدنيا
- إذا رفعت الدنيا احدًا إلى السماء   فإنها تنزله آخر الأمر إلى التراب

وكذلك قوله:

- ازآدم درون تاكه نفخ صور   چنين بود خواهد زحكم غفور
- نزايد كس إلا كه مرد   بخاك سيه در سپرده شود
- چنين كرد يزدان مادر جهان   چنين است حكم خدائى روان
- هرآنكس كه بيدا شود زآدمى   نماند فراوان بروى زمى
- اگر باد شاه همه كشور است   دگر بساك شايسته بيغمبر است
- سرانجا مشان رفت بايد بكور   كه بگريزد ازكور نزديك دور
- اگر تخت سورت ببايد همى   غم ورنج كورت ببايد همى

المعنى:

- هكذا يكون من حكم الغفور   من آدم حتى وقت النفخ فى الصور
- لا يولد شخص الا ويموت   ويودع فى التراب الأسود
- هكذا فعل ربنا فى الحياة الدنيا   وهكذا حكم خالق الروح
- فكل من يولد من بنى آدم   لا يبقى كثيرًا فى الدنيا
- ولو كان ملكًا لكل العالم   وحتى لو كان نبيًا طاهرًا مفضلاً
- عاقبتهم أن يذهبوا إلى القبر   ليهرب من عند القبر القريب والبعيد
- فلو أن عرشك سعيد وفرح   فإن قبرك حزن وألم

"الابداع":(١)

ومن ذلك حديث الشاعر عن نفسه بعد أن وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا يقول فى مقدمة القصة:

---

(١) قال أرباب البيان أن هذه الصنعة عبارة عن نظم المعانى البديعة فى الفاظ حسنة بعيدة عن التكلف. (المرجع : صـ١٨٨)

- زمن دست گَيتى بدزديد مشك بجايش براكَنده كافور خشك
- برآمد زنـاكّاه باز سفيد گسستند زاغانم ازجان اميد
- زمانى همى گَشت ازفراز باغ سر انجام بنشست برجاى زاغ
- نه بنشستنى كش بريدن بود نه بيوستنى كش بريدن بود[1]

والمعنى:

- قد سرقت منى يد الدهر المسك ونشرت مكانه كافورا يابسا
- وفجأة ظهر العقاب الأبيض وقطعت غربانى الأمل من الروح
- وأخذ يحوم فترة حول الحديقة وفى النهاية استقر مكان الغراب
- استقرارا لا طيران بعده والتصاقًا لا قطع بعده

"التعجب":[1]

ومن ذلك قوله على لسان زليخا:

- جه تيراست كزچرخ بير آمده است دل من مراورا نشانه شده است

والمعنى:

- فأى سهم انطلق من الفلك العجوز فصار قلبى له هدفا

وكذلك قوله على لسان زليخا:

- همى كفت باخسته دل روز وشب كه اى دل عجب شغلى آمد عجب
- دراين شغل جون باى دارى كن مراجون دراين درد يارى كنى

والمعنى:

- وكانت تناجى قلبها الجريح ليلاً ونهارًا قائلة عجبًا أيها القلب لقد حدث أمر عجيب
- كيف تثبت فى هذا الأمر وكيف تعيننى فى هذا الألم

وقوله على لسان زليخا مخاطبة يوسف ومتعجبة من أمره معها:

(١) يوسف وزليخا المنسوبة للفردوس : صـ٤

(٢) تكون هذه الصنعة بان يظهر الشاعر فى أحد أبياته تعجبه وحيرته من شىء من الأشياء...

(المرجع السابق : صـ١٨٩).

- جه جـيـزى زتـخم كه دار نـزاد		نه هم زآتش وآب وخـاكى وبـاد

- اكَـرزين جـهـارى جه مـانى ومـا		زمـانى نـا آسـود ايم ازشـمـا

- تـرا چـونـكه طـبع هـواجـوى نـيـست		دلت را سوى مـهـر من روى نـيـست

والمعنى:

- أى شىء أنت ومن نسل من أنت		ألست من النار والماء والتراب والريح

- فإذا كنت واحدا من هذه الأربعة فماذا تشبه		ونـحـن لا نستـريح لحظة منك

- فكيف لا يميل طبعك إلى هواى		ولا يـتجـه قـلبك نحو حبى

"حسن التعليل"(١):

ومن ذلك قوله واصفًا حال زليخا بعد أن اشتعل فى قلبها نار عشق يوسف:

- شد ازعشق يوسف جنان بى شكيب		چـون كـهـريا بـاشـد ور سرخ سيب

- دل شـادوى شـد نـزنـد وحـزيـن		چـو خـيـرى شـدش لا له ويـاسـمـين

والمعنى:

- وهكذا صارت بلا صبر من عشق يوسف		وصـار تفاحها الأحمر مثل الكهرمان

- وصـار قـلـبها المبتهج كئيبا حزينا		وصارت شقائقها وياسمينها صفراء مثل ورد الخيرى

ومنه كذلك وصف الشاعر لحالة يوسف فى السجن:

- ازانـديـشـة وازروى بـدر		نه آرام بـودش نه خـواب ونه خـور

والمعنى:

- ومن تـفـكـيـره وشـوقه إلى أبـيه		لم يـكن يـستـريح أو يـأكل أو يـنـام

* * * * * * *

(١) تكون هذه الصنعة بأن يظهر الشاعر فى بيت من أبياته صفتين من الصفات ويجعل الواحدة منها علة للأخرى، وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين، ولكنه يذكرها بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه وإبداع عباراته..

(المرجع السابق : صـ ١٨٩)

"التلميح"[1]:

ومنه قوله على لسان الملك موجها حديثه إلى زليخا:

- زكيد شما خيزد آفات ما   عظيم است يكباره كيد شما

ومعناه:

- من كيدكن تنشأ آفاتنا   إن كيدكن عظيم

الشاهد: تلميح الشاعر إلى قوله تعالى فى سورة يوسف ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[2]

وكذلك قوله على لسان زليخا موجهة حديثها إلى العزيز:

- جه باشد مرآن تيره دل راجزاى   كه براهل توكرد اين قصد راى

- بجز بند وزندان وجز جوب وبيم   ويا داشتن در عذاب اليم

والشاهد: هنا تلميح الشاعر واقتباسه للآية القرآنية الواردة فى سورة يوسف من قوله تعالى ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]

وكذلك قوله:

- توبر ماية ودانش خود ما يست   كه بالاى هر دانشى دانش است

ومعناه:

- لا يقنع بما وصل إليه من العلم والمعرفة   فان فوق كل ذى علم عليم

والشاهد: فى هذ البيت هو تلميح الشاعر لقوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[4]

---

(١) هو إبداء المهارة فى اقتباس الآيات القرآنية او التلميح اليها.. ويعتبر هذا الفن من أجمل الصناعات البلاغية التى يعجب بها المسلمون عامة والتى تحتل مكانة مرموقة فى قلوبهم.

(براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى: ت الشواربى صـ٩١)

(٢) سورة يوسف آية رقم (٢٨)

(٣) سورة يوسف آية رقم (٢٥)

(٤) سورة يوسف آية رقم (٧٦)

وقوله كذلك عن مكانة يوسف السامية فى مصر:

- نمـوديم تـمكيـن يـوسف بسى   جـواو در زمـيـن نـيست ديگر كسى

- بـود هـر كـجا راى كامش بود   مـراد دل ازتـمـامـش بـود

والمعنى:

- وقـد مـكـنـا ليـوسف كـثـيرًا   فلم يكن مثله فى الأرض شخص آخر

- وتـحـقـق لـه كـل مـا يـريـد   وتـم لـه مـنـا مـراد قـلـبـه

والشاهد هنا: هو استفادة الشاعر من قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

ومنها كذلك قوله على لسان يوسف فى مواجهة نسوة مصر وامرأة العزيز:

- مرا بـنـد سـنـگين وزنـدان تنگ   گـرفـتـار بـودن بـه كـام نـهنگ

- ازآن بـه كـه بـفـريـبـدم اهرمن   بـبـرد بـس آنـگـاه زمـن

- هـمى كـيد ايشان برايشان گمار   خـدايـا هـمـه كـيـد شـان دور دار

ومعناه:

- إن القيد الثقيل والسجن الضيق   وابـتـلاعى بـفـم الحـوت

- خير لى من أن يخدعنى الشيطان   ويـنـقـطع الله عـنـدئـذ عـنـى

- فـوكـل اللـهـم بـهـن كيدهـن   وابـعـد اللهم كـيـدهـن عـنـى

والشاهد هنا: هو اقتباس الشاعر لقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢)

وكذلك قوله على لسان زليخا واعترافها بذنبها أمام الملك:

- كه شاها كنون گشت حق آشكار   سـخـنـهاى بـاطل نـيـايـد بـكار

---

(١) القرآن الكريم س يوسف، آية رقم (٥٦)

(٢) القرآن الكريم س يوسف، آية رقم (٣٣)

ومعناه:

ـ أيها الملك الآن حصحص الحق ولا يجدى قول الباطل

والشاهد هنا: هو استفادة الشاعر من قوله تعالى:
قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (١)

وكذلك قوله عن مكانة يوسف من ملك مصر بعد أن فسر له رؤياه:

ـ نخستين كه باوى سخن كفت شاه جنين كفت كى يوسف نيكخواه

ـ توا مروز هستى دلم را مكين هميدون بملك من اندر امين

ـ كَرامى ترير من ازجان من برتست بيدا وينهان من

ومعناه:

ـ فتحدث إليه الملك أولا وقال يا يوسف الطيب الطوية

ـ أنت اليوم مكين لدى قلبى وأنت الآن أمين فى ملكى

ـ وأنت أعز علىّ من روحى وسيكون معك سرى وعلنى

والشاهد: فى هذه الأبيات هو استفادة الشاعر من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٢)

كذلك قوله على لسان يوسف موجها حديثه لاخوته بعد أن عفا عنهم:

ـ چنين كُفت يوسف عليه السلام كه برداشتيم اين عتاب وكلام

ـ اكر چند تان بد بزشتى بسيج كنون برشما سرزنش نيست هيج

ـ شما را ازاين نيست درتن كُناه كه بود آن سراسر بحكم الاه

والمعنى:

ـ هكذا قال يوسف عليه السلام لقد تغاضينا عن هذا العتاب والكلام

---

(١) القرآن الكريم، س يوسف، آية رقم (٥١)

(٢) القرآن الكريم، س يوسف، آية رقم (٥٤)

- ولـو أنه كـان عـندكم سوء القصد   فـــالآن لا تـثــريـب عـليكم أبدًا

- انتـم لا ذنـب لـكم فـى كل ما جــرى   فـقـد كان كل ذلك بحكم وقدر الله

والشاهد هنا: هو اقتباسه قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١)

"فى معنى الآيات بالأبيات"(٢)

منها ما ورد على لسان الشاعر فى نهاية المنظومة:

- ازآدم درون تـــاكـه نـفـخ صـور   جـنـين بود خـواهد زحـكم غـفـور

- نـزايـد كـس الا كـه مـرده شــود   بـخـاك سـيـه در سـيـرده شـود

- چـنـين كرد يزدان مادر جهان جنين   اســت حــكــم خــدائى روان

- هـــر آنـكـس كه بيـد شـود زآدمى   نـمـانـيـد فـراوان بـروى زمـى

والمعنى:

- هـكـذا يـكون مـن حـكم الغفور   من آدم حتى وقت النفخ فى الصور

- لا يـــولد شـخـص الا ويـمـوت   ويـــودع فى التـــراب الأســود

- هـكـذا فـعل ربنا فى الحياة الدنيا   وهــكــذا حــكـم خــالق الأرواح

- فـكـل مـن يـولد مـن بـنـى آدم   لا يـــبـقـى كـثـيـرا فى الدنيا

* * * * * * *

---

(١) سورة يوسف آية رقم (٩٢)

(٢) واحد من جملة الصناعات البلاغية وذلك بان يقول الشاعر بيتًا يكون معناه قريبا من قول الله عز وجل كما جاء فى محكم كتابه قوله تعالى " ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم" "سورة طه - آية ٥٥".. ومنه قول الرودكى شاعر السامانيين المشهور:

- چنانْ خاك سرشتى بزير خاك سوى   بنات خاك وتواندر ميان خاك آكين

ومعناه:

- كما كنت عجينة من الطين فانك ستصير   تحت التراب فأنت من التراب

- وستكون محاطا به.. وهو من قوله تعالى " اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة" "سورة النساء - آية ٧٨"

(عمر الرادوياني ؛ ترجمان البلاغة، ت د. محمد نور الدين، صـ١١٢)

هذا وإذا كانت رحلتنا مع فنون البلاغة فى المنظومة قد طالت قليلاً فإن ذلك راجع إلى حرص شاعرنا على أن يزين شعره ويحسنه بألوان البديع وفنونه المختلفة حتى يضمن لمنظومته نوعا من الرواج الشعبى يضاهى رواج الشاهنامة وغيرها من قصص الفرس القديم التى شاعت وذاعت بين الناس فى تلك الحقبة من الزمن.. ولذلك طالعتنا فى المنظومة كثير من الصور الجمالية التى تفيض رقة وعذوبة تعبر عن جمال ذوق ورقة طبع.. ومن تلك النماذج تلك الصورة التى يصف فيها الشاعر جمال يوسف على لسان زليخا قائلا:

- نكوئى سپاه وشاهش توئى   زمين آسمان است وما هش توئى
- بسر سجده خورشيد ترا   شود بنده مه تخت عاج ترا
- زعشق تواى دلبر سيم تن   جحيم است وجيحون دل وجشم من

ومعناه:

- الحسن جيش وأنت مليكه   والأرض سماء وأنت ملكها
والشمس تسجد لتاجك   والقمر غلام لعرشك العاجى
- وبسبب عشقك أيها الحبيب الفضى الجسد   قلبى جحيم وعينى جيحون

ومنه كذلك قول زليخا عن نفسها فى محاولة منها لاقناع يوسف بوصالها:

- زديدار من ماه رشك آورد   زعشقم همى سنك اشك آورد
بهر كشور زمن آكهى است   ستاره رخ روشنم راهى است

ومعناه:

- أن القمر ليغار من رؤيتى   ويبكى الحجر من عشقى
- فى كل اقليم من أقاليم الدنيا السبعة يعرفوننى   والنجم طريق لضياء وجهى

* * * * * * *

ويضاهى ذلك وصفه لوجه زليخا وما به من حسن وجمال ومنه قوله:

- بسرخى مراورا زكوهر نسب   بشيرينى اورا زشكر لقب

- بـزير لـبـش در سـتاره نـهان چو خورشيد بد بر ستاره عيان
- زنخ چـون يكى سيب كـرد از بـلور اكـر سـيب رويـد ز تـابـنـده حـور
- مـيـان زنـخ دريـكى كـرد جـاه كه ازجـاه يـوسف نـبـد كم بـجـاه

ومعناه:

- ولها فى الحمرة من الجوهر نسب ولها فى الحلاوة من السكر لقب
- وتحت شفتيها نجمه خفية كأنها الشمس فوق النجم عيانا
- وذقنها تفاحة مستديرة من البلور إذا كان التفاح ينبت من الحور الوضاء
- وفى وسط ذقنها صنعت نونه أقل اتساعا من بئر يوسف

* * * * * * *

إضافة إلى ما تقدم فإنه يُحمَد لهذا الشاعر نجاحه إلى حد بعيد فى التعبير عن الدوافع الخفية والنزعات النفسية والمواقف والعواطف الإنسانية لأبطال منظومته، وذلك إلى الحد الذى دفع مجتبى مينوى إلى الإشادة به من هذه الناحية، وذلك رغم حملته الشديدة على المستوى الأدبى لهذه المنظومة.. وفى ذلك يقول مينوى: "إنه كثيرا ما يصادفك ـ وأنت تطالع هذه المنظومة ـ أبياتًا جيدة الصياغة ومضامين شعرية جيدة ولطيفة جدًا"(١). كما يذهب خيامبور نفس المذهب ويرى أن المنظومة تحوى مواضع كثيرة بلغ فيها الشاعر شأوا بعيدا فى رقة الطبع وسلامة الذوق(٢).

هذا ويجدر بنا فى نهاية هذا الفصل أن نعرض لمجموعة من اللوحات التى أبدعت فرشاة الشاعر رسمها وتظليلها بالظلال الفنية المناسبة معتمدًا على الصناعات البلاغية التى يجيدها..

اللوحة الأولى: هى التى يظهر فيها يعقوب معاتبًا خاله لابان على ارساله ابنته ليا بدلا من راحيل رغم اتفاقه معه على الزواج براحيل، فاكتشف ليلة العرس أنه تزوج بليا. ويصف الشاعر ذلك قائلا:

---

(١) مجتبى مينوى : فردوسى وشعراو صـ١٢١

(٢) خيامبور: يوسف وزليخا صـ٣١

ـ قال أيها الخال العطوف   لتكن رؤيتك فألا حسنا
ـ فإنه لا شبيه لك فى القول والفعل   والرأى الصائب والعمل الطيب
ـ والآن فإننى أسألك عن سر خفى   عليك أن تحدثنى عن حكمته
ـ كنت تملك فى يدك زهرة يانعة   وفى اليد الأخرى باقة من ورد الربيع
ـ وكان لزهرك وربيعك طراوة ورائحة   وليس لدى أى شخص مثلها
ـ وقد مال قلبى بشدة إلى تلك الزهرة   كما يميل قلب الملوك إلى العرش
ـ فحدثتك وطلبت منك الزهرة   ورغبت أن أقلل من همومى بها
ـ فقبلت طلبى ووعدت باعطائى الزهرة   لتسعد قلبى بها
ولم تعطنى زهرتى اليانعة فى النهار   تلك التى كانت رؤيتها مضيئة لقلبى نهاراً[1]
ـ وعندما أظلم الليل قلت خذ الزهرة   فقبلت منك الزهرة الفاتنة
ـ وكنت أضعها طوال الليل على كفى   ومن الفرح كنت كأننى أتفتح
ـ وعندما صار الليل نهارا ونظرت إليها عينى   لم تكن ـ أيها المخلص ـ هى تلك الزهرة التى كانت فى يدى
ـ كان فى يدى إكليل الربيع   فبقيت خجلا ونادما ومتعجبا

---

(١) ـ چنين كفت كاى مهربان خال من   همايون بديدار توفال من
ـ بگفتار وكردار يارتو نيست   بجز نيكى وراى كار تونيست
ـ رسم كنون ازتو راز نهفت   مرا حكمت آن ببايد گفت
ـ بدستت گلى داشتى آبدار   بدست دگر دستة ازبهار
ـ بهار وگلت هرد وبابوى ورنك   چنان هيجكس نبايد بجنك
ـ دل بدان كَل گرائيد سخت   چنان چون دل شهريا ران بتخت
ـ گشادم زبان وازتو كل خواستم   بدان گَل همى رنج دل كاستم
ـ پذيرفتى من كه بدهى كلم   كه ديد نش بودى مرا دلفروز
ـ ندادى كل آبدارم بر   كه ديد نش بودى مراد لفروز
(٢) ـ چوشب تيره شد كفتيم كل بكير   بذيرفتم ازتو كل دلپذير
ـ همه شب همى داشتم دركفم   زشادى توكفتى همى بشكفم
ـ چوشب روزشد كرد جشم نكاه   نه كل بد بدست من اى نيكخواه
ـ كه در دست من بود دسته بهار   شكفتى خجل ما ندم وشرمسار

- فقل ما معنى هذا الوضع   واغسل عن قلبى الصدأ بماء الوفاء

- فقد كان عهدى معك على راحيل   فلماذا كان التغيير والتبديل منك

- فلم تكن ليا فى خاطرى مطلقا   فماذا رأيت حتى جعلتها زوجتى

- انك لم تفعل هذا العمل بغير حكمة   واننى اثق انك غير ناكث للعهد

- وعندما ما سمع لا بان الحكيم   هذا الكلام الطيب من يعقوب

- ضحك وقبل بين عينيه وقال له   يا أصل الدين والعقل[1]

- إننى فعلت ذلك لأنها أكبر البنات   ومن الواجب احترام حق الكبار

- فألقيت عن عاتقى عبئها أولاً   وهذا ليس رأيا ضعيفًا أمام العقل

- وليس من الحكمة أن تظل الكبيرة فى البيت   وتخرج الصغيرة قبلها

- فقال يعقوب يا صاحب الفكر الطيب   لا يعلم أحد غيرك هذا الأمر الطيب

- ومنذ آدم إلى عهدنا هذا   لم يصنع أحد عملا أفضل من هذا[2]

* * * * * * *

ومن اللوحات التى أجاد الشاعر رسمها واتسم فيها برقة الطبع وسلامة الذوق، والتى اجمع النقاد على تفوقه فيها على نفسه. تلك اللوحة التى يتحدث فيها عن أحزان يعقوب، والتى يبدؤها بحديث يعقوب إلى قميص يوسف ونختار منها الأبيات التاليه:

- چه معنيست اين حال با من بكوى   بآب وفا زنكم ازدل بشوى
- مرا باتو بيمان براحيل بود   چرا ازتو تغيير وتبديل بود
- كه ليا نبد هيچ در دفترم   چه ديدى كه كردى ورا همسرم
- تو بيحكمت اين كار كرده "نه"   يقينم كه زنهار خورده نه
- زيعقوب چون لابن برهنر   شنيد اين سخنهاى همچون شكر
- بخنديد وبر چشم وى بوسه داد   به وگفت كاى مايه دين وداد

(۲) بدان كردم اين كومهين دختر ست   حق مهتران سخت واجب ترست
- فكندم حق وى زكردن نخست   بنزد خرد نيست اين راى سست
- نباشد نكويه بخانه درون   شد بيشتر كهتر ازوى برون
- چنين كفت يعقوب كاى پاك مغز   بجز ندند كس اين كار نغز
- از آدم درون تا بدين روزكار   پسنديد ترزين نكردند كار

- واستمر يعقوب فى البكاء والصراخ والنحيب[1] حتى أنه أثار عطف الشيطان عليه
- واكتأب قلبه من جراء ذلك اكتئابًا جعل الدم يتقطر من الحجر من شدة تأثره
- وقال أيها القميص الجافى إنك لم تخرج من عندى وحدك
- وبما انك لم تذهب من عندى وحدك فلماذا أتيت وحدك بدونه
- والآن فما دام يوسفى قد رحل عنى فلن يكون لى روح ولا جسد
- فيا حسرة ويا أسفا على قلبى وروحى قد اسودتا بدونه كما اسودت حياتى
- وياحسرة على وجه ابنى الجميل الذى بدونه تقطعت أوصالى

ثم ننتقل بعد ذلك إلى اللوحة الثالثة والأخيرة، والتى أجاد الشاعر رسم ظلالها فكانت خير تعبير عن حزن يوسف على ما ألم به من جور إخوته وظلمهم وحقدهم. وها هو يشتكى لأمه فى قبرها قائلا:

- فيا أماه يا من ولدتنى ووفيت صحبتى حقها
- لقد فصمت قلبك عن حبى وتركتينى ذليلا مسكينا
- لقد اضطرب حالى بعدك واثمرت شجرتى الشوك بدل الورد
- انظرى كيف انقلب حظى وصار نهارى المضئ ليلا حالكا

---

(1) درآمد بفرياد وبانكً وغريو بدانسان كه برو بخشود ديو
فتادش بدل در بدايتسان غرنكً كه ازدرد او خون چكانيد سنكً
- چنين كًفت كيبى وفا بيرهن نه تنها برون رفتى ازپيش من
- چواز بيش چشم تنها شدى ابى او بتنها جرا آمدى
- كنون جونكه شد يوسف من زمن نه جان باد هركز مرا ونه تن
- دريغا دريغا دل وجان من كه بى اوسيه كشت سامان من
دريغا نكو روى فرزند من كه بكسست بى أو همه بند من
- أى مادررا اى كه زادى مرا ازاين داد صبحت بدادى مرا
- دل از مهر من زود برد اشتى مرا خوار وبيجاره بكًذا شتى
- مرا بى تو شوريده شد روزكًار در ختم بجاى كًل آوردخار
- مرا بخت من جون نكونسارشد فروزنده روزم شب تار شد

ـ إن الإخوة العشرة الذين كانوا متفقين　　صاروا جميعًا خصوما وأعداء لى

ـ ولم يلحقهم منى أى اذى　　وتهيأ كل منهم لقتلى

ـ ونفضوا كل حب وصلة　　وأخذونى بالحيلة من أبى[1]

هذا ومما يعاب على هذا الشاعر ـ رغم اجتهاده الجيد فى فنون البلاغة المختلفة ـ وجود بعض الأبيات وبها تنافر بكلماتها،[2] وكان عليه أن يتجنب ذلك قدر الامكان حتى يكون كلامه فيها فصيحا. ومن ذلك قوله واصفًا مرض ملك مصر:

ـ چو سال ششم شد شنيد　　مكه شاه بيفتاد وبيمار گشت وتباه

ومعناه: فى السنة السادسة　　سمعت ان الملك مرض وساء حاله

وكذلك قوله فى وصف جمال جسد زليخا:

ـ دو عارض بسان سوسن ستان　　بسوسن در آويخته ارغوان

ومعناه:

ـ عارضان مثل روضة السوسن　　وقد تدلى الأرجوان من السوسن

كما نعيب عليه كذلك جنوحه إلى التكرار[3] فى بعض صور الوصف التى تحفل بها القصة. ومن ذلك قوله على لسان يوسف وهو يتوسل لاخوته فى الصحراء ليخففوا عنه عذاب وقسوة العطش:

ـ مراده برادر كه هم سريدند　　يكايك بدانديش ودشمن شدند

ـ نه آن كه از من آزار شان بود هيج　　كرفتند مركشتم را بسيج

ـ همه مهر وبيوند برهم زدند　　به نيرنكها ازيدر بستند

(١) هو عبارة عن ثقل الكلام على اللسان أثناء النطق. ويعد عيبا من عيوب التركيب اللغوى إذ أن حرف الشين الذى اعتصمت به أوائل كلمات البيت الأول وكذلك حرف السين فى البيت الثانى جعلا البيتين ثقيلاً النطق. ويذكر أحمد الشايب أن أساس الأسلوب البليغ أن تكون العبارة خالية من أساس الاضطراب الصوتى والخشونه، وبذلك تجد الكلمات مطردة متناسقة الحروف والكلمات. (احمد الشايب : الأسلوب، صـ٢٠٠)

(٢) يرى ابن رشيق أن للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها. وان أكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى، وهو فى الألفاظ دون المعانى أقل فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا ـ وهو ما نراه فى أبيات الشاعر عن عطش يوسف ـ فذلك الخذلان بعينه.

(أبو الحسن ابن رشيق القيروانى: العمدة، ج٢، صـ٧٣، ٧٤ ـ القاهرة ١٩٣٤م)

- بنزديك روبيل مسكين دويد   بدو كَفت جانم سوى لب رسيد
- نه بايم درست ونه دل بجاى   فتاده دل وآبله كَشته باى
- سختى بجانم رسيده استكار   شمارانه شرم است نه زينهار
- رسيده بلب جانم ازدرد وتاب   شد آرزومند يكقطره آب

والمعنى:

- فهرع متذللا إلى روبيل   وقال له إن روحى بلغت شفتاى
- فلا قد ماى قادرتان ولا القلب ساكن   قلبى متعب وقدماى متورمتان
- واشتد الخطب وضاقت روحى   وأنتم لا حياء ولا خلاق لكم
- إن عقولكم مختلة وقلوبكم قاسية   وإنكم سوف تقتلونى بلا ذنب
- إن روحى وصلت شفتاى من كثرة الألم والعذاب   وأصبحت فى أشد الحاجة إلى قطرة ماء

ومن أمثلة التكرار الأخرى التى عمد إليها هذا الشاعر قوله على لسان يوسف مخاطبا أخاه، وفيه يقول:

- همى بينيم تيره روز ودزم   سيه كرده بر من بلا ستم

ومعناه:

- أنت ترانى أسود اليوم وحزينا   وقد سوَّده على البلاء والظلم

وبعد أربعة أبيات يكرر نفس الصورة السابقة عن سواد يوم يوسف قائلا:

- جنين روز بر من سياه كرده اند   بمن زند كَانى تبه كرده اند

ومعناه:

- إنهم قد سودوا النهار على هكذا   وأفسدوا حياتى

ومن صور التكرار الأخرى التى تطالعنا فى هذه المنظومة تلك الصورة التى يتحدث فيها الشاعر عن نعم الله على يوسف قائلاً:

- زهر علم كرد ايزدش بهره ور   رسانيدش ايزد بكنج وگهر
- بهر كار قادر خد ايست وبس   ندارد بدين هركسى دست رس
- خدايست قادر بكار اندرون   ولى اكثر الناس لا يعلمون
- جهاندار علم فراوانش داد   ابا علم بسيار فرمانش داد
- نكوئى كنند آن كسى راجزا   كه جز خوبكارى ندارد روا

ومعناه:

- وأعطاه الله نصيبا من كل علم   وأوصله الله بالكنز والجوهر
- والقادر على كل شيء هو الله   ولا يقدر على ذلك كل إنسان
- والله قادر على كل شيء   ولكن أكثر الناس لا يعلمون
- وخصه الله بالعلم الكثير   وحباه بالعلم الكثير
- فكل من يصنع المعروف   لا جزاء له إلا المعروف

* * * * * *

إضافة إلى ما تقدم من نقد وجهناه لأسلوب الشاعر فى المنظومة فإنه يعاب عليه كذلك استخدام فن الاغراق فى صورة لا تتفق والواقع التاريخى المعروف عن أبطال قصته وما ارتبط بهم من أحداث. كأن يصور يوسف عليه السلام بطلا عظيمًا ضخم الجثة شديد القوة يكاد يفوق فى قوته رستم بطل الشاهنامة المعروف، حتى أنه يرفع عمودين من حجر الرخام طولهما ستون قدما كانا على الأرض مثل سفينة على الماء فاقتلعهما ذلك الملك السعيد الموفق ورماهما بقوة مسافة عشرين قدما حتى تزلزلت منها أرض مصر(١). وفى موضع آخر من القصة نراه يصف قصر العزيز وقبته الرخامية وقد صار جنة تضاهى جنة الرحمن بل إنه يجنح إلى الغلو الممقوت فيقول "جنة بمعنى جنة الله"(٢).

---

(١) - بدستى دوگانى زسنكٌ رخام   درازيش بيموده ام شصت كام
- برون زمين جونكه كشتى درآب   بكند آن همايون شه كامياب
- بيند اخت با هول تابيست كام   كزآن خيره گشتند خلقى تمام

(٢) - يكى قبة اندرميان سراى   بهشتى بمعنى بهشت خداى

كما نعيب عليه مسايرته لأصحاب الإسرائيليات فيما زعموه من أن اسحق ابن إبراهيم عليهما السلام هو ذبيح الله ونسى الحقيقة التاريخية التى أكدها القرآن الكريم من أن إسماعيل عليه السلام هو المقصود بذلك..

****

الفصل الثالث

منظومة عبد الرحمن الجامى

تحتل قصة يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامى منزلة طيبة بين قصص الحب الفارسية، كما أن لها مكانة مرموقة بين كتب القصص التى تدور حول الحب الصوفى. إذ لم يقتصر أثرها على سواها فى الأدب الفارسى بل تعداه إلى آداب الشعوب الإسلامية وبخاصة الترك والهنود[1].

وقد نظمها الجامى فى البحر الوافر[2]، وبدأها بالحديث عن العشق:

- إن القلب الخالى من ألم العشق ليس قلبا

والجسد الذى لا يؤرقه القلب ليس إلا ماء وطينا

- فحول قلبك من العالم صوب مواجيد العشق

فإن عالم العشق عالم لطيف

---

(١) خيامبور: يوسف وزليخا ، صـ٢٤ ، تبريز ١٩٦٠م

(٢) ألف الجامى هذه القصة عام (٨٨٨هـ) وهو فى السبعين من عمره وقد مها هدية إلى السلطان حسين بايقرا حاكم خراسان آنذاك . ومجموع أبياتها أربعة آلاف بيت فى بعض النسخ ، وفى نسخ أخرى ثلاثة آلاف وثلاثمائه وخمسون بيتا وقد نقلها إلى العربية الدكتور عبد العزيز مصطفى بقوش وقدم لها بدراسة عن القصة بين كل من الجامى والفردوسى وكذلك قصة خسرو وشيرين عند نظامى الكنجوى..

ـ فلا خلا من أحزان العشق قلب آدمى

ولا كان فى العالم قلب بدونه[1]

فكن أسير العشق فإن الفكرة من ذاك هى أنه حرفة كل الواصلين

ـ فلا يدير الفلك إلا جنون العشق والدنيا تغص بالفتنة من ضوضائه

ـ فكن أسير العشق تصر حرا واملأ صدرك بأحزانه تصبح سعيداً[2]

ولقد تطرق الشاعر إلى الحديث عن خلق العالم بأسلوب مبنى على فكرة وحدة الوجود[3] الحق هو الوجود المطلق لا يوصف سواه بوجود حقيقى، وهو يحتوى على كل الموجودات فى ذاته، والحق أيضًا هو الخير المطلق، كذلك الجمال هو صفة من صفات الخير.. وينطلق الجامى إلى الحديث عن خلق العالم المادى، والخلق فى نظر الشاعر أساسه التجلى. وتستند هذه الفكرة على الحديث القدسى الذى يكثر الصوفية من ترديده وهو: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لأعرف».. لقد كان الله قبل خلق الزمن وحده يفيض جلالا وبهاء لم تشهده عين. هنالك كان اشراق الجمال المطلق، ولم تكن قد خلقت عين لتنظر إلى هذا الجمال الذى يفوق الوصف، ولا كان هناك قلب يهتز وجدا بشهود كماله. كان الجمال وحده. ولم يكن هناك من يرى ولا من يعشق، لكن الجمال، مهما كانت صوره يرغب فى التجلى فالوجه الجميل يضيق بالحجاب ويجب أن

---

(١) دل فارغ زدرد عشق دل نيست بى درد دل جزآب وگل نيست
زعالم رويت آورد درغم عشق كه باشد عالمى خوش عالم عشق
ـ غم عشق ازدل كس مبادا دل بى عشق در عالم مبادا
(٢) ـ أسير عشق شو كاند يشه اينست همه صاحب دلان رابيشة اينست
ـ فلك سر كشته از سود اى عشقست جهان برفتنة ازغوغاى عشقست
اسير عشق شوكه آزاد باشى غمش برسينه نه تا شاد باشى

الترجمة نقلا عن: د. عبد العزيز مصطفى : الترجمة العربية ليوسف وزليخا ص٩٨، مصر ١٩٧٤م.

(٣) وحدة الوجود: يقول أبو الوفا التفتازانى عن ذلك ما نصه: «تصوف وحدة الوجود هو التصوف المبنى على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط هو وجود الله أما التكثر المشاهد فى العالم فهو وهم على التحقيق ، تحكم به العقول القاصرة ، فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه ويعبر عنه ابن عربى بقوله : "سبحان من خلق الأشياء وهو عينها"

عن: أبو الوفا التفتازانى: مدخل إلى التصوف الإسلامى ص١٩٩ ، مصر ١٩٧٩م

يرى.. وهكذا إذا جالت فى الخاطر فكرة طيبة فهذه لا تود أن تبقى محتجبة عن العين، بل تنشد التعبير عنها باللغة أو بغيرها من مظاهر الفن. ذلك لأن التجلى من صفات الجمال المطلق، وما هذه المظاهر الجمالية إلا لمحات منه، فالعالم الحسى إذن نشأ من نزوع الجمال المطلق نحو التجلى(١).

فالمنطلق الأساسى لمنظومة الجامى هو الحب الصوفى.. على أن الروايات المختلفة لقصة يوسف لم تخل من بعض الصور التى تصلح منطلقًا ومجالا للشعر الصوفى.. ومن ذلك ما روى عن كعب الأحبار(٢) عن تجلى جمال يوسف منذ بداية الخلق: إن الله تعالى مثَّل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف، مرتديا برداء الكرامة، مقمصا بقميص البهاء وفى يده قضيب الملك، وعن يمينه سبعون ألف ملك، وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الأنبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس، وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال، وتحول معه حيثما حال، فلما رآه آدم قال: الهى من هذا الكريم الذى اتحت له بحبوحة الكرامة، ورفعته الدرجة العالية فقال آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم انحله. فقال آدم: قد نحلته ثلثى حسن ذريتى. ثم إن آدم ضم يوسف إلى صدره وقبله بين عينيه، وقال يا بنى لا تأسف فأنت يوسف. فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال ثلثين وقسم بين العباد الثلث. وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه، قبل أن يصيب المعصية. وكان الله قد أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم

---

(١) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : صـ٢٣٩ وما بعدها . بيروت ١٩٧٢.

(٢) كعب الأحبار : هو كعب بن مانع بن عمرو بن قيس ونسبه يكنى أبا اسحق. كان فى حياة النبى رجلا وكان يهوديا عالما بكتبهم ، حتى كان يقال له كعب الحبر وكعب الأحبار . وكان اسلامه فى خلافة سيدنا عمر وقد سكن المدينة وغزا الروم فى خلافة عمر ثم تحول فى عهد سيدنا عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص. وكان عنده علم بثقافة أهل الكتاب وكتبهم كما كان له حظ من الثقافة الاسلامية ورواية الأحاديث .. روى عن النبى ، ولكنه مرسل لأنه لم يلق النبى ولم يسمع منه ، وعن عمر ، وصهيب ، والسيدة عائشة ، وروى عنه من الصحابة أبو هريرة ، وابن عباس وبقية العبادلة . وقد أثنى عليه العلماء وترجم له الحافظ بن حجر فى الإصابة وتكاد تتفق كلمة النقاد على توثيقه"

محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير : صـ١٤٤

خلقه. فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام. ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذى كان انتزعه منه.. وذلك أن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على ما يشاء فأعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه أحدًا من الناس، ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا. وكان يخبر بالأمر الذى يرى فى المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الأمر. علمه الله ذلك كما علَّم آدم الأسماء كلها فكان حسن يوسف كضوء النهار(1).

وقد اتخذ الجامى من هذه المادة منطلقا للقصة فى منظومته فبدأها بالحديث عن اشراق جمال يوسف كشمعة أضاءت خلوة الغيب، احترق بها قلب آدم، كما تحترق الفراشة: "إن تجلى حسن يوسف وهو بعد فى عالم الذر واشراق الحسن أمام آدم خلال الغيب المحجب صور صوفية لقيت صداها فى مفتتح قصة يوسف كما صورها الجامى، ويصف الجامى ظهور يوسف من عالم الغيب بقوله:

ـ ظهر يوسف فى الصلب الثامن	فأبقى جماله دنيا بأسرها فى حسرة منه
ـ وقد كان ليعقوب احد عشر ابنا عدا يوسف	ولكن يوسف سكن شغاف قلبه
ـ فمنذ ولدته أمه	ووجهه يضارع قمر السماء
ـ وهو نجم ارتفع من برج اسحق	فاضاءت طلعته وجه الدنيا
ـ وهو واحد من الشقائق أطلت برأسها من	حديقة يعقوب فكان منها جرحه وبلسمه(1)

******

(1) محمد كفافى : فى الأدب المقارن : صـ329 وما بعدها .

ـ بهشتم پشت واضح گشت يوسف	بماند ازى وى جهانى در تأسف
ـ پسر بيرون ز يوسف يازده داشت	ولى يوسف ميان جانش ره داشت
ـ چو يوسف بر زمين آمد زمادر	برخ شد ماه گردون را برابر
ـ برآمد اخترى از برج اسحق	ز روى او منور چشم آفاق
ـ علم زد لا له از باغ يعقوب	از وهم مرهم وهم داغ يعقوب

(2) الترجمة العربية نقلا عن ترجمة الدكتور عبد العزيز بقوش يوسف وزليخا صـ 108 ، 109.

ينتقل الجامى بعد ذلك إلى الحديث عن زليخا، فيبدأ بذكر نسبها إنها كانت ابنة ملك عظيم لبلاد المغرب يدعى طيموس. هذه الفتاة الناعمة الجميلة تعيش فى ظل وارف من السعادة تلعب فى القصور مع رفيقاتها خالية القلب، لم تعرف الحب ولا أحزانه.. لكنها ترى فى منامها ـ ذات ليلة شابًا رائع الحسن يفوق جماله كل جمال بشرى، فما كاد بصرها يقع عليه حتى عشقته، وقد أدى هذا إلى انبثاق جذوة الحب فى فؤادها، ووصولها إلى ما يمكن أن يوصف بجنون العشق.

ـ فأصبحت أسيرة لحسن سيرته   ورقة شمائله بمائة قلب لا بقلب واحد
ـ وأضرمت نارًا فى صدرها بسبب طلعته   فاحرقت بها متاع صبر قلبها(١)

بهذه الطريقة جمع الجامى بين بطلى القصة منذ البداية فلم تبق زليخا غير عارفة بيُوسف إلا حين جاء إلى مصر أسيرًا أو بيع فى سوق النخاسة، بل هى بشرت به فى منامها وعشقته بكل روحها.

وفى السحر عندما أتت وصيفات زليخا إليها راكعات ساجدات فتحت عينيها ولم تجد من ذلك الفتى ذى الوجه الطيب أثرًا، فكادت تذوب جوى وحزنًا واشتياقًا. كانت ثكلى بحب يوسف ولسان حالها يقول:

ـ لقد اختطفت قلبى دون أن تخبرنى عن اسمك   أو تذكر لي علامة علي مكان اقامتك
ـ ولا أدرى ممن استفسر عن اسمك   ولا أين كى أسأل عن مقامك
ـ فلو كنت ملكًا فخبرنى عن اسمك   ولو كنت قمرا فأين منزلك(٢)

وتسر زليخا أمرها إلى وصيفتها الحاذقة المجرية التى كانت تعرف من مكنونات العشق أشياء كثيرة. وأدركت المربية بحسن بصيرتها ما كانت تعانى منه الفتاة، فاستفسرتها إلى أن جعلتها تفصح عن مكنونات صدرها موضحة لها الرؤيا والعذاب الذى تعيش فيه. واستطاعت المربية أن تخفف عنها وطأة العذاب

---

(١) زحسن صورت ولطف شمائل اسيرش شد بيكدل نى بصد دل
زرويش آتشى در سينه افروخت .. وازآن آتش متاع صبر دل سوخت
(٢) نقلا عن الترجمة العربية : عبد العزيز بقوش : يوسف وزليخا صـ١٢١.

بكلمات لطيفة رقيقة وأملتها بأن تكون لها النجاة وأن تبلغ غايتها. فهدأت زليخا، "ولكن وجد الحب كان متمكنا من قلبها. وفى الليلة التالية ظهر ذلك الفتى الجميل لزليخا فى منامها، فتبذل قصارى جهدها لتعرف شيئًا عنه" وراحت تسأله[1]:

- خبرنى من اى أسرة فى الأصل أنت   بما لك من الحسن والجاذبية
- فقال لها: إننى من سلالة آدم   خلقت من الماء والتراب
- وأنت تدعين أنك تعشقينى   فلو أنك صادقة فيما تقولين
- فأرعى حق صبرى ووفائى   واحتمى برجائى بالا تتزوجى
- فقلبى بدوره أسير شراكك   وصرت هدفًا لجراح عشقك

ويظهر الفتى لزليخا فى منامها للمرة الثالثة، فتتوسل إليه أن يخبرها باسمه وموطنه بعد أن تسبب حلمها الثانى بإصابتها بالجنون فقيدها أهلها بسلاسل من ذهب خوفًا عليها. وفى هذه المرة يخبرها الفتى بأنه عزيز مصر وأن مقامه مصر. هذا الخبر يسعدها. فلما استيقظت من نومها إذا بالحياة قد عادت إليها وشفيت من جنونها وتحررت من قيودها الذهبية، وعادت إلى مرحها مع رفيقاتها. إلا أن عقلها وقلبها كانا يعيشان فى حلم بلقاء العزيز[2].

وتمضى القصة فتصور ذيوع خبر عشق زليخا فى كل الأمصار والبقاع، وأسرع كثير من الملوك إلى بلاط أبيها لخطبتها منه حاملين معهم الهدايا والتحف والذخائر الثمنية. ولما كثر رسل من يريدون خطبتها كان سؤال زليخا هل بينهم أحد قدم من مصر؟ وإذا لم يكن هناك رسول من مصر فلا حاصل لى من هذا

---

(١) عبد العزيز بقوش : يوسف وزليخا، الترجمة العربية صـ١٢٥.

- بگويا اين جمال ودلستانى   كه دراصل از كدامى خاندانى
- بگفتار از نژاد آدمم من   زجنس آب وخاك عالم من
- كنى دعوى كه هستم برتو عاشق   اگر هستى در اين گفتار صادق
- حق مهر ووفاى من نگهدار   به بى جفتى رضاى من نگهدار
- مراهم دل بدام تست در بند   زداغ عشق توهستم نشان مند

(٢) المرجع السابق : صـ١٣٩ و صـ١٤٠.

الجمع».. ثم دخل عليها والدها وأطلعها على حقيقة الأمر، إلا انه لم يتعرض للحديث عن المصريين، فأسرعت من أمامه يائسة تبكى حظها.. ويسعى الأب الحنون إلى تحقيق حلم ابنته بعد أن علم بسر حزنها، فأوفد وفدا خاصا إلى بلاط عزيز مصر محملا بالهدايا والتحف وأخبره بأن لديه بنتا تتلألأ كالشمس خطبها ملوك الأرض لكن قلبها معلق بمصر وترابها وعزيزها.. فسر العزيز من ذلك وتملكت الفرحة قلبه.

وهنا تصوير جميل للشاعر، فمثل هذا العجوز لم يكن ليحلم بمثل هذا التكريم والاعجاب. ويأمر بتجهيز موكب كبير مكون من ألف جارية وغلام محمل بالآف الهدايا إلى "طيموس" الذى يلقاه بالاحترام والمودة والاكرام ويسلم ابنته إلى رئيس الوفد مصحوبة بمربيتها وحاشيتها.

وعلى مشارف مصر يخرج العزيز بحراسه وغلمانه وجواريه ومغنياته وقيانه لاستقبال موكب زليخا.. وكانت زليخا فى شوق بالغ لرؤية العزيز وبلغ شوقها حدا طلبت معه من وصيفتها:

- اصنعى لى حيلة لألقى عليه نظرة فإنى لا أطيق الصبر بعد ذلك(١)

فتحايلت الوصيفة وفتحت شقا فى جدار الخيمة نظرت منه إلىَ عزيز مصر. لكن ما أن أبصرت عينا زليخا عزيز مصر حتى تأوهت باكية متأثرة برؤية هذا العجوز الفانى قائلة:

- يا ويلاه لقد حدث لى أمر عجيب فقد هوى على جدار ثقيل حمله(٢)

- ليس هذا هو الذى رأيته فى المنام وتحملت هذه الآلام بحثًا عنه

ذلك أنها كانت تسعى إلى حبيبها الجميل الذى أسقمها حبه السنين الطوال، وما اقساها من خيبة أمل حين تلقى ذلك الشيخ الهرم مكانه. لكن صوتا يناجى قلبها فيمنحها نوعا من السكينة:

---

(١) علاجى كن كه يك ديدار بينم كزين بس صبر را دشوار بينم
المرجع السابق صـ١٥٨

(٢) كه واويلا عجب كاريم افتاد بسرنا برده ديواريم افتاد
- نه آنست اينكه من در خوابيد يدم بجست وجويش اين محنت كشيدم

- إن مراد قلبك ليس عزيز مصر   ولكنه لا يتحقق بدونه[1]
- فيمكنك عن طريقه رؤية جمال الحبيب   وعن طريقه يمكنك الوصول إلى مرادك

تم وعدتها الملائكة فى إلهامها بأن يد العزيز لن تمتد إليها فهدأت بالا وارتاحت نفسا على أمل أن تلقى الحبيب الحقيقى فى مصر.

وفى السحر أخذ عزيز مصر زليخا وأركبها فى الهودج، وتحرك الموكب إلى مصر بينما جحافل الجيش تحرسها ميمنة وميسرة. ويحسن المصريون استقابلها، ثم تحمل إلى قصر العزيز حيث تعيش محاطة بكل مظاهر الجاه والغنى، لكن قلبها يبقى معلقا مشغولا بحبيبها.. وكانت تناجى الفلك قائلة[2].

- أيها الفلك ماذا تضمر لى على هذا النحو   ولماذا تكن لى الهلع والاضطراب
- لست أدرى ماذا صنعت بك   فتلقى بى هكذا فى الألم والمتاعب[3]
- فتارة تأسرنى بيد الجنون   وتطلق عقالى بالتعقل أخرى[4]
- وما دام قد ثبت يقينا أنك سبب نكبتى   فمن العبث أن أبحث عن دوائى منك[5]

وعلى هذه الحال يترك الشاعر زليخا وينتقل إلى مكان آخر بعيد إلى حيث يوسف فى أرض كنعان حيث نسمع منه قصة حياة يوسف. وندخل معه بيت يعقوب فنرى يوسف يحظى وحده باهتمام الأب ورعايته وعنايته دون باقى اخوته فهو شجرة تجسدت فيها كل حياة يعقوب وآماله.. ويذكر الشاعر بعد ذلك أنه كان فى بيت يعقوب شجرة تنبت غصنًا له. وذات ليلة طلب يوسف من أبيه أن

---

(١) عزيز مصر مقصود دل نيست   ولى مقصود بى أو حاصل نيست
- ازاو خواهى جمال دوست ديدن   وزاو خواهى بمقصودت رسيدن

المرجع السابق صـ ١٦١

(٢) كه اى گردون مرا زينسان چه دارى   چنين صبرونى سامان چه دارى
- ازاو خواهى تو من جه كردم   كه افكندى چنين در رنج ودردم

(٣) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا ؛ عبد العزيز بقوش . صـ١٦٤

(٤) كه زديوانگى بندم نسهادى   كه ازفرزانگى بندم گشادى
چوشد ازتو شكست خود درستم   خطا كردم كه ازتو جاره جستم

(٥) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا ؛ عبد العزيز بقوش . صـ١٦١

يدعوا له ربه ليمنحه عصا لائقة به من الجنة. ويستجيب الله لدعاء يعقوب ويرسل ليوسف عصا خضراء من زبرجد. ويفرح يوسف لذلك بينما تشتعل نار الحسد والغيرة فى قلوب اخوته.. وذات ليلة كان يوسف نائما قرب أبيه فإذا به يضحك ملء فمه وهو فى النوم، وأدرك ذلك يعقوب فاندهش. ولما استيقظ سأله عن سبب ذلك. فأجاب بأنه رأى فى المنام أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا قد سجدوا له تجليلا وتعظيمًا.. فأمره يعقوب أن يخفى هذه الرؤيا عن إخوته حتى لا يزدادوا كيدا له.. لكن يوسف ينسى ذلك ويحكى رؤياه لا خوته، فيزدادون حقدا عليه وحسدًا له. فاتفقوا على أن يدبروا حلية للخلاص منه. واستقر الرأى فيما بينهم على البحث عن بئر بعيد يلقونه فى غيابته.. وتواطئوا فيما بينهم على أن يقنعوا اباهم باصطحابه معهم للنزهة ولما حملوه بعيدًا فى الصحراء بالغوا فى قسوته وإيذائه ثم ألقوه فى قاع الجب.

وظل يوسف فى قاع الجب ثلاثة أيام بعد أن تركه اخوته وانصرفوا عنه.. وفى اليوم الرابع مرت بالبئر قافلة أرسلت واردها إلى البئر، وحينما أدلى دلوه تعلق فيه يوسف وخرج إلى سطح الأرض بدرا منيرا ملأ الأرض نورًا وضياء..

فحمله الوارد فرحا إلى أصحابه. لكن اخوته - الذين كانوا يرقبون الموقف من بعيد - حضروا وتحلقوا حوله وبدأوا يساومون حول شراء يوسف، وباعوه بثمن بخس لأرباب العير. وحمله مالك بن ذعر إلى مصر فرحا سعيدا بهذه الصفقة الرابحة ولما سمع ملك مصر بمقدمه السعيد أرسل العزيز لاستقباله وخرج المصريون جميعا وهم يتطلعون للفوز بلقاء يوسف. وبلغت المساومات على شراء يوسف حدا لاقبل للمصريين به من قبل حتى استعد الجميع لبذل كل ما لديهم من مال ومتاع لشرائه. وعسكر الناس على شاطئ النيل لرؤية يوسف وهو يستحم من وعثاء السفر ويصف الشاعر ذلك قائلا:

- وأخذ المتفرجون يصيحون من كل جانب ضـــاربـــين أكف الحــــيـــــرة[١]
- قائلين يا الهى من هذا الكوكب المبارك؟ الـذى يـخجل القـمـر والشـمـس مـعا
- وظلت حسـان مصر مطرقات برؤسهن وأخذن يقرأن فى لوحة كلمات نسخهن
- حقًا حينما تظهـر الشمس المضيئة فلا حيـلة للـسهى سـوى الاحـتجاب[٢]

أما زليخا فكانت - من شدة حزنها - فى مكان قصى خارج المدينة تتفرج على جمال الطبيعة. وعندما عادت إلى البيت وجدت حشدا من الناس أمامه فسألت عن سبب ذلك، فقيل لها إن غلاما أُحْضِرَ القصر وهؤلاء الملأ جاؤا مزد حمين لرؤيته. فدخلت زليخا ورفعت ستار الحجرة فوقعت عيناها على يوسف فصرخت باكية وهى تقول:

- إن هـذا الغلام الذى رأيته فى ذلك الجمع[٣] وسـمـعت أوصــافـة من أهل مـصـر
- إنه قـبـلـة روحى فى الـدنـيـا وروحى فـداء له فـهـو حـبـيـبى
- وقد طلع علَّى وجه الحبيب فى النوم وكان هو الذى انتزع الصبر من روحى
- إن حـمـلى الـيـوم أثـقل من الجـبل ولا أدرى ماذا سيكون عليه أمرى اليوم
- فـلـقـد أضــاءت عـيـنى مـنه وأصبح هـذا الـبـيت روضه مـنه[٤]

******

(١) زحـــيـــرت كف زنـــان أهل نـــظـــارا فـــغـــان بـــرد اشـــتـــنـــد ازهـــر كـــنـــاره
- كه يـارب كـيـست اين فـرخـنـده اخـتـر كه هم مـاه است ازآن شـرمـنـده خـور
- بـتـان مـصـر سـرد دريـيش مـانـدنـد زلـوحش حـرف نـسغ خـويش خـوانـدنـد
بـلى هـرجـابـود مـهـر آشـكـارا سـهـارا جـزنـهـان بـودن چه يـارا

(٢) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد المزيز بقوش . صـ٢٠١

(٣) نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : عبد المزيز بقوشى . صـ٢٠٢

(٤) درآن مـــجـــمـــع غلامـى راكه ديـــدى زاهـل مـــصـــر وصـف اوشـــنـــيـــدى
- زعـالم قـبـله كـاه جـان من اوست فـدايش جـان من جـان بـآن من راست
- بـخـوابم روى زيـبـا اوى نمـود است شـكـيـب از جـانِ شـد اويـود است
زكـوه افـزون بـود دربـاز من امـروز نـدانم جـون شـود كـار من امـروز
- كه اين ديـده گـردد روشن زاوى كه اين خـانه گـردد گـلـشن ازاوى

ويمضى الشاعر قائلا إن الناس قد تهافتت على رؤية يوسف والمساومة على شرائه، إلى أن بلغ الخبر زليخا فساومت أضعافا مضاعفة على كل ما عرضه الآخرون، ودفعت زليخا ثمن يوسف مما كان لديها من جواهر ولآلئ ثمينة وهكذا تخلص يوسف من ربقة مالك، وشكر ربه على ما تفضل عليه به من اعتاقه من ربقة العبودية. وانتقل إلى بلاط الملك وألبس أفخر الثياب من الخز والديباج وهنا يوقف الشاعر سياق القصة ويدخل فيها قصة فتاة عالية النسب، بارعة الجمال، وافرة المال، جعلت منها هذه الصفات فتاة معتدة بذاتها. ولقد أحبت هذه الفتاة يوسف لما سمعت من أخباره لكنها أرادت أن تظهر تفوقها عليه فى الجمال والبهاء، فارتدت أفخر الثياب، وخرجت فى موكب مهيب تحيط بها حاشية أنيقة المظهر، وقصدت إلى الميدان الذى عرض فيه يوسف للبيع، وحين وصلت إلى حيث تجمع الناس لم تجد من يلتفت إليها، بالرغم مما كانت عليه من جمال وجسارة فالأعين كلها متجهة إلى يوسف مأخوذة بجماله. وما أن وقع نظرها عليه حتى بهرها حسنه فتوجهت إليه تحدثه قائلة:

- يا من يكتمل بك شأن الجمال — من الذى زين جمالك بهذا الحسن
- ومن الذى جعل شمس جبينك لا معة — حتى استمدت هالة القمر نورها من جبينك
- وأى فنان أبدع صورتك — وأى بستانى زين سروتك
- ومن الذى خط قوس حاجبك — ومن الذى ربط ذؤابتيك برباط منير[1]

فأجابها يوسف قائلا:

- إنى من صنع ذلك الصانع — وأنا قانع بقطرة من بحره[2]
- وما الفلك إلا نقطة من قلم كما له — وما الدنيا إلا برعم من بستان جماله

---

(١) - بگفت اى توكار نيكوى راست — بدين خوبى جمالت راكه آراست
- كه لا مع ساخت خورشيد جبينت — كه آمد خر من مه خوشه جبينت
- كدامين خامه زن نقش توبرداخت — كدامين باغبان سرو توآر است
- كه زد بركار طاق ابروت را — كه داد اين بند كيسوت را
(٢) - بگفتا صنعت آن صانعم من — كه از بحرش برشمى قانعم
- فلك يك نقطة ازكلك كمالش — جهان يك غنجه ازباغ جمالش =

- والشمس مضيئة من نور حكمته　　والفلك فقاعة من بحر قدرته
- كان جمالا منزها من تهمة العيب　　مخفيا فى حجب الغيب واستاره

ويستمر الحوار بينهما فيحدثها يوسف عن فضيلة التواضع، وقهر النفس حتى تخلت هذه الفتاة عن غرورها ونفضت يديها عن مالها، وزهدت فى الجاه وبنت لها غرفة متواضعة على شاطئ النيل حيث قضت عمرها فى عبادة الله الواحد القهار.

ونعود مع الجامى إلى قصر زليخا ونعيش معها سعادتها بيوسف وملازمتها له ليل نهار. فقد أصبح شغلها الشاغل تطعمه وتسقيه وتعتنى به وتلبسه أفخر الثياب. "فإذا تتوجت الشمس بتاج المشرق الذهبى زينت مفرقه بتاج آخر[1]، ثم هى تسمع منه قصته مع إخوته وحكاية البئر ومصاعبه ومحنته فيه. وهكذا يربط الجامى بين يوسف وزليخا بهذا الأسلوب القائم على ارتباطها الروحى به قبل مشاهدتها إياه.

وذات ليلة يطلب يوسف من زليخا أن يعمل برعى الغنم ليسير بذلك على النهج الذى سار عليه من سبقه من أنبياء الله. وتستجيب زليخا لرغبته وتأمر عمالها بتسليمه قطيعا من الأغنام ومراقبته من بعيد حتى لا يصاب بمكروه..

ومع الأيام يزداد جمال يوسف بعد أن اكتملت رجولته فتحن زليخا إلى وصاله بعد أن ملك حبه زمام قلبها وعقلها، وراحت تتفنن فى ابتكار الحيل لتفوز بعشقه ووصله. ويصف الجامى ذلك:

- وقلبت أوجه البحث　　لتضم ذلك القمرى الوجه فى أحضانها[2]
- وتحقق مرادها بالقبل من ياقوته　　وتفوز بالطمأنينة من احتضان سروه

= - زنور حكمتش خورشيد تابى　　زبحر قدرتش گردون حبابى
- جمال بود باك از تهمت عيب　　نهفته درحجاب پردة غيب
(١) - جواز زر تاج كردى خسرو شرق　　بتاج ديگرش آراستى فرق
(٢) بآن آورد روى جستجورا　　كه آرد در كنار ما هروا را
- زلعل او ببوسه كام گيرد　　زسروش با كنار آرام گيرد
- زليخا وصل را ميجست چاره　　ولى ميكرد ازآن يوسف كناره
- زليخا بود خون ازديده ريزان　　ولى ميبود يوسف زاو گريزان

ـ كانت زليخا تبحث عن حيلة لوصاله ... ولكن يوسف كان يتحاشاها

ـ كانت زليخا تسكب الدمع من عينيها ... ولكن يوسف كان يهرب منها

****

ونمضى مع الجامى وهو يصور لنا إعراض يوسف عن زليخا وما سببه هذا الإعراض لزليخا من سقم ونصب وتعب وألم وعذاب، وحزن أودى بها إلى ذبول ورد خديها واسودت الدنيا فى عينيها، وكان حديثها يدور دائمًا حول الألم والعذاب والسهاد، وراحت تلوم نفسها قائله:

ـ يا من جرك شأنك إلى الفضيحة ... ومن جنون عشقك اشتريت غلاما بالذهب

ـ انت ملكة على عرش الجلال ... فلماذا تقامرين بالعشق مع عبدك

ـ فاطلبى معشوقا يكون ملكًا مثلك ... فالملك لا يليق إلا بملك مثله

ـ ومما هو أعجب من العجب ... أنه يدير رأسه لوصالك

ـ ولو علمت نسوة مصر بحالك ... للحق بك مئات من لومهن

ـ ولسحبن ألسنة الطعن على ... ولا شرن بأصابعهن عليك مثل القمر الجديد(١)

******

ويمضى الجامى فيصف لنا كيف تعددت حيل زليخا للظفر بوصال يوسف فمرة تبعث بيوسف إلى البستان وبصحبته مائه من الجوارى العذارى الحسان ليختار منهن من يروقه حسنها. وتبذل كل فتاة مما لديها من فنون الهوى لاسعاده فلعل إحداهن تظفر بإعجابه فتأخذ زليخا مكانها إذا ما جن الليل لكن يوسف يقاوم فتنتهن وحيلهن وألاعيبهن، بل ويحول الفتيات إلى عابدات تائبات مؤمنات بالله.. ولما فشلت تلك الحيلة عادت زليخا إلى وصيفتها الماكرة لتدبير حيلة أخرى

---

(١) ـ كه اى كارتو برسوائي كشيده ... زسوداى غلام زر خريده

ـ توشاهى بر سرير سر فرازى ... جرا با بنده خود عشق بازى

ـ بمعشوقى چو خود شاهى طلب دارد ... كه شاهى رابود شاهى سر آوار

ـ عجب ترآنكه ازعجبى كه درد ... بوصل چون توئي سرد رنيارد

ـ زنان مصر كر دانند حالت ... رسانند از ملامت صد ملامت

ـ زيان طعنه بر من گشانهد ... چو ماه نوبا نگشتم نما پند

علها تنجح هذه المرة وتقر بوصال يوسف. فطلبت المربية من زليخا مبلغًا من المال وأمرت المهندسين فشيدوا لها قصرا جميلا كالجنان يضم سبع مقصورات تؤدى كل منها إلى الأخرى، وقد زينت جدرانها وأرضياتها وأسقفها بصور زليخا ويوسف فى أوضاع غرامية تثير الفتنة، فإذا أدخلته إلى هذه المقصورات وأجلسته إلى جوارها، فهو إن حول وجهه عنها أبصر صورته معها وقد احتضن كل منهما الآخر: «إذ حين ترى العين يشتهى القلب». وبعد أن تم تشييد هذا القصر المرمرى الجميل بغرفه السبع ونقوشه الفاتنة، اصطحبت زليخا حبيب قلبها يوسف إلى داخل القصر ومضت به من مخدع لآخر وهو يزداد صدودا وإعراضًا حتى أغلقت سبع[1] أبواب دونه. وبعد أن أعيتها الحيل ألقت بنفسها على السرير وقالت له:

- يا وردى الوجه تطلَّع إلى وجهى	وانظر إلىَّ بعين اللطف
- فإن الشمس لو رأت وجهى	لاستمدت ضوء ما منى مثل القمر
- إلى متى تسرك محنتى	فتغلق عن وجهى عين الرحمة
- وعلى هذا النحو تألم قلبها كثيرا	وأظهرت شوق قلبها إلى يوسف[2]

******

ونمضى مع يوسف لنرى ما فعله مع زليخا إتقاء لفتنتها، فنراه وقد خفض بصره إلى الأرض، لكنه يرى صورته مع زليخا فى وضع غرامى آخر، فيحول بصره نحو الحائط فيرى مشهدًا مماثلا، فيرفع رأسه إلى أعلى فتقع عيناه على مشهد آخر قد نقش على السقف. ويعتصم يوسف النقى الذيل بعصمة النبوة وبحرصه على الا يرتكب معصية، وتسأله زليخا قائله:

---

(١) يبدو تأثر الجامى هنا بما ورد فى أغلب كتب التفسير حول عدد الأبواب التى أغلقتها زليخا ، إذ يجمعون على انها سبعة أبواب. وفى ذلك يقول الفخر الرازى: "غلقت سبعة أبواب ثم دعته إلى نفسها"
كما يقول ابن كثير : "وغلقت الأبواب وكانت سبعة أبواب"
الفخر الرازى : تفسير الرازى ، صـ١١٩ ، جـ٥ ، مصر ١٣٠٨هـ
بن كثير : تفسير ابن كثير جـ٢ ، صـ٤٨٠ ، مصر ١٣٤٦هـ

(٢) - كه اى گل رخ بروى من نظر كن	بجشم لطف سوى من نظر كن
- اگر خورشيد روى من ببيند	جو ماه ازخرمن من خوشه جنيد
- مرالاكى در اين محنت پسندى	كه جشم رحمت از رويم ببندى
- بدينسان درد دل بسيار كردى	بيوسف شوق دل إظهار كردى

- لا أعرف ماذا يمنعك عن هذا العمل   حتى لا تقدر أن تمضى معى لحظة حلوة[1]

- فأجابها: إن ما يمنعنى عن ذلك شيئان   عتاب الله وقهر العزيز

- فحين يعرف العزيز هذه الخصلة السيئة   فإنه يلحق بى مائه محنة ومذلة

- ويجرد السيف على النحو الذى تعرفينه   ويجردنى من لباس الحياة

- وما أسوءه من خجل   ذلك الذى يقع على الزناة عقوبة يوم القيامة

وهنا تجيبه زليخا مشجعة بأن لا يخشى العزيز لأنها ستسقيه كأسا تسكره إلى يوم القيامة وتسلمه للمنام الأبدى، ثم تسلمه مقاليد الخزائن والدر والجواهر ليتوب بها عن ذنبه وينال من الله العفو والمغفرة. لكن يوسف يرفض كل ذلك قائلا لها[2]:

- كيف أحصل على عفو ربى برشوة   وليس باستطاعة مخلوق شكر نعمه

- فكيف يقبل رشوة فى الغفران   من لا يأخذ أجرا من أحد على منح الحياة

ومع هذا الاصرار من يوسف تهدده زليخا بأنها ستقتل نفسها. إلا أن ذلك لم ينصرف يوسف عن عزمه، فهرب منها، فأسرعت زليخا تعدو خلفه لتمسك به. فأدركته عند الباب وجذبته من قميصه فتمزق من الخلف.. وألفى يوسف سيده العزيز عند الباب، فكتم عنه ما حدث من زليخا، لكنها تعلن إتهامها ليوسف بمحاولة الاعتداء عليها فى فراشها وهى نائمة. وهنا يشتد غضب العزيز على يوسف. لكن الحق ينطق طفلا رضيعا فيشهد على براءة يوسف، خاصة وأن قميصه قُدَّ من دبر.

وحينئذ ينهال العزيز على زليخا لوما وتوبيخا، ويطلب منها استغفار خالقها لكن الخبر سرعان ما شاع فى المدينة، ولا كته السنة نسوتها فى كل مجلس

---

(١) ندانم ما نمت زين مصلحت جيست   كه نتوانى بمن يك لحظة خوش زيست

- بكفتا مانع من زآن دو جيز است   عتاب ايزد وقهر عزيز است

- عزيزاين كج نهادى جون بداند   بمن صد محنت وخوارى رساند

- برهنه كرده تيغ آنسان كه دانى   كشد ازمن لباس زند كانى

- زهى خجلت كه جون روز قيامت   كه افتد برزنا كاران غرامت

(٢) - خداى من كه نتوان حق كزاريش   برشوت كى شود آمرز كاريش

- بجان دادن جو مرد ازكس نكيرد   در آمرز ش كجا رشوت بذيرد

ومنتدى. إلى أن بلغ مسامع زليخا. فأعدت للأمر عدته، وأقامت حفلا دعت إليه النسوة من علية القوم، وأعطت كل واحدة منهن برتقالة وسكينًا وأدخلت عليهن يوسف وهو فى أبهى زينة وجمال. فلما طلع عليهن طلوع البدر فى السماء:

- غشيتهن الحيرة من جمال وجهه   وظللن من الحيرة كجسد بلا روح[1]
- وحين رأت كل واحدة منهن نفسها فى تلك الحالة   وتمنت أن تقطع برتقالتها
- لم تفرق بين البرتقال وبين يديها   وشرعت فى قطع يدها[2]

وبعد أن حدث لنسوة مصر ما حدث، اعتذرن لزليخا، ورحن إلى يوسف بعد ذلك طالبات منه أن يبادل زليخا الوصال. لكن يوسف العفيف يرفض كل ذلك ويقبل على ربه معتاذًا به من مكرهن. ولما يئسن منه رجعن لزليخا مشيرات عليها بسجنه وردعه. واستصوبت زليخا رأيهن وذهبت لتوها إلى العزيز شاكية باكية افتضاح أمرها وهوان شأنها بين الناس. واضطر العزيز إلى إرسال الفتى العبرى البرئ إلى السجن.

وفى السجن يرقد يوسف حزينًا، لكنه سرعان ما يتذكر خالق الأكوان، فيعود إلى العبادة والاستغفار وشكر الله على انقاذه من محنة النساء وكيدهن "إن كيدهن عظيم" وتندم زليخا على ما فعلته بيوسف وتضيق بها الحياة، حتى هُنَّ لها القصر العظيم وقد تحول إلى سجن موحش، فراحت فى بكاء ونحيب ممطرة دموع الندم ليل نهار. لكن لوعتها كانت تشتد ولهيب شوقها يزداد اشتعالا، الأمر الذى جعلها تشرع فى بهيم الليل الدامس مع وصيفتها إلى السجن لتلقى نظرة على يوسف. وصارت سلوتها بعد ذلك أن تنظر من نافذة قصرها المطل على سجن يوسف ذارفة دموع الأسى والندم.

* * * * * * *

---

(١) - ززيبا شكل أو حيران بما ندند   ز حيرت چون تن بيجان بما ندند
- جوهريك رادر آن ديدار ديدن   تمنا شد ترنج خود بريدن
- ندانسته ترنج ازدست خود باز   زدست خود بريدن كرد آغاز

(٢) - تأثر الشاعر هنا بقوله تعالى: "وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم" آية٢٩، ٣٠ «س يوسف».

قصة يوسف فى السجن هى ذات القصة المعروفة فى القرآن الكريم فها هو يوسف فى السجن يقضى نهاره وليله فى العبادة والدعوة إلى وحدانية الله الواحد القهار، ثم إنه يعبر الرؤيا لرجلين أحدهما ساقى الملك والثانى صاحب طعامه ويصدق التعبير، وتمر الأيام ويرى ملك مصر رؤياه التى روعته وفشل منجموه وعرافوه فى تفسيرها فيسرع ساقيه إلى السجن ويطلب من يوسف تعبير رؤيا الملك، ويعود إلى الملك حاملا تعبير يوسف لرؤياه. فيطلب الملك يوسف إلى حضرته، لكنه يأبى ذلك حتى تتحقق براءته من فرية النسوة قائلا:

- فى هذا البيت لا تأتى الخيانه منى   ولا يصدر عنى سوى الصدق والأمانة[1]

وهنا يأمر الملك باحضار النسوة اللائى حضرن مأدبة زليخا وعلى رأسهن زليخا نفسها. "وينتهى الأمر باعتراف الجميع بذنبهن وما جنته أيديهن فى حق يوسف الطاهر البرئ[2].

- وقالت النسوة أيها الملك السعيد الحظ   والعرش والتاج أكثر سعادة بك
- إننا لم نر من يوسف غير الطهارة   ولم نر إلا العزة والشرف

وقالت زليخا[3]:

- ليس ليوسف ذنب   ولكنى ضللت الطريق فى عشقه
- وطلبته فى البداية لوصلى   فلما رفض تحقيق رغبتى طردته من أمامى

ويسعد الملك لبراءة يوسف فيصدر أمره باحضاره فى عربة ملكية وحينما يمثل فى حضرته يزداد إعجابه به واكباره لطهارته وصدق نبؤته فيأمر بتنصيبه عزيزا لمصر. وتدبير شئون البلاد المالية للخروج بها من وطئة القحط والمجاعة بسلام.. وراح يوسف يعمل بجد وإخلاص لخدمة مصر ومليكها. فلما رأى الملك ذلك منه

---

(١) - درآن خانه خيانت نه آمد زمن   بجز صدق وامانت نامد ازمن
(٢) - زنان گفتند كه اى شاه جوان بخت   بتوفرخنده ترهم تاج وهم تخت
- زيوسف ما بجز پاكى نديديم   بجز عز وشرف تاكى نديديم
(٣) - بگفتا نيست يوسف را گناهى   منم در عشق اوگم كرده راهى
- نخست او بوصل خويش خواندم   چو كام من نداد ازپش راندم

منحه حكم مصر وأجلسه مكانه على عرشها الذهبى وخلع عليه فى عزة وجلال تاج الملك الذهبى.

وتمضى الحياة بيوسف فى حكم مصر بالعدل والمحبة ولم تنقضى فترة الا ويتوفى قطفير - زوج زليخا - وتعيش زليخا بعده فى وحدة قاسية وقد تملكها حب يوسف واصبح شاغلها الشاغل رغم أنها لم تعد تلك الحسناء الخالبة للاسماع والألباب. فقد ذهب عنها جمالها ومالها وأبيض شعرها وذهب نور عينيها[1]. واستقر بها المقام فى كوخ من الغاب على قارعة الطريق. وذهبت عنها الدنيا بكل مباهجها وفتنتها، ولم تبق لها إلا اسمها الذى كان يمنحها شيئا من الراحة والطمأنينة. وكانت تقضى يومها فى ترقب حس الذاهبين والغادين وهم يتخذون الطريق نحو بلاط يوسف ملك مصر.. وفى كل مرة تسمع صوت حوافر الخيل كانت تهرع إلى قارعة الطريق علها تستمتع بسماع صوت يوسف، ولكنها كانت تعود أدراجها حزينة يائسة. وعندما كان يمر يوسف كانوا يخبرونها بأنهم لم يروه، وكان موقفها منهم موقف المستغيث، وكانت تقول[2].

- أقول لكم لا تسعو فى خداعى ولا تخفو مقدم الحبيب عنى

وتتعدد محاولات زليخا لا سماع يوسف صوتها أثناء مروره على طريقها لكن محاولاتها تضيع هباء وتذر الرياح صوتها بين وقع حوافر خيله ونفير حراسه. فيتمزق قلبها أسى وحسرة وتعود إلى كوخها كاسفة حزينة.. وفى نوبة يأس تقوم إلى صنمها فتحطمه بعد أن ادركت فى نهاية الأمر أن الصنم الذى كانت تعبده لم

---

(١) يبدو تأثر الجامى هنا جليا بما ورد فى كتب التفسير عما انتهى إليه شأن زليخا من إعتلال صحتها وفقدها لبصرها وذهاب جمالها فقد تأثر بما أورده القرطبى نقلا عن وهب بن منبه حيث قال: "وذلك أن زليخا مات زوجها ويوسف فى السجن وذهب مالها وعمى بصرها على بكاء "يوسف" القرطبى : تفسير القرطبى صـ٣٢٤٢

(٢) تأثر الجامى هنا بما أورده بعض المفسرين عن وهب بن منبه فى وصف مواكب يوسف وما كانت عليه من حسن وبهاء وقوة وجاه يقول ابن كثير: "وكان يوسف يركب فى كل أسبوع مرة فى موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه ، فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشئ ، ثم قيل لها لا تفعلى ، فربما ذكر بعض ما كان معك من المراودة والسجن فيسئ إليك ، فقالت : أنا أعلم بخلق حبيبى منكم ، ثم تركته حتى إذا ركب فى موكبه فنادت بأعلى صوتها "سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم ، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم"

ابن كثير : تفسير ابن كثير : جـ٢: صـ٦٦٦

ينفعها فى محنتها هذه ولا فى غيرها من الأمور. فقد سألته مرارًا أن يعيد إليها بصرها وأن يجعل يوسف يستجيب لها وينظر إليها، لكن بغير جدوى. وارتاحت نفسها وهدأت روحها بعد أن رأت اجزاء الصنم مهشمة أمام ناظريها. وتوجهت ضارعة إلى الله طالبة غفرانه ورحمته:

- تضرعت ومرغت وجهها فى التراب   وبكت فى حضرة الله الجليل[1]

وما فتأت زليخا تعيد المحاولة تلو الأخرى حتى أكرمها الله فى النهاية فاسمع يوسف صوتها ولحظتها أمر يوسف فحملت إلى قصره، ولما لم يعرفها يوسف قالت له:

- أنا التى حين رأيت وجهك   اخترتك من بين كل أهل الدنيا[2]
- وافنيت شبابى حزنا عليك   وأصبحت فى هذه الشيخوخة كما ترى
- واحتضنت أنت سطوة الملك   ومرة واحدة نسيتنى

ولما سمع يوسف ذلك بكى بكاء شديدا وقال لها:

- اين شبابك وجمالك   فقالت ضاعا فى وصالك
- فقال لها كيف ذهب نور عينيك   فقالت من كثرة ما غرقتا فى الدماء بعدك
- قال ولم تقوس سروك اللطيف   فقالت لقد ذاب من مشقة هجرك
- فقال اين ما كان لك من الذهب والفضة   واين ما كان لك من إكليل وتاج
- فقالت إن كل من تحدث عن حسنك   ونثر الجوهر على رأسى من وصفك
- نثرت من الذهب والراس تحت قدميه   وكافأته بنثر الجواهر[3]

---

(١) - تضرع كرد ورو بر خاك ماليد   بدر گاه خداى پاك ناليد
(٢) - بگفت آنم كه چون روى تو ديدم   ترا از جمله عالم بر گزيدم
- جوانى برغمت برباد دادم   بدين پيرى كه مى‌بينى فتادم
- گرفتى شاهى دولت در آغوش   مرا يكبارگى كردى فراموش
(٣) - بگفتا كو جوانى وجمالت   بگفت از دست شد دوراز وصالت
- بگفتا چشم تو بى نور چونست   بگفت ازبس كه بى تو غرق خونست
- بگفتا آن زر وسيمى كه بود ت   بفرق تاج وديهيمى كه بودت
- بگفت از حسن تو هر كس سخن راند   زو صفت برسر من گوهر افشاند
- زسرو زر درنثار پاش كردم   بگوهر پاشش پاداش كردم

وبعد هذا الحوار يرق لها قلب يوسف ويسألها عن حاجتها بعد أن أقسم بأنه لا يرد لها طلبًا. فسألته زليخا أن يعيد لها جمالها وشبابها وبصرها. فدعى يوسف ربه فرد عليها نور عينيها وجمالها وعاد إليها شبابها وتحولت قامتها المقوسة إلى ألف مستقيم يحاكى السرو فى جماله.. وفاق جمالها كل جمال. ثم عاد يوسف يسألها إن كان لها حاجة أخرى فقالت:

- لا مراد لى إلا أن أكون فى الخلوة معك ويكون لى وصالك[1]

فأطرق يوسف بعد هذا الحوار، فإذا بجبريل ينزل عليه موحيا بما يلى:

- إننا لما رأينا عجز زليخا وسمعنا عرض حاجتها عليك
- أنقذنا قلبها من خنجر اليأس وعقدنا لك عليها بأعلى العرش

******

ويمضى الجامى قائلا بأن يوسف أقام حفلا ملكيا دعى إليه الملوك والأمراء وعقد على زليخا وسط سعادة الجميع[2]، ثم بعث بها إلى مقامه الخاص وفى الليل بقيت زليخا تنتظر يوسف فى خدرها إلى أن طلع عليها يوسف كالبدر فجلس بجوارها ينقش القبلات على فمها ويحتسى ياقوتها ويمضغ عنابها ولم تدم هذه السعادة طويلا، فقد تحول قلب زليخا إلى حب الجمال الالهى[3].. فما كان من يوسف إلا أن أقام لها معبدا تقضى فيه الأيام الباقية من عمرها فى عبادة الله الواحد القهار..

---

(١) - مرادى نيست كفتا غير زنيم كه در خلوتكه وصلت نشينم
- كه ما عجز زليخا راكه ديديم بتو عرض نيازش را شنيديم
- دلش از تيغ نوميدى بخستم بتو بالاى عرشش عقد بستم

(١) تأثر الجامى هنا بما أورده القرطبى حين قال: "ثم زفت إليه فقام يصلى ويدعو الله ، وقامت وراءه فسأل الله أن يعيد إليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت أحسن مما كانت يوم راودته إكراما ليوسف عليه السلام لما عف عن محارم الله "القرطبى : تفسير القرطبى صـ٣٤٣٢".

(٢) تأثر الجامى هنا بما أورده القرطبى وغيره ونقرأ فى القرطبى ما نصه: "وفيما يروى أن الله ألقى فى قلب يوسف من محبتها أضعاف ما كان فى قلبها فقال لها: ما شأنك لا تحبيننى كما فى أول مرة؟ فقالت: لما ذقت محبة الله تعالى شغلنى ذلك عن كل شيء"
المرجع السابق صـ٢٤٤٤

وتنتهى القصة بوفاة يوسف، فيتملك الأسى قلب زليخا وتموت حزنا عليه.

ويتبع الجامى قصته بفصول متعددة من الشعر التعليمى.. ولا غرابة فى ذلك فالصوفية يقصدون من القصص مغزاها..

******

الفصل الرابع

أوجه الشبه والاختلاف بين منظومة الجامى والأخرى المنسوبة للفردوسى

لاحظنا فيما سبق أن القصة المنسوبة للفردوسى قد ركزت اهتمامها بصورة أساسية حول يوسف، وتناولت أحداث القصة تناولا يتفق مع ما أورده الرواة من تفصيلاتها، تلك التفصيلات التى حفلت بها كتب التفسير وقصص الأنبياء.. فإذا ما انتقلنا إلى قصة الجامى وجدنا أنه تناول القصة تناولا فنيا مغايرا للقصة الأخرى بحيث جعل يوسف وزليخا يتقاسمان بطولة القصة، فلم تعد زليخا مجرد شخصية من الشخصيات التى مرت فى حياة يوسف بل وجدناها فى قصة الجامى بطلة حقيقية، تهتم القصة بأحداث حياتها كما تهتم بيوسف. وقد اقتضى ذلك من الجامى كثيرا من الاختراع والخيال المحلق فالمادة القصصية التى جاء بها عن زليخا تكاد تكون فى أهم جوانبها من وحى خيال الشاعر. أما بالنسبة لشخصية يوسف فقد حذف الجامى - كما مر بنا فى تسلسل السياق - كثيرا من التفصيلات التى اهتمت بها المنظومة المنسوبة للفردوسى، وبخاصة تلك التى وردت حول أسلافه وصباه ونشأته الأولى وعلاقته باخوته ورحلاتهم بين مصر وأرض كنعان.

ومن الفروق الجوهرية بين المنظومتين أن الجامى ركز على فكرة الحب الذى جمع بين يوسف وزليخا وصور هذا الحب بأسلوب صوفى، وجنبها كثيراً من الصفات الحسية التى رأيناها فى المنظومة المنسوبة للفردوسى.

فالمنطلق الأساسى لمنظومة الجامى هو الحب الصوفى(١)، ولذلك كان اختراعه لكثير من الأحداث التى تخدم منطقه. ومن ذلك مثلا - الرؤى الثلاث لزليخا والتى لم ترد فى اى من الكتب والمصادر التى تناولت القصة الأساسية. فزليخا ترى يوسف فى منامها قبل أن تراه بالعين المجردة ترى شابا رائع الحسن، يفوق جماله كل جمال بشرى، فما كاد بصرها يقع عليه حتى عشقته وأدى ذلك إلى انبثاق جذوة الحب فى فؤادها ووصولها إلى جنون العشق، وللمرة الثانية يظهر ذلك الفتى الجميل لزليخا فى منامها، فتبذل قصارى جهدها لتعرف شيئًا عنه، فيخبرها بأنه إنسان وأنه يبادلها الحب. وهذا الحلم الثانى يصيب الفتاة بالجنون فيقيدها أهلها بسلاسل من ذهب خوفا عليها. ويظهر الفتى لزليخا فى منامها للمرة الثالثة، فتتوسل إليه أن يخبرها باسمه وموطنه، فيخبرها الفتى بأنه عزيز مصر.. فيسعدها هذا الخبر، وتثوب إلى رشدها وتشفى من جنونها. ويعيش عقلها وقلبها فى حلم بلقاء عزيز مصر.

وهكذا أراد الجامى أن يصور بطلة القصة بطريقة أكثر تفصيلا مما وجد فى التراث القصصى الذى كان بين يديه. وربما كانت زليخا فى نظر الشاعر رمزا للنفس التى تسعى لبلوغ الطهر والنقاء والمحبة، فتتعثر بها شهواتها واحلامها، وتظل فى كفاح وسعى حتى يتحقق لها النقاء بالحب الحقيقى. وتدرك أن ما كانت تعانيه من أشواق دافعها الشهوات لم تكن هى المحبة المنشودة. وقد جعلها الجامى طالبة للجمال الأكمل تحلم به وتسعى إليه وتطلبه، ولكنها لا تصل إليه إلا حين يتحقق لها الطهر والنقاء وتبلغ آسمى حالات الصفاء. هذا الرمز الذى يمكن استخلاصه لا يسبب أى ضعف للأداء القصصى. فالقصة تربط فى براعة بين البطلين منذ حلم زليخا الأول وحتى صار يوسف عزيزا لمصر(٢). فقد ظلت مقيمة على حبها لفتى أحلامها الأول، ثم إنها تظل عذراء مع زوجها طوال حياتها. وهذا قريب من الزواج الصوفى الذى عزاه الصوفية إلى شخصية ليلى فى الأدبين الفارسى والتركى.

---

(١) الحب الصوفى هو الذى يتخذ فيه المحب موضوع حبه من الذات الالهية أو الحقيقة العلية ويتحدث فيه عن الحب المتبادل بين الله والإنسان او بين الحق والخلق على حد تعبير الصوفية أنفسهم.
مصطفى حلمى : الحب الالهى فى التصوف الاسلامى : ص٥ مصر ١٩٦٠

(٢) الغنيمى هلال: الأدب المقارن : صـ٣٠٢ ، ٣٠٣، مصر ١٩٧٧م.

وتظل العاطفة قوية لدى زليخا، كما تظل ليوسف نظراته الصوفية حتى يعلم بوقوع زليخا فى حبه، وأنها وقد عميت وهرمت تقيم فى كوخ من اليراع تستمع إلى وقع سنابك حصان يوسف على الطريق. فيدعو الله أن يرد لها شبابها وبصرها. ويستجيب الله له.. ثم لا يلبث بعد زواجه أن يمل نعيم هذه الدنيا، فيسأل الله أن يعّجل برحيله إلى دار النعيم فتموت زليخا حزنا عليه.

ولنفس هذا السبب خلق الجامى شخصية جديدة فى القصة هى شخصية "بازغة" وهى فتاة عالية النسب، بارعة الحسن، وافرة الجمال والمال. وقد جعلت منها هذه الصفات فتاة معتدة بذاتها.. وقد أحبت هذه الفتاة يوسف لما سمعته عن وصفه لكنها أرادت أن تظهر عليه تفوقها فى الجمال والبهاء. فارتدت أجمل ما عندها من ثياب وخرجت فى موكب وأناقة لا قبل لأحد بها.، وقصدت إلى الميدان الذى عرض فيه يوسف للبيع. وحين وصلت إلى حيث تجمع الناس لم تجد أحدا يلتفت إليها. فالكل تسمرت أعينهم إلى حيث النور الذى انبعث من قمرى الوجه يوسف. وما أن وقع بصرها عليه حتى بهرها حسنه. ثم أفاقت وأخذت تحادثه : "يا من يستقيم بك أمر كل ذى حسن، من ذا الذى زينك بمفاتن هذا الجمال، من ذا الذى جعل شمس جبينك تتألق، وأى مصور بارع أبدع قلمه فى نقشك، وأى بستانى تعهد شجرة سروك حتى اقتبست هالة القمر نورها من جبينك. فأجابها يوسف: "أنا صنعة صانعى وقطرة من بحره كافية لخلقى، وما الفلك إلا نقطة كماله، وما العالم إلا برعمة من حديقة جماله وقد أشرقت الشمس بنور حكمته، وما السموات إلا حباب من بحر قدرته[1].

ويمضى يوسف فيحدثها عن فضيلة التواضع وقهر النفس حتى تخلت هذه الفتاة عن غرورها ونفضت يدها عن مالها، وبنت لها غرفة متواضعة على شاطئ النيل حيث قضت بقية عمرها فى عبادة الله الحق. وهذا هو ما ينادى به الشاعر

---

(١) - بگفت اى ازتو كار نيكوى راست   بدين خوى جمالت راكه آراست
- كد ماين خانه زنقش تو بپرداخت   كدامين باغبان سروتو آراست
- بگفت صنعت آن صانعم من   از بحرش برشهى قانعم من
- فلك يك نقطة از كلك كمالش   جهان يك غنچه ازباغ جمالش

فى بداية قصته بعدم التخلى عن العشق ولو كان مجازا لأنه يصل بالإنسان فى نهاية المطاف إلى الحقيقة. ومن ثم فقد حققت شخصية بازغة "هدف الشاعر من الوصول إلى تلك الفكرة".

وإذا عدنا إلى بطلى القصة "يوسف وزليخا" لوجدنا أن الجامى قد حاول استخدام مهارته الفنية فى الربط بينهما فى عالم الواقع بعد أن ربط بينهما فى عالم الخيال والرؤى والأحلام. وهكذا نراه يجلس زليخا مع يوسف لتسمع منه حكاية محنته مع إخوته حين ألقوه فى الجب، فتدرك أن ذلك الأمر كان له صداه فى نفسها حين وقع. وتبلغه بأنها شعرت حينذاك بحزن عميق لم تعرف له سببا. وحين أخبرها يوسف بمحنته فى الجب أدركت أنها كانت قد استشعرت الحزن ساعة كان يعانى يوسف آلام الوحدة فى أعماق الجب.

ولما كانت الغاية من القصة فى شعر الجامى هى "الوصال بين الحبيبين" فقد حذف الجامى ـ كما مر بنا فى تتابع الأحداث ـ كثيرا من الأحداث التى وردت عن القصة فى التوراة والقرآن الكريم، وخاصة تلك الأحداث المتعلقة باحزان يعقوب ورحلات أولاده الثلاث إلى مصر، مركزا على الأحداث التى تجمع بين شمل الحبيبين والتى انتهت بزواجهما، ثم تحول زليخا عن يوسف إلى الحب الالهى، والذى أصبح يوسف فى عالمه ذرة من الذرات. وقد برع الجامى فى تصوير تلك المواقف، وبلغ الذروة فى هذا الفن.

لكننا نأخذ على الجامى عدم اهتمامه الكافى بالحبكة الفنية للقصة، وتطويرها ودفعها نحو ذروة درامية لها تنتهى إلى الحل أو "الخاتمة". ومثالا على ذلك نراه بعد الحديث عن ولادة يوسف عليه السلام وسعادة يعقوب بذلك ـ نراه يقطع ذلك الخيط ليتحدث فى موضوع آخر هو شخصية "زليخا" التى كان يتحول المغرب بشروق شمس جمالها وعند تعدد خطابها. وكان من الأنسب له متابعة الحديث عن حياة يوسف وسعادة يعقوب به والانتقال من ذلك إلى حدث آخر يخدم تسلسل السياق ويتفق مع منطق التطور الدرامى للأحداث، كما فعل نظيره صاحب القصة المنسوبة للفردوسى. فقد شغل الجامى نفسه بإبراز حرارة الحب

ولهيب الشوق بين يوسف وزليخا، كما شغل نفسه بعرض آرائه فى حياة الصوفى وزهده وآرائه فى الحب الصوفى والجمال الروحى، واتخاذه طريقًا للوصول إلى الله عن طريق التأمل والتفكر. ولقد ذهب لتحقيق هذه الفكرة(١). مذاهب شتى، فهو تارة ينصح ابنه بأن يظل أعزب لأن العزوبة خير من الزواج "إذا استطعت أن تنام بدون قرين مثل المسيح عيسى، فلا تعط كنز التجرد عن يد بدون مقابل وخير أن تحرم العين نور الراحة من أن تقاسم مضجعك إحدى الحور، والرقاد فوق الرماد الساخن من اتون الحمام خير من الرقاد بجانب امرأة على سرير لين". ونراه تارة أخرى يكتب الحكايات التى يشرح فيها رأيه فى العشق: "سمعت أن مريدا طلب من شيخه العون فى إرشاده، فقال له الشيخ إذا لم تكن قد ثقلت خطاك فى طريق العشق فاذهب واحب ثم عد إلينا، اذ بدون كأس خمرة المعنى فلن يستطيع امرؤ تذوق جرع المعنى، لكن لا تمكث طويلا أمام المجاز، واعبر سريعا ذلك الجسر، فإذا أردت أن يوضع رحلك فى منزل الوصال فلا ينبغى أن تقف على رأس الجسر(٢).

وهذه الحكايات وغيرها كانت على حساب باقى أحداث القصة كما وردت فى القرآن الكريم وكتاب التوراة وكتب التفسير وكتب القصص الإسلامى. وكان يمكنه الاستفادة من الأحداث التى وقعت ليعقوب بعد فراق ولده، وأنواع الابتلاءات والالآم التى عاشها، وتوظيف هذه الأحداث داخل الاطار الصوفى للقصة بما يخدم بناءها الفنى..

وفى المقابل.. نرى صاحب القصة المنسوبة للفردوسى، وقد استفاد من كل هذه الأحداث ووظفها التوظيف الدرامى اللازم ـ على نحو ما أسلفنا عنه القول ـ مما دفع قصته إلى مركز متقدم عن قصة الجامى فى مجال البناء الفنى..

---

(١) الغنيمى هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية : ص٢٠٧ مصر ١٩٦٠م.

(٢) ـ شنيدم شد مريدى پيش ميرى كه باشد در سلوكش دستگيرى
ـ بگفت اريا نشد در عشقت از جاى برو عاشق شوانكه پيش من آئى
ـ كه بى جام مى صورت كشيدن نيارى جرعه معنى چشيدن
ـ ولى بايد كه در صورت نمانى وزين پل زود خود را بگذرانى
ـ چو خواهى رخت در منزل نهادن نبايد : بر سرپل ايستادن

وقد لاحظ ذلك خيامپور فى دراسته لقصة الجامى، ومن ذلك قوله: "تتميز أحداث هذه المنظومة بالايجاز بالقدر الذى تتميز به المنظومة المنسوبة للفردوسى بالاطناب، ولهذا ضعف الجانب الفنى والقصصى فيها[1].

لكن ذلك كله لا ينال من القيمة الأدبية الرفيعة التى بلغتها منظومة الجامى فى عالم الأدب، مما جعلها بحق ـ درة لامعة فى سماء القصص الصوفى فى الأدبين الفارسى والتركى[2].

هذا.. ومن السمات المشتركة بين المنظومتين انتشار الاسرائيليات وتأثر الشاعرين بها فى سياق المنظومتين.. وربما كان ذلك راجعًا إلى وحدة المصادر لدى كل منهما فكلاهما نقل من القرآن وكتاب التوراة، وكتب التفسير المختلفة وكتب القصص الإسلامى.. لكن الجامى كان أقل من سابقة تأثرا بالاسرائيليات.. وكان سبب ذلك راجعًا إلى حرص الجامى على استبعاد كثير من الأحداث التى وردت فى القرآن الكريم.. بينما حرص صاحبنا الآخر على الاستفادة من كل الأحداث التى تدور حول أسرة يعقوب.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن وحدة المصادر ـ تلك ـ كانت سببًا لظهور بعض السمات المشتركة فى أسلوب الأداء الفنى عند كل من الشاعرين. وتأكيدًا لهذا الزعم فإننا نقدم شاهدًا مشتركًا لأحد المشاهد فى المنظومتين. وليكن ذلك المشهد الذى يتحدث فيه الشاعران عن ذلك المنظر الحزين الذى يقف فيه يوسف باكيا متألمًا مما لقيه من عذاب واذلال على يد اخوته العشرة. وها هو يقف بجوار البئر مناجيا طيف يعقب الحزين.

يقول الجامى فى وصف هذا المشهد:

ـ فلما يئس منهم صرخ مستغيثًا   فكان يزرع من دم عينيه الشقائق على وجنتيه[3]

---

(١) خيامبور : يوسف وزليخا صـ٣٥.

(٢) خيامبور : يوسف وزليخا صـ٣٥.

(٣) ـ چوشد نوميد زيشان ناله برداشت   زخون ديده بر كل لا له ميكاشت
ـ كهى در خون كه درخاك ميخفت   زاندوه دل صد جاك ميكفت
ـ كجائي اى بدر آخر كجائي   زحال من جنين غافل چرائي
ـ بيا بنكر كنيزك زاد كان را   زراه عقل ودين افتاد كانرا=

- فمرة يغرق فى همه وأخرى يتمرغ فى التراب   قائلا والحزن يمزق نياط قلبه
- أين أنت يا والدى أين أنت   وما الذى أغفلك عن حالى هكذا
- تعالى وانظر أبناء الأمة   الذين حادوا عن طريق العقل
- تعالى تر فى أى حال أنا   وكيف تطؤنى أقدام هؤلاء الحاقدين
- لقد أذللت عزيزك بيديك   وابحته لمخالب أعدائه
- وألقيت بى فى قبضة القساة   فوضعت غزالا فى مخالب الذئاب
- وانظر ماذا يصنعون بتوأم قلبك   وكيف يؤدون شكر إحسانك
- فالوردة التى ترعرعت فى رياض روحك   ورويتها أمطار إحسانك
- ذبلت هكذا ظمأ واستلبت نضرتها   وضاع عبيرها
- والغصن المدلل فى الجنان   والذى زرعته فى رياض عمرك
- اسقطته على الأرض رياح الظلم   حتى علته الأشواك والأعشاب
- والبدر الذى كان ينير ليلك   وكان بمنأى عن ظلمة الفلك
- أصابته يد الفلك بالأذى   حتى أنه يستجدى شعاعا من نور الهلال
- وظل على هذه الحال ثلاثة فراسخ   منه السلام ومن هؤلاء القساة القلوب العداء
- ومنه اللين ومنهم جهامة الوجه   ومنه حار القول، ومنهم بارده(١)

= - بيا بنكر مرا تا درجة حالم   بدست اين حسودان با يمالم
- عزيز خويش راخود خوار كردى   بدست دشمنان افكار كردى

نقلا عن الترجمة العربية ليوسف وزليخا : ت: عبد العزيز بقوش صـ١٨٦ ، ١٨٧

= - بيا بنكر مرا تا درجة حالم   بدست اين حسودان بيا يمالم
- عزيز خويش راخود خوار كردى   بدست دشمنان افكار كردى
(٢) - مرادر جنك بيمهران فكندى   غزالى در كف كركان فكندى
- كه با كام در دل جه دارند   حق الطاف توچون ميكزارند
- كلى كز روضه جانت دميد است   بروباران احسانت جكيد است
- جنان از تشنكى بيتاب ما نده   كه نى زنك انـدرونى آب مانده
- نهال ناز برورده بهشتى   كه دربستا نسراى عمر كشتى
- جنان ازباد جور افتاده برخاك   كز جويد بلندى خار وخاشاك
- مهى كزرى شبت را نور بودى   زظلمتهاى دوران دور بودى
- رسيدش ازفلك زا نسسان وبالى   كه جويد لمعه نوراز هلالى
- بد بنسان بود حالش تاسه فرسنك   ازاو صلح وزآن سنكين دلان جنك
- ازونرمى از ايشان سخت روى   ازاو كرمى وزا بشان سرد كوئى

تابع الترجمة العربية للدكتور بقوش صـ١٨٧.

- إلى أن وصلوا فجأة إلى حافة البئر ... فتوقفوا عند حافتها
- ولما هموا بدفع ذلك البدر الوردى الطلعة ... فانهم أسعدوا ذلك البئر التعس
- استجار من ظلمهم مرة أخرى ... وأجهش فى البكاء والأنين
- لو فهمها الحجر لاستحال من حرقتها ... أرق من الشمع نعومة
- بيد أنه كلما اشتد توسل ذلك الصوت ... زادت قسوة قلوبهم
- وماذا أقول عما اجترموه من ظلم ... إن قلبى لا يصدق ما فعلوه[1]

* * * * * *

ويصف صاحب المنظومة المنسوبة للفردوسى نفس المشهد بقوله: -

- فسلكوا الطريق إلى داخل الوادى ... ووصلوا فى النهاية إلى قرب البئر
- وعندما رأى يوسف البئر تمزق قلبه ... وقطع الأمل من قلبه نهائيا
- فانفجر فى البكاء والعويل ... وزاد صراخه وأنينه
- وعندما رأى ذلك الطفل البرئ البئر ... تضرع وقلبه يتقطع ألما[2]
- وشق من العيون سيلا من الدم ... وخرج القلب المتألم من عينيه
- وقال: السلام عليك أيها الأب ... إن شأنى مع الدنيا قد شارف نهايته
- وانقطع أملى عن رؤية وجهك ... كما قطعت قدمى عن السير فى جادتك
- واغلقوا عينى دون النظر إليك ... وعلمونى آية الفراق

---

(١) - كه ناكه برسر جاهى رسيدند ... زرفتن برسر جاه آرميدند
- جوايشاندفع آن كلجهره مه را ... يسند يند آن نا بهره جه را
- دكر بازاز جفا شان داد برداشت ... بنوعى ناله وفرياد برداشت
- كه كرآن سنك را معلوم كشتى ... زسوزش ترم ترزموم كشتى
- ولى آن سازتيز آهنك ترشد ... دل چون سنك ايشان سنك ترشد
- جه كويم كزجفا ايشان جه كردند ... دلم ندهد كواهى آنجه كردند

نقلا عن ترجمة د. عبد العزيز بقوش : يوسف وزليخا الجامى ص١٨٦ ، ١٨٧، ١٨٨.

(٢) - بوادى درون بركر فتند راه ... رسيد ند فرجام نزديك جاه
- جو جه ديد يوسف دلش كشت جاك ... اميد ازدل خويش ببريد باك
- غر يويدن وزارى اندر كرفت ... زهر كونه نوحها بركرفت
- جوجه ديد آن باك تن ... بناليد ويكر يست برخو يشتن=

ـ وأشعلت بى الدنيا نيران المنية فأحرقت كلينا أنا وأنت
ـ وذهب شبابى وروحى هباء فليكن لك صبر الآن على مماتى
ـ إنك لا تعرف ماذا صنع بى الدهر وكيف قست الدنيا على جسدى
ـ إنك تظن أيها الأب أننى سعيد الحظ مشغول فى اللهو واللعب مع الأخوة العشرة
ـ أيها الوالد السعيد إننى لست سعيدًا فى اللعب
وانظر فى قاع البئر تجدنى أرشف فى اغلال الحبل
ـ واغسل يدك وقلبك منى إلى يوم الحشر
وإذا كنت تبحث عنى فابحث فى قاع البئر(1)

ـ فقد أخذنى اخوانى منك بالحيلة وأقسموا بأغلظ الايمان
ـ على أنهم سوف يحافظون على محافظتهم على الروح
ـ انهم الآن يفصلون روحى عن جسدى وينقضون بذلك كل ايمانهم
ـ ومادمت حيا أيها الأب فلا تثق بإيمان بعد هذا
ـ فليس فى قلوبهم نور الرحمة وكل ايمانهم كاذبة
ـ فيا حسرة أننى اغتررت بالقسم فجئت إلى الصحراء مع الأعداء
ـ فإن الذى يسقط الماء عليه فى بيته يستطيع أن يتدبر الأمر جيدا
ـ فيا أسفا: لقد أخرجنى العدو من البيت ولهذا صرت عاجزا
ـ كان يوسف يقول هكذا ويتضرع بمثل هذا الكلام وكان ينثر الدمع من عينيه

= ـ كشاد ازره ديدگان سيل خون زچشمش دل خسته آمد برون
ـ چنين گفت بدرود باش اى بدر كه كار من آمد زگيتى بسر
ـ كسسته شد اميدم از روى تو بريدند پاى من ازكوى تو
ـ زديدار تو چشم من دو ختند مر آيت دورى آمو ختند
(1) ـ جهان آتش مرك من برفروخت مرا وترا اى بدر هرد وسوخت
ـ جوانى وجانم شداز من بباد بمرك من اكنون ترا صبر باد
ـ ندانى كه با من زمانه چه كرد جهان باتن من چه زنهار خورد
ـ بندارى اى باب نيك اخترم كه باده برادر ببازمى درم
ـ من اى باب فرخ نه در بازيم ببين در بن چه رسن بازيم
دل ودست تاحشر از من بشوى وكسر جوئيم در بن چاه جوى=

- ومع كل تلك التضرعات والتوسلات   سحبوه بذلة ومهانة
- هكذا سحبوه مسكينا وذليلا   إلى ذلك البئر
- لا وجه للنجاة، ولا أمل فى احد   ولا مغيث إلا الله[1]

****

ولكى يتضح لنا أكثر مدى اعتماد الشاعرين على بعض كتب التفسير وما حوته من اسرائيليات فإننا نورد ما ذكره الطبرى فى تفسيره عن الموقف السابق، حيث يقول: " فأرسله معهم فأخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما برزوا به إلى البرية، واظهروا له العداوة وجعل اخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الاماء"[2]...

كما تعكس لنا تلك اللوحة السابقة بروز بعض السمات والخطوط المشتركة فى كلتا المنظومتين، إلا أن تفوق الجامى وذوقه الرفيع كان أظهر للعيان، فهو صانع ماهر وفنان صادق يعرف كيف يختار اللفظة المعبرة والموحية ويعرف كيف يضعها فى موضعها المناسب من الجملة الشعرية، وكيف يوزع الظلال ويضفى عليها هذا الطابع الصوفى، فهو حين يتحدث عن يوسف، لا يتحدث عن بشر من بنى

= - زدست تواخوان من سر بسر   بحيلت مرا بستد ندای بدر
- بخوردند سوكند هاى كران   كه دار ندم امروز همتاى جان
- زتن جانم اكنون جدائي دهند   همى خورده سوكند ها بشكنند
- مدار اى بدر تاتو باشى مدار   ازين بس بسوكند شان استوار
- كه شان نيست در دل زرحمت فروغ   بود پاك سوكند ها شان دروغ
- دريغا بسوكند غره شدم   كه باد شمنان سوى دشت آمدم
- كس كش در افتاد در خانه آب   تواند بتدبير كردن صواب
- دريغا مرادش من أزخانه خاست   ازير جنين كار من بنيه نواست
- هميگفت ازاينسان سخنهاى زار   هميكرد خون ازدود يده نثار
- كشيد نش ايشان بخوارى همى   بدان زادى وسوكوارى همى
- چنان مستمند وچنان خاكسار   كشيد نش اورا بدان جا همسار
- نه روى رهائي نه اميد كس   نه جزايزد ش. هيج فريادرس

(٢) الطبرى : تفسير الطبرى : جـ١٢ ص٨٩.

الإنسان، وإنما يتحدث عن غصن مدلل لطيف زرع فى الجنان ووردة ترعرت فى رياض يعقوب وروتها أمطار إحسانه حتى أسقطتها على الأرض رياح ظالمة عاتية، وهو بدر كان ينير ليل يعقوب بمنأى عن الفلك حتى أصابته يد ذلك الغادر الحاسد. وألقته فى البئر، فسعد ذلك البئر الموحش بيوسف البدر المنير. وهكذا نرى هذه اللوحة الجميلة المتناسقة الألوان والظلال خالية من المحسنات المتعارف عليها، ومن ترادف الألفاظ وتكرار الصور، وهو ما عهدناه فى اللوحة الأخرى المنسوبة للفردوسى.

وتتصل نقاط الاختلاف بين الشاعرين لتشمل طريقة كل منهما فى بناء الشخصيات ودور كل شخصية فى تطوير احداث القصة.. وقد أسلفت القول فى الحديث عن بطلى القصة "يوسف وزليخا"، وجاء الدور الآن للحديث عن الشخصيات المساعدة.

وفى البداية نتحدث عن شخصية المربية:

أولاً: فى المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تظهر هذه الشخصية فى تلك المنظومة فى منتصف أحداث القصة، وذلك حينما تعى زليخا الحيل للفوز بعشق يوسف ووصاله، فتلجأ إلى المربية التى تنصحها ببناء قصر المرايا، وتقوم هى نفسها بالاشراف على ذلك البناء وتزيينه ثم تهيأ لزليخا فرصة لقاء يوسف منفردين فى ذلك القصر.. وتقع هذه الأحداث فى تسعة وسبعين بيتا.

ثانيا: فى منظومة الجامى:

تطالعنا هذه الشخصية مع بداية أحداث القصة، وذلك حينما تحكى لها زليخا حلمها الأول وتسألها المشورة فيما ألم بقلبها من عشق طيف حبيب لا تعرف له إسما ولا نسبا ولا موطنا. فهى ليست امرأة عادية كباقى النساء المحيطات بزليخا، وإنما هى كما يصفها الجامى بقوله:

- مربية ساحرة على قدر كبير من الالمام بالعشق[1]
- خبيرة بطرق العشق إذ كانت عاشقة تارة ومعشوقة أخرى

(١) ـ ازآن جملة فسونكر داية داشت كه تزفسونكرى سرماية داشت

ـ فهى تصل المعشوق بالعاشق   وتجعل الحبيب العنيد يوافق

ـ وهى بذكائها ودهائها تدرك   تغير حال زليخا بعد أن رأت انشغال قلبها

وتخاطب زليخا بقولها:

ـ انا اعرف يقينا أن قمرا قد طلع على سبيلك   فقولى من يكون ذلك القمر

ـ فلو كان ملكا فى السماء   وسبكت ذاته من نور القديسين

ـ فإنى أسبح وادعو   إلى أن أحضره من السماء إلى الأرض

ـ ولو كان شيطانا هائما فى الجبال والغابات   فإنى أجعل قراءة العزائم عملى وحرفتى

ـ واتلو التعاويذ   لتسخيره واضعه فى زجاج وأجلسه أمامك

ـ ولو كان من جنس الآدميين   فانى اريح خاطرك فى الحال(1)

ثم تظهر هذه الشخصية مرة أخرى بعد انتقال زليخا إلى مصر، فحين رأت سيدتها فى شوق لرؤية عزيز مصر نراها "بكل مكر واحتيال تثقب ثقبا ضيقا فى تلك الخيمة يشبه فى ضيقه عين الخيام.

ثم هى تبنى لزليخا قصرا من سبع غرف وترتب لقاء الحبيبين فى هذا القصر ليتحقق لسيدتها الفوز بلقاء الحبيب خفية عن أعين الحساد، ويصف الجامى ذلك بقوله:

ـ يا من طلبت منك العون مائة مرة   وكنت مخلصة لى فى كل عمل

ـ فلتساعدينى مرة أخرى وأنظرى   إلى احزانى وأرفعيها عنى

ـ واسعى نحوه من أجلى وكونى   لسانى عنده وخبريه عنى

---

(1) ـ براه عاشقى كار آزموده   كهى عاشق كهى معشوق بوده

ـ بهم وصلت ده معشوق وعاشق   موافق سازيارتا موافق

ـ يقين دانم كه زد ماهى ترا راه   بكو روشن مراتا كيست آن ماه

ـ اكر برآسمان باشد فرشته   زنور قديسان باشد سرشته

ـ بتسبيح ودعا خواتم خيانش   كه آرم برزمين از آسمانش

ـ اكر باشد يرى اذكوه وبيشه   عزائم خوانيم كارمت ولیشه

ـ به تسخيرش عزائم ها بخوانم   كنمْ در شيشه وبيشت نشانم

ـ دكر باشد جنس آدمى زاد   بزودى سازم ازوى خاطرت شاد

(2) ـ بكفت اى از توصد يا ريم بوده   بهر كارى هوا داريم بوده

ـ مرا يكبار ديكر يارىى كن   زعم خواريم غمخوارى كن

ـ قدم ازتارك من كن بسويش   زيان من شو واز من بكويش

ولما عجزت زليخا عن تحمل فراق يوسف بعد أن أدْخِلَ السجن بسببها نراها تصحب مربيتها ليلا لتشاهد جمال يوسف، وتتكتم مربيتها "كاتمة أسرارها" خبر زيارتها عن الجميع خوفًا على سمعة سيدتها بعد أن سبق ولا كتها ألسن الجميع بعد افتضاح أمرها مع يوسف.. وهكذا نرى الجامى يولى دور المربية عناية أوفى ومساحة أكبر من رقعة العرض، فهى تستغرق من أبيات المنظومة مائتى بيت.

ب) الاخوة العشرة : فى المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تزداد المساحة التى يحتلها هؤلاء الإخوة اتساعًا فى هذه المنظومة. ويأتى دورهم فى بداية الأحداث متفقًا مع دورهم الذى ورد فى التوراة ثم فى القرآن ثم نقابلهم بعد ذلك وهم يترددون بين مصر وكنعان فى رحلتهم الثلاثية حينما عم القحط أرض كنعان، ثم حينما احتجز يوسف بنيامين، ثم هم يصطحبون آل يعقوب للإقامة فى مصر. وفى نهاية القصة يوزع يوسف بينهم الملك ويخلفه أحدهم على عرش مصر، وتقع هذه الأحداث فى ألف وخمسمائة بيت.

ثانيًا : فى منظومة الجامى:

يحتل الأخوة العشرة رقعة ضيقة من مساحة العرض فى هذه المنظومة. فنحن نراهم على مسرح الأحداث مرة واحدة فى بداية المنظومة، وذلك حينما حسدوا يوسف وأجمعوا أمرهم فيما بينهم على القائه فى الجب، ثم وهم يبيعونه لأصحاب القافلة. وتقع هذه الأحداث فى مائه وسبعين بيتا.

ثالثا: شخصية يعقوب فى المنظومة المنسوبة للفردوسى:

تلعب هذه الشخصية دورا رئيسيًا فى هذه المنظومة، حتى أنها تحتل الجزء الأول من أحداث القصه. فالشاعر يتحدث عنه فى بداية المنظومة واصفًا ما حدث بينه وبين أخيه عيصا، وفراره إلى الشام وزواجه من ابنتى خاله لا بان "ليا وراحيل". ومن خلال ذلك يتحدث عن ولادة يوسف وحب يعقوب له وايثاره على باقى اخوته. كما يتحدث عن رؤى يعقوب ورؤى يوسف وتفسير يعقوب لهذه الرؤى وتحذير يوسف من ابلاغ اخوته بمضمونها.. كما يتحدث الشاعر عن أحزان يعقوب على فقد يوسف وصراعه مع أبنائه واقامته بيتًا للأحزان، ثم يتحدث عن

استقباله لأعرابى حمل له رسالة من يوسف واكرامه ودعائه لهذا الاعرابى، كما يذكر رسائله إلى عزيز مصر أيام المجاعة ونصائحه لأولاده أثناء تنقلهم بين الشام ومصر. إلى أن قدم إلى مصر مع أسرته واستقر به المقام هناك، وجمعه شمل يوسف وزليخا بالزواج إلى أن وافته المنية ودفن طبقا لوصيته بأرض كنعان، وتقع هذه الأحداث فى ألف وأربعمائة وعشرين بيتًا .

شخصية يعقوب فى منظومة الجامى: .

على نحو ما مر بنا فى تحليل دور الأبناء العشرة، فإن شخصية يعقوب تلعب دورًا محدودًا فى بداية أحداث المنظومة، حيث يقتصر الحديث عنه فى تصوير فرحه بولادة يوسف وخوفه عليه وإيثاره على باقى اخوته. والصراع بينه وبين أبنائه حول حمله إلى الصحراء وبذلك ينتهى دور يعقوب وإسهامه فى أحداث القصة. وتحتل هذه الأبيات خمسين بيتا من أبيات المنظومة.

وإذا كان الجامى قد صبغ منظومته بلون صوفى خالص فإننا نزعم أنه وجد "بداية" لمثل هذا اللون فى المنظومة المنسوبة للفردوسى. فقد سبق أن مر بنا فى الحديث عن زليخا تحولها عن حب يوسف إلى حب الله رغم كل ما حدث منها فى الفترة الأولى من حياتها مع عزيز مصر قطفير للفوز بحب يوسف ووصاله. وبعد أن منَّ الله عليها بعودة شبابها وجمالها بعد ما كانت عليه من شيخوخة وعجز وهوان. . ونحن نعتقد أن الجامى قد استفاد من هذه النبتة الصوفية فى هذه المنظومة فتعهدها بالعناية والرعاية بما لديه من مهارة فى هذا المجال، حتى كبرت ونمت وصارت دوحة صوفية وافرة الظلال على هذا النحو من الجمال والحسن والبهاء الذى ظهرت به فى عالم الأدب الصوفى الرفيع.

وإذا كانت هذه البرعمة الصوفية التى ظهرت فى المنظومة المنسوبة للفردوسى قد بدت غير مكتملة النضوج، فإننا نعتقد أن ذلك راجع إلى طبيعة العصر الذى زرعت فيه "القرن الخامس الهجرى" "فلم يُعرف أحد من شعراء هذا العصر بهذا اللون من الشعر، وكل ما وصلنا عن هذه الفترة من هذا اللون من الأدب هو ما ذكره أستاذنا المرحوم محمد كفافى فى تعليقه على التحول الذى أصاب زليخا

واتجاهها إلى حب الله وذلك فى المنظومة المنسوبة للفردوسى. ومن ذلك قوله : "إننا نجد تصويرا لهذه الفكرة الصوفية فى كتاب منسوب للإمام الغزالى يدعى "مكاشفة القلوب" وفيه يقول الإمام الغزالى فى باب العشق: "الحب عبارة عن[1] ميل الطبع إلى الشىء الملذ، فإذا تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقًا ألا ترى أن زليخا بلغ بها محبة يوسف أن ذهب مالها وجمالها، وكان لها وقر سبعين جملا وقد انفقتها كلها فى محبة يوسف. وكل ما قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شىء. وكانت تسمى كل شىء باسم يوسف. وقد نسيت كل شىء من فرط العشق، وإذا رفعت رأسها إلى السماء رأت اسم يوسف مكتوبًا على الكواكب. وروى أنها لما آمنت وتزوجت به انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى. وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فلما أن عرفته فما أبقت محبته محبة سواه "هذه الكلمات تعبر عن الصورة المتطورة لقصة يوسف". وقد ظهرت بوادرها فى ختام المنظومة المنسوبة للفردوسى حيث صور زهد زليخا فى يوسف بعد زواجها منه[2].

ونمضى فى زعمنا السابق قائلين بأن الجامى لم يخترع شخصية "بازغة" من تلقاء نفسه، وإنما هو قد رأى شبيها لها فى المنظومة المنسوبة للفردوسى فى شخصية "روحة" وهى امرأة قبطية منحها الله الشهرة والتوفيق والجمال والمال، وكانت جميع أمورها موفقة وكانت أبا عن جد موفقة وعظيمة، ولم يكن هناك أحسن منها فى العصر، وهكذا كانت بجمالها ومالها مساوية لزليخا[3] ثم يذكر لنا بعد ذلك صاحب المنظومة المنسوبة للفردوسى أن هذه المرأة قد جاءت إلى الميدان الذى كان يعرض فيه يوسف للبيع، وقد قَدِمَتْ فى أبهة وجمال واشتركت فى المساومة على شراء يوسف أمام عزيز مصر، ويستكمل الحديث عنها قائلا:

---

(١) ورد نفس هذا التعريف للحب الصوفى فى كتاب آخر للغزالى هو أحياء "علوم الدين ... الغزالى: إحياء علوم الدين : جـ١٤ ، ص٢٥٤٨ القاهرة ١٣٥٧هـ.

(٢) محمد كفافى: فى الأدب المقارن : صـ٣٢٩ ، ٣٤٠.

(٣) ـ زنى بود قبطى ورا روحه نام   كه يزدان ورا داده بدنام وكام
ـ همش نيكوئي بود وهم خواسته   زدولت همه كارش آراسته
ـ نيا برنيا مهتر وكا مكار   نبد مهتر ازوى روزكار
ـ جنان بد بخوبى وكنج وهنر   كجا با زليخا همى سودسر

ـ وسمعت أن روحه الطيبة زادت على العزيز العادل
ـ وظل العظماء كلهم مندهشين ومتحيرين من روحه[1]

وهكذا يتضح لنا من الأبيات السابقة عن شخصية "روحة" أن الجامى قد أخذ الخطوط العريضة لرسم شخصية "بازغة" من شخصية "روحة"، ولكنه أعطاها أبعادها الكاملة لتصبح على هذا المستوى من النضوج الفنى الذى بدت عليه فى قصته.. وقد يرد على هذا الزعم بأنه ربما استقى الجامى فكرته عن شخصية "بازغة" من كتب القصص وشروحات المفسرين التى تناولت القصة. لكننا نرد عليه قائلين بأن أيا من هذه الكتب ـ على كثرتها ـ لم يرد فيه إشارة عن مثل هذه الشخصية..

وعلى أى الأحوال فلقد كان لدى الجامى القدرة الفائقة ليبعث الحياة فى المادة القصصية التى وجدها بين يديه بتجديد الأسلوب وإحياء اللغة بطريقة سهلة وعلى أعلى مستوى من الجودة الفنية. فى وقت كان معاصروه يقلدون النماذج السابقة عليهم تقليدا أعمى. لكن الجامى بز أقرانه بتفوقه على النماذج السابقة لعصره...

******

---

(١) ـ شنيدم كه آن روحه خوب نيز بيفزود برداد كستر عزيز
ـ زروحه همه مهتر سر بسر بماندند بيهوش وآسيمه سر

الفصل الخامس

منظومات يوسف وزليخا

الموجودة فى إيران

كان لقصة يوسف وزليخا التى نسبت للفردوسى ثم القصة الصوفية الجميلة التي نظمها عبد الرحمن الجامى فى القرن التاسع الهجرى كان لهما تأثيرهما العظيم على شعراء إيران فراح الجميع ينهلون من منابعهما الثرية الفياضة... وخاصة منظومة عبد الرحمن الجامى، حتى بلغ عدد الآثار الموجودة لهذه القصة في إيران - والى نسجت على منوال منظومة الجامى ستة منظومات... نوجز الحديث عنها فيما يلى: .

١. منظومة يوسف وزليخا : ناظم هروى (م ١٠٨١هـ)

كتبها الشاعر ناظم هروى بامر عباس خان شاملو الذى كان حاكما على خراسان فى عهد الملك عباس الثانى سنة (١٠٥٢-١٠٧٧هـ). واستمر الشاعر فى العمل بها من سنة (١٠٥٨-١٠٧٢هـ). وعدد أبياتها خمسة آلاف بيت _ ويقول خيامبور إن هذه المنظومة تقليد لمنظومة الجامى. ونسخ هذه المنظومة كثيرة فى إيران ما بين خطية ومطبوعة[١].

٢. منظومة يوسف وزليخا آذر بيكدلى (م١١٩٥هـ):

لطفى على آذر واحد من كتاب وشعراء القرن الثانى عشر الهجرى ومؤلف الكتاب المشهور "آتشكده". كتب منظومته فى حدود سنة (١١٥٢هـ). وعدد أبياتها حوالى اثنى عشر ألف بيت من الشعر.. ولهذه المنظومة مجموعة من النسخ الخطية فى إيران فى مكتبة الحاج حسين آقا نخنجوانى تحت رقمى ٢٥٦٠ و ١٢٥٩.. وهذه المنظومة مثل منظومة ناظم هروى من حيث الوزن والمضمون تقليد لمنظومة الجامى مع اختلاف بسيط. لكن قيمتها الأدبية خير من سابقتها فقد تحمل الشاعر سنوات طوال فى نظمها وتنقيحها[٢].

٣- منظومة يوسف وزليخا شعلة كلبا يكانى: (م١١٦٠هـ)

ملا مهدى كَلبايكَانى المتخلص بـ "شعلة" واحد من شعراء القرن الثانى عشر الهجرى. وقد وردت ترجمة عن حياة هذا الشاعر فى كتاب "رياض الجنة" تأليف

---

(١) خيامبور : يوسف وزليخا ، ص٣٩- ٤١.

(٢) خيامبور يوسفا وزليخا : ص٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥.

محمد حسن زنوزى المتخلص بفانى، والذى كان من معاصرى كلبا يكانى. ولهذه المنظومة نسختين خطيتين: الأولى : موجودة فى مكتبة مجلس الشورى بطهران تحت رقم ١٢٠٤ بالدفتر رقم ١٥٠٤٥. أما النسخة الثانية فهى من مقتنيات المكتبة الخاصة بالخاج محمد اقا نخنجوانى نسخها شخص يدعى على محمد انجدانى سنة (١٢٨٣هـ). والنسخة الأولى تحوى فى حدود ستة آلاف بيت. أما النسخة الثانية فتحوى ثلاثة آلاف بيت.. وهذه المنظومة مثل سابقتيها تقليد لمنظومة الجامى. ولكنها تقل عن سابقتيها من الناحية الأدبية والفنية(١).

٤- منظومة يوسف وزليخا : جوهر تبريزى: (م١١٩٤هـ):

ميرزا بابا تبريزى المتخلص بـ "جوهر" هو ابن الحاج كاظم تبريزى والذى كان واحداً من فضلاء وشعراء القرن الثانى عشر الهجرى. وقد أورد زنوزى ترجمة عن حياته وشعره فى كتابه "رياض الجنة". ولهذه المنظومة نسخة خطية فى المكتبة الخاصة بالحاج حسين آقا نخنجوانى تحت رقم ٢٦٩٧ وقد نسخت سنة (١٢٥٦هـ). ومجموع أبياتها ألف وثلاثمائه وواحد وعشرين بيتا. وتحتل المنظومة مرتبة متوسطة من ناحية وزنها الأدبى(٢)..

٥- منظومة يوسف وزليخا: شهاب ترشيزى:(م ١٢١٥أ و ١٢١٦هـ):

هذه المنظومة واحدة من أربع مثنويات يضمها ديوان ميزرا حبيب الله ترشيزى المتخلص بـ"شهاب".. والمثنويات الأخرى هى : "بهرام نامه" وخسرو وشيرين و "مراد نامه".. ويقول الشاعر أنه كتبها فى ثلاثة أشهر. وتحوى هذه المنظومة ألف ومائه بيت من الشعر. ويوجد نسخة خطية لهذه المنظومة فى مكتبة مجلس الشورى بطهران تحت رقم ١٢٠٥ بالدفتر رقم ١٧٨٢٤.. وفى مقدمة القصة يمدح الشاعر حاكما باسم "خسرو خان" كما يهدى له القصة. ويعترف الشاعر صراحة بأن منظومته تقليد لمنظومة جامى(٣)..

(١) خيامپور يوسف وزليخا : صـ٤٥ إلى صـ٥٠.
(٢) خيامپور : يوسف وزليخا من صـ٥٠ إلى ٥٤
(٣) خيامپور : يوسف وزليخا من صـ٥٤ إلى ٥٦

٦- منظومة يوسف وزليخا : خاورى: ١٢٤٠هـ

هى آخر المثنويات الفارسية الموجودة فى إيران عن قصة يوسف وزليخا إلا أنه لم يرد فى كتب التذاكر شىء عن حياة مؤلفها، خاصة وأنه يرد فى كتب التذاكر أربعة باسم "خاورى"، هم: «خاورى سمنانى ميرزا محمد اسماعيل خاورى مازندرانى ومحمد باقر خاورى هروى وميرزا معصوم خاورى كوزه كنانى»، إضافة إلى خاورى شيرازى الذى ورد اسمه فى كتاب "حديقة الشعراء" كمؤلف لديوان "بيكى" وذلك سنة (١٢٦٧هـ).. وهؤلاء الخمسة من شعراء القرن الثانى عشر الهجرى. إضافة إلى ذلك فإن المؤرخ "تربيت" يذكر فى كتابه: "دانشمندان آذربيجان" (١٧٥) شاعرًا آخر باسم خاورى على أنه أحد مؤلفى قصة يوسف وزليخا. ولكنه لم يحدد اسمه بالكامل ولا من أى بلد كان.. هذا ويستفاد من آخر بيت فى المنظومة أن الشاعر نظم قصته سنة (١٢٤٠هـ) واستغرق حوالى ستة أشهر فى نظمها. وبلغ مجموع أبياتها اكثر من ألف بيت. وتوجد نسخة خطية لهذه المنظومة فى مكتبة الشاعر محمد بهار تحت رقم ٤٨٢٥[1]..

---

(١) أما منظومات يوسف وزليخا التى إند ثرت فهى على النحو التالى:

١- يوسف وزليخا : أبو المؤيد البلخى (وردت عنه ترجمة فيما سبق) -٢- يوسف وزليخا المنسوبة للبختيارى (وردت ترجمة عنه فى البحث) -٣- يوسف وزليخا عمعق بخارى: مؤلفها من شعراء السلطان سنجر السجلوقى (م٥٤٢هـ) -٤- يوسف وزليخاى مسعود هروى المقتول بأيدى المغول سنة (٦١٧هـ) -٥- يوسف وزليخاى مسعود دهلوى (م٨٣٦هـ) -٦- يوسف وزليخاى آذر طوسى (م٨٦٦هـ) -٧- يوسف وزليخارى مسعود قمى (م ٨٩٠هـ) -٨- يوسف وزليخارى تذروى ابهرى المقتول فى هندستان (٩٧٥هـ) -٩- يوسف وزليخاى موجى بدخشانى (م٩٧٩هـ) -١٠- يوسف وزليخاى محمد بك سالم تبريزى وكان يعيش بين سنة (٩٢٠-٩٨٣هـ) -١١- يوسف وزليخاى مير تقى الدين أوحدى بليانى (١٠٢٠هـ) -١٢- يوسف وزليخاى قيم شيراز المعاصر لشاه جهان سنة (١٠٣٧-١٠٦٨هـ) -١٣- يوسف وزليخاى ملاشاه بدخشانى المولود فى دهلى سنة (١٠٨٧ هـ وعاش حتى سنة ١١٦٠هـ) -١٥- يوسف وزليخاى ميرزا محمد نامى اصفهانى (م١٠٢٤هـ) -١٦- يوسف وزليخاى شوكت قاجار نظمها سنة ١٢٢٣هـ) -١٧- يوسف وزليخاى حشمت : من شعراء عهد فتحعلى ملك قاجارسنة (١٢١٢-١٢٥٠هـ) - ١٨- يوسف وزليخاى جنيد الله حاذق هروى نظمها سنة (١٢٣٩هـ) - ١٩- يوسف وزليخاى ملا عبد الصمد كاتب بلخى وكان يعيش حتى سنة (١٢٨٨هـ) -٢٠- يوسف وزليخاى ملا محمد شريف المتخلص بشرين (لا يعرف عنه شئ لا مولده ولا وفاته).

نقلا عن خيامپور: يوسف وزليخا من صـ٦٠ ـ صـ٨٠

خاتمة الدراسة

هكذا اتضح لنا من خلال هذه الدراسة الاهتمام الكبير الذى حظيت به قصة يوسف منذ وردت فى التوراة وحتى اليوم سواء فى مجال النثر أو الشعر، وما داخلها من اسرائيليات منذ بدأ الاشتغال بتفسير القرآن.. كما ظهر كذلك أن المنظومة المنسوبة للفردوسى قد نالت هى أيضًا قدرًا كبيرًا من اهتمام علماء الفارسية على اختلاف اجناسهم فى الشرق والغرب على السواء. وأن هذا الاهتمام كان مرده الاختلاف الحادث حول مدى صحة نسبتها لشاعر الفرس العظيم أبى القاسم الفردوسى.

وقد أصبح واضحًا من خلال هذه الدراسة أن هذه المنظومة قد نسبت خطأ للفردوسى وأن هذا الخطأ ناتج عن افكار وردت فى مقدمتين اوردهما هرمان ايته فى بداية منظومة يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى والتى نشرها (١٩٠٨م) وكذا ما ورد فى ديباجة بايسنقر لاحدى نسخ الشاهنامة...

وقد انتهيت إلى هذه النتيجة مستندا إلى عاملين أساسين:

الأول: الدراسة القيمة التى قام بها مجتبى مينوى للمقدمات السالفة الذكر. فقد بينت هذه الدراسة مدى الخلط الذى وقع فيه كثير من العلماء الذين تعرضوا لدراسة هذه القضية، وأخذوا بما جاء بها من معلومات حول سفر الفردوسى إلى العراق واتصاله باميرها وتأليفه قصة يوسف وزليخا نزولا على رغبته.

الثانى: الدراسة التى قمت بها لأسلوب الشاعر فى تناول هذه القصة موضحا الخصائص الشعرية لها، بالإضافة إلى الموازنة بين مقتطفات من شعر هذه المنظومة وأشعار من الشاهنامة.. وما تبين لى من الاختلاف البين والواضح بين الأسلوبين بحيث لا يمكن أن يكون مؤلف القصتين واحدًا.

وأما فى مجال المقارنة بين هذه المنظومة ومنظومة الجامى فقد تبين أن مؤلف هذه المنظومة قد تفوق على الجامى فى مجال البناء الفنى للقصة وبرع فيما يسمى "بالحبكة الدرامية" لها. كما كان موفقا إلى حد كبير فى تصوير عواطف وانفعالات أبطاله وكان ذلك راجعا إلى اهتمامه بمتابعة الأحداث المتعلقة بكل

شخصية من شخصيات القصة.. فى حين تفوق الجامى فى التناول الشعرى وطريقة الصياغة الشعرية مما دفع منظومته إلى قمة أدبية عالية الشأن رفيعة المستوى.

كما اتضح من الدراسة أن الجامى قد تأثر بالفكرة الصوفية التى وردت فى المنظومة الأخرى والتى تمثلت فى تحول زليخا عن حب يوسف إلى الحب الالهى، ووجد فيها بداية استفادٍ منها فى تأليف منظومته وصبغها بهذا اللون الصوفى بما لديه من مهارة وبراعة فى هذا اللون من الشعر، حتى غدت منظومته درة لامعة فى سماء الشعر الصوفى الفارسى..

هذا وبالله التوفيق،،،

القاهرة

مدينة نصر

العاشر من شهر محرم ١٤٢٩هـ

الثامن عشر من شهر يناير ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾ منهم الحاج صبرى عبدالواحد مدير المطابع بالهيئة العامة للكتاب لما أنعم عليه الله من حلم وصبر وأناة وخلق عظيم وعمل فى صمت وحب وود وتعاون طيب مع المتعاملين مع الهيئة فجزاه الله عنى وعن أسرتى خير الجزاء ومتعه بالصحة والعافيه وطول العمر

إنه نعم المولى ونعم المجيب

المؤلف

د/رمضان متولى

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- ابــن كـثـير:ابو الفدا إسماعيل بن كثير

تفسير القرآن العظيم، مصر ١٣٤٦هـ

٢ ـ أبـو سعد: أحمد أبو سعد

فن القصة، بيروت ١٩٥٩م

٣ ـ أبوالسعود: محمد بن أحمد بن مصطفى العمادى

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم مصر ١٢٨٩هـ

٤ ـ إبن الأثير: أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الكريم الشيبانى

الكامل فى التاريخ، بيروت ١٩٧٨م

٥ ـ الألـوسـى: أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسى

روح المعانى، طبع المطبعة المنيرية بالقاهرة

٦ ـ بـــدوى: أمين عبد المجيد بدوى

القصة فى الأدب الفارسى، القاهرة ١٩٦٤م

٧ ـ بـــدوى: مترجم مع صادق نشأت

قابوس نامه، القاهرة ١٩٥٨م

٨ ـ بـقـوش: عبد العزيز مصطفى بقوش

قصة يوسف وزليخا لعبد الرحمن الجامى، القاهرة ١٩٧٤م

٩ـ البندارى: الفتح بن على بن محمد

الشاهنامة للفردوسى، القاهرة ١٩٣٢م

١٠ـ البيرونى: أبو الريحان البيرونى

الآثار الباقية عن القرون الخالية، لندن ١٨٧٩م

١١ـ التفتازانى: أبو الوفا الغنيمى التفتازانى

مدخل إلى التصوف الإسلامى، القاهرة ١٩٧٩م

١٢ ـ تـيـمور: محمود تيمور

فن القصص، القاهرة ١٩٤٥م

١٣ ـ الثعالبى: أبو منصور بن محمد

غرر أخبار ملوك الفرس، طهران ١٩٦٣م

١٤ـ الثعلبى: أبو اسحق احمد النيسابورى

قصص الأنبياء، مصر ١٩٧٨م

١٥ ـ جـمـعه: بديع جمعه

روائع الأدب الفارسى، القاهرة ١٩٨٣م

١٦ـ حاجى خليفة: مصطفى عبد الله القسطنطى

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، القاهرة ١٩٦٤

١٧ ـ حسـين: عبد القادر حسين

فن البديع، القاهرة "لم تذكر سنة الطبع"

١٨ـ حـلمى: مصطفى حلمى

الحب الالهى فى التصوف الاسلامى، القاهرة ١٩٦٠م

١٩ ـ الحـــموى: ياقوت الحموى

معجم الأدباء، بيروت ١٩٦٤م

٢٠ ـ الخـشـاب: يحى الخشاب وصادق نشأت

تاريخ بيهقى، القاهرة ١٩٥٦م

٢١ ـ الخشاب وعزام: المقالات الأربع ـ النظامى العروضى ـ مصر، ١٩٤٩م

٢٢ ـ الخطيب: عبد الكريم الخطيب

الفن القصصى فى منطوقه ومفهومه، القاهرة ١٩٥٢م

٢٣ ـ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون

المقدمة، طبع دار الشعب المصرية بالقاهرة (غير مكتوبة سنة الطبع)

٢٤ ـ خـلف الله: محمد خلف الله أحمد

الفن القصصى فى القرآن الكريم، القاهرة ١٩٦٥

٢٥ ـ الخـورى: سعد الخورى

أقرب الموارد فى صحيح العربية والشوارد،بيروت ١٩٨١م

٢٦ ـ الدينورى: أبو حنيفة الدينورى

الأخبار الطوال، القاهرة ١٩٦٠م

٢٧ ـ الـرازى: فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر

مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الرازى، القاهرة ١٣٠٨هـ

٢٨ ـ ابن رشيق: أبو الحسن بن رشيق القيروانى

العمدة، القاهرة ١٩٣٤م

٢٩ـ الزبـيدى: السيد محمد المرتضى

تاج العروس، بيروت ١٩٦٩م

٣٠ ـ زعـيـتر: عادل زعيتر

مجالى الإسلام، القاهرة ١٩٥٦م

٣١ ـ الزمخشرى: محمود بن محمد

الكشاف عن حقائق التنزيل، القاهرة ١٩٦٦

٣٢ ـ زيـــدان: عفاف زيدان (مترجمة)

زين الأخبار للكرد يزى، القاهرة ١٩٨٢م

٣٣ ـ الساداتى: أحمد محمود الساداتى

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم (طبعة الألف كتاب)

٣٤ ـ السباعى: السباعى محمد السباعى

النثر الفارسى، القاهرة ١٩٧٨م

٣٥ ـ الشـابى: على الشابى

الأدب الفارسى فى العصر الغزنوى، تونس ١٩٦٥م

٣٦ ـ الشـايب: أحمد الشايب

الأسلوب، القاهرة ١٩٧٦م

٣٧ ـ شـاهين: عبد الصبور شاهين

الظاهرة القرآنية، القاهرة ١٩٥٨م

٣٨ ـ شـلبى: أحمد شلبى

مقارنة الأديان "اليهودية"، القاهرة ١٩٦٦

٣٩ ـ شـهبة: محمد أحمد أبو شهبة

الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، القاهرة ١٩٧٣م

٤٠ ـ الشواربى: ابراهيم أمين الشواربى "مترجم"

تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، القاهرة ١٩٥٤م

٤١ ـ الشـواربى: "مترجم"

حدائق السحر فى دقائق الشعر للوطواط، القاهرة ١٩٤٥م

٤٢ ـ الاصـفهانى: حمزة بن حسن الاصفهانى

تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت ١٩٦١م

٤٣ ـ الطبرى: محمد بن جرير الطبرى

جامع البيان فى تنزيل القرآن، القاهرة المطبعة الميمنية

٤٤ ـ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، طبع بريل ١٩٦٤م

٤٥ ـ عبد ربه: السيد حافظ

بحوث فى قصص القرآن، بيروت ١٩٧٢م

٤٦ ـ العتـبى: محمد بن عبد الجبار العتبى

تاريخ يمينى، نسخة خطية، لا هور ١٨٩٧م

٤٧ ـ العسكرى: أبو هـلال الحسن بن عبد الله بن سهل

كتاب الصُناعتين، القاهرة ١٩٧١م

٤٨ـ الغــزالى: ابو حامد الغزالى

إحياء علوم الدين، القاهرة ١٣٥٧هـ

٤٩ ـ كاشف الغطاء: محمد بن الحسين بن كاشف الغطاء

أصول الشيعة، القاهرة ١٩٥٨م

٥٠ ـ الغنيمى: محمد الغنيمى هلال

الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، القاهرة ١٩٦٠م

٥١ ـ الغنيمى هـلال: الأدب المقارن، القاهرة ١٩٧٧م

٥٢ ـ الغنيمى هـلال: النقد الأدبى الحديث، القاهرة ١٩٧٩م

٥٣ ـ فكرى: على فكرى
أحسن القصص، القاهرة ١٩٥٨م
٥٤ ـ الفيروزابادى: محمد بن يعقوب
تنوير المقباس فى تفسير بن عباس، القاهرة ١٩٥١م
٥٥ـ القرطبى: محمد بن أحمد الأنصارى
الجامع فى أحكام القرآن، القاهرة ١٩٣٩م
٥٦ ـ قطب: سيد قطب
فى ظلال القرآن، بيروت ١٩٧٢م
٥٧ ـ كفافى: محمد عبد السلام كفافى
فى الأدب المقارن، بيروت ١٩٧٢م
٥٨ ـ المسعودى: أبو الحسن على بن الحسين المسعودى
مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ١٩٦٤م
٥٩ ـ المسعودى: التنبيه والاشراف، القاهرة ١٩٣٨م
٦٠ـ ابن مسكويه: ابو على الخازن أحمد بن مسكويه
تجارب الأمم وتعاقب الهمم، القاهرة ١٩١٥م
٦١ ـ نجم: محمد يوسف نجم
القصة فى الأدب العربى الحديث، بيروت ١٩٦١م
٦٢ ـ نجم: فن القصة، بيروت ١٩٥٦م
٦٣ ـ ندا: طه ندا
دراسات فى الشاهنامة، الاسكندرية ١٩٥٤م
٦٤ ـ ابن النديم: أبو الفرج محمد بن اسحق النديم
الفهرست، طبع المطبعة التجارية بالقاهرة

٦٥ـ نور الدين: محمد نور الدين عبد المنعم

دراسات فى الشعر الفارسى، القاهرة ١٩٨٦م

٦٦ ـ نور الدين: "ترجمة ودراسة"

ترجمان البلاغة "الرادويانى"، القاهرة ١٩٨٧م

٦٧ ـ وافى: على عبد الواحد وافى

الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الاسلام، القاهرة ١٩٦٤

٦٨ ـ وهـــــبة: مجدى وهبة

معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، بيروت ١٩٨٤م

٦٩ ـ الهـــوارى: أحمد إبراهيم الهوارى

نقد الرواية فى الأدب العربى الحديث فى مصر،القاهرة١٩٨٣م

٧٠ ـ القـــرآن الكريـــم:

٧١ ـ كتاب التوارة: طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة

....

ثانيا: المراجع الفارسية

١ ـ الأنــــوى: أبو نصر مسعود الأنوى

أنيس القلوب، نشر مجتبى مينوى، انقرة ١٩٦٠م

٢ ـ آذر: لطفى على آذر

آتش كده، بو مبى ١٨٩٨م

٣ ـ بـــرنـــيا: حسن برنيا

ايران پاستان، طهران ١٩٣٢م

٤ ـ بـــــهار: تقى بهار

سبك شناسى، طهران ١٩٦٩م

٥ ـ جـــــامى: نور الدين عبد الرحمن جامى

يوسف وزليخا، بو مبى ١٩٣٩م

٦ ـ خــانلرى: برويز ناتل

فرهنكٌ أدبيات فارسى، طهران ١٩٦٤م

٧ ـ خـانلرى: «ناشر ومحقق»

يوسف وزليخا ازيك تفسير قرن ششم، طهران ١٩٥٣م

٨ ـ خيـامپور: عبد الرسول خيامپور

يوسف وزليخا، تبريز ١٩٦٠م

٩ ـ ده خدا: على أكبر ده خدا

لغت نامه، طهران ١٩٥٦م

١٠ ـ ربـــكا: يان ربكا

دراسة عن البحر المتقارب فى الأدب الفارسى

بحث ضمن كتاب هزاره، فردوسى. طهران ١٩٤٤م

١١ـ ربكا: تاريخ أدبيات إيران ت عيسى شهابى، طهران ١٩٧٥م

١٢ـ زاده: تقى زاده

مقام وبيشه ومايه فردوسى ــ بحث ضمن كتاب هزارة فردوسى

١٣ـ شـــفـق: رضا زاده شفق

فرهنك شاهنامة، طهران ١٩٧٢م

١٤ـ شـفـيـع: محمود شفيع

دانش وخرد فردوسى، وطهران ١٩٧١م

١٥ـ صـــفا: ذبيح الله صفا

حماسة سرائى در إيران، طهران ١٩٥٤م

١٦ـ صـــــفا: ذبيح الله صفا

تاريخ أدبيات إيران، طهران ١٩٧٢م

١٧ ـ عــــلوى: برزك علوى "مترجم"

حماسة ملى در ايران ـ نلدكه، طهران ١٩٤٨م

١٨ـ عـــــوفى: محمد عوفى

لباب الألباب، ليدن ١٩٠٦م

١٩ـ فردوسى: أبو القاسم الفردوسى

الشاهنامة، بومبى ١٢٧٢هـ

٢٠ ـ فروزانفر: بديع الزمان

سخن وسخنوران، طهران ١٩٧١م

٢١ـ فروغى: محمد على فروغى

مقالات فروغى دربار شاهنامه فردوسى، طهران ١٩٦٢م

٢٢ ـ فضل الله: رضا فضل الله

بزوهش در انديشه فردوسى، طهران ١٩٧٤م

٢٣ـ قـزوينى: حمد الله مستوفى

تاريخ كزيده، لندن ١٩٤٩م

٢٤ـ قلى خان: رضا قلى خان

مجمع الفصحاء، طهران ١٨٩٢م

٢٥ ـ ماسيه: هنرى ماسيه

أوصاف ومناظر طبيعت در شاهنامة "بحث ضمن كتاب هزارهء فردوسى

٢٦ ـ مـيـنـوى: مجتبى مينوى

فردوسى وشعراو، طهران ١٩٧٥م

٢٧ـ نـدوشـن: محمد على ندوشن

زندكي ومرك بهلوانان درشاهنامة، طهران ١٩٧٠م

٢٨ ـ يغمائى: حبيب يغمائى

فردوسى وشاهنامهء أو، طهران ١٩٧٠

٢٩ـ يونسى: إبراهيم يونسى

هنر داستان نويسى، طهران ٢٥٣٥. ش

٣٠ ـ مجلة آموزش وبرورش: السنة التاسعة العددين ١١، ١٢

مقال عبد العظيم قريب

٣١ ـ مجلة روزكارنو: السنة الثالثة، المجلد الخامس

مقال مجتبى مينوى عن الفردوسى ويوسف وزليخا

٣٢ ـ مجلة دانشكدهء أدبياه تبريز السنة الرابعة عشر، العددين ٥، ٦

مقال خيامپور عن يوسف وزليخا المنسوبة للفردوسى

٣٣ ـ مجلة كاوه: السنة الثانية، العدد الثانى، الدورة الجديدة

مقال تقى زاده عن الفردوسى

٣٤- مجلة دانشكدهء أدبيات طهران: العدد الثالث

مقال الأستاذ مجتبى مينوى

٣٥ ـ يوسف وزليخا: ازيك تفسير فارسى قرن ششم: باهتمام ونشر برويز ناتل خانلرى، طهران ١٩٣٧م

٣٦ ـ ازخزاين تركية: باهتمام ونشر مجتبى مينوى، انقرة ١٩٦٠م

****

ثالثاً: المراجع الأوربية:

1 - Rieu "Charels rieu" Catalogue of the Persian Manuscr ipts in the Persian Musseum, 11, Londone, 1881.

2- Rieu "Charles Rieu: Supplement to the Catalogue of the Persian Manuscripts in the British Museum, oxford 1895.

3- Ethe, yousif and zolikha, Firdausi of tus, Ocford 1908.

4- Catalouge of the Persian and Arabic Manuscrripts in the Oriental Library at Bankiepose . Vol . II (E.D . Ross Calcutta B.10).

5 - Catalogue of Persian Manuscripts in the library of the Indian Office . Vol . II (H.E . Oxford 1934).

6 - Jeorge Stimpson, A Bock about the Bible, U.S. - A 1945.

7 - H. H. Rowly From Goseph to Joshua, London 1951.

8- The Encyclopedia of Islam, Volume 2- London 1965.

9- Jourual of Royal Associte Society No (1) London 1974.

المؤلف فى سطور

رمضان رمضان متولى

من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٤١م.

-بدأ حياته العلمية والعملية مترجمًا للغة الفارسية بدار الكتب المصرية.

بعد حصوله على درجتى الماجستير والدكتوراه اشتغل بتدريس اللغة الفارسية وآدابها بجامعة وهران بالجزائر.

عمل مترجمًا للغة الفارسية بوزارة العدل بالمملكة العربية السعودية ما يربو على العشرين عامًا.

اختتم حياته الوظيفية فى وظيفة (كبير مترجمين) بالتليفزيون العربى.

المراجع فى سطور

السباعى محمد السباعى

من مواليد محافظة الغربية سنة ١٩٤١م.

بدأ حياته العلمية والعملية منذ عين معيدًا بكلية الآداب جامعة القاهرة بقسم اللغات الشرقية.

تدرج فى المناصب العلمية فتولى رئاسة قسم اللغات الشرقية ثم عمادة كلية الآداب جامعة بنى سويف.

له مؤلفات علمية عديدة فى اللغة والأدب والحضارة الفارسية.

شارك فى العديد من المؤتمرات العلمية حول الدراسات الشرقية بالداخل والخارج.

الفهرس

منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة ساقية
عبد المنعم الصاوى
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة شريف
٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة الجيزة
١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة جامعة القاهرة
بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى -
الجيزة

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة رادوبيس
ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg



يحتل قصص الأنبياء منزلة فريدة بين مختلف فنون الآداب والمعارف وقد حظيت قصة يوسف عليه السلام بالجانب الأكبر من هذا الاهتمام. فقد وردت أخبار هذا النبى وقصته فى أول الكتب السماوية وهو التوراة.. وآخرها وهو القرآن الكريم وانفردت فيه بطابع متميز حيث نطالع سورة يوسف محتوية على القصة كاملة..

وقد أهتم بها شعراء إيران منذ غروب الدولة السامانية (٣٩٠ هـ/ ٩٩٩م) حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى يتعاقبون على نظمها حتى بلغ عدد الآثار المنظومة للقصة فى اللغة الفارسية ثمانية وعشرين أثراً مما دفعنى إلى دراستها وتحليلها وتقييمها وعقد الموازنات بينها وخاصة المنظومة المنسوبة لشاعر إيران العظيم أبو القاسم الفردوسى والأخرى التى ألفها الشاعر الصوفى عبد الرحمن الجامى..



الهيئة المصرية الع

١٠ جنيهات


ISBN# 9789774205193
6 221149 009127